وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية
قسم الفلسفة

رهانات الثقافة العربية في ظل العولمة

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم
في الفلسفة

إعداد الطالب : **محمد جعرير** إشراف: **الأستاذ الدكتور عبد المجيد دهوم**

السنة الجامعية: 2016/2015

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية
قسم الفلسفة

رهانات الثقافة العربية في ظل العولمة

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم
في الفلسفة

إعداد الطالب : **محمد جعرير**
إشراف: **الأستاذ الدكتور عبد المجيد دهوم**

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور:سعدي بن زواو	رئيسا
الأستاذ الدكتور:عبد المجيد دهوم	مقررا
الأستاذ الدكتور:قيروان منور	عضوا
الأستاذ الدكتور:يوسف زرافة	عضوا
الأستاذ الدكتور:إبراهيم سعدي	عضوا
الدكتور:بوعلام بن خيرة	عضوا

السنة الجامعية: 2016/2015

الإهداء

إلى الوالد رحمه الله

إلى الوالدة رحمة الله عليها

إلى الزوجة الكريمة

إلى أبنائي وابنتي فلذات كبدي

أهدي لهم جميعا هذا العمل صدقة جارية

شكر وتقدير

بفيض من الحب والتقدير أتقدم إليكم أستاذي

الدكتور عبد المجيد دهوم

بخالص الشكر والامتنان

على ما بذلتموه من مجهودات

وسعيكم الى مساعدتي بكل الطرق والوسائل

وفي أسرع زمن وأقصر وقت

وبكل رضا وبكل سعادة.

الشكر والتقدير لكم

أقدم كذلك أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى

الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة...

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة...

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل.....

ودمتم في خدمة العلم والمعرفة.

مقدمة

مقدمة

إن موضوع البحث يتناول بالدراسة رهانات الثقافة العربية في ظل العولمة، وذلك انطلاقا من أن العولمة نتج عنها تحديات عديدة، وصراعات حادة امتدت إلى جميع مناحي الحياة، الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الثقافية والفكرية...وأخطرها التحديات الفكرية والثقافية.

هذه المتغيرات والمستجدات تحمل في طياتها متناقضات وطروحات فكرية ومادية تفرض نمطا جديدا من التغير الفكري وأسلوب الحياة، بغية استيعاب هذه المتغيرات.

وبما أن الثقافات الإنسانية، كانت ومازالت عرضة للتأثر والتغيير والغزو بفعل عوامل متعدّدة داخلية وخارجية، والثقافة العربية في هذا الإطار ليست استثناءً فقد واجهت في السنوات الأخيرة تحدياً من نوع جديد مدعوماً بوسائل وآليات وقوى ذات نفوذ قوية، ويعرف هذا التحدي بما أطلق عليه ظاهرة العولمة، التي ارتبط ظهورها باتساع دائرة النقاش حول مستقبل النظام العالمي الجديد في أعقاب الحرب الباردة أو الصراع الإيديولوجي، أو بالأحرى فقدان التوازن الذي حكم العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

فانهيار الاتحاد السوفييتي سابقا لم يكن يعني للولايات المتّحدة الأميركية مجرد التخلص من منافس إيديولوجي فحسب، بل يعني انتصاراً حاسماً ونهائياً لمشروع الرأسمالية التاريخي الهادف إلى تسييد وسيطرة العلاقات الرأسمالية في إطار من الهرمية الدولية، التي تقف الولايات المتحدة الأميركية على رأسها، وتستطيع معها صناعة عالم جديد قائم على السيطرة والتبعية. وتحتدّ دائرة النقاش والجدل الواسع في أوساط المفكرين والباحثين بشأن التغيّرات السريعة الجارية في العالم على كلّ المستويات السياسية

والاجتماعية والاقتصادية والثقافة والإعلامية، وبالتحديد حول شيوع العولمة وانتشارها كمصطلح وفكر، بغية الاتفاق إلى حدّ ما على سمات نظامها وتحديد أهدافها وتنسيق وسائلها.

وتعالج هذه الدراسة هذا الجانب من تأثيرات العولمة على أساس أنه يثير كثيرا من التساؤلات، بل والمخاوف ليس فقط لدى المثقفين العرب والمسلمين، وإنما لدى الأمم المتقدمة صناعيا أيضا، ويردّ البعض هذه المخاوف إلى اعتقادها بأن الميزان الحالي للقوى في العالم يتحكم في توجيه الاقتصاد والسياسة والثقافة لصالح الغرب تحت غطاء العولمة والقرية الكونية الواحدة، في حين يرى البعض الآخر أن هذه المخاوف ذاتها لا ينبغي أن تصبح سببا للهروب من المواجهة والمشاركة، وإنما حافزا للإسهام بفاعلية في هذه التطورات الجديدة في مختلف الميادين، والاستفادة من إمكانات التكنولوجيا في تأكيد الهوية وتحصينها.

وإذا تغاضينا عن المظاهر التفصيلية للمواقف المختلفة ، نجد أنها جميعا تعبر عن الرغبة في التوصل إلى إجابة عن تساؤل مؤداه: إذا كان الغرب يمثل "الأنا" في لعبة العولمة فكيف يحمي "الآخر" نفسه حتى يشارك في اللعبة ولا يطرد خارج الملعب؟ وبمعنى آخر هل يمكن أن تتواصل اللعبة على أساس التنوع بين الأطراف المشاركة، أم أن الغرض منها تحقيق الهيمنة لطرف معين يكون من حقه فرض سيطرته وهيمنته؟.

لقد تميزت هذه التحولات الأخيرة بزيادة عمليات الاتصال المتعددة الأوجه والمجالات بشكل تلاشت فيه الحدود بحيث أصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة. وقد نتج عن ذلك حالات من التعاون أو الصراع في أشكال متعددة، ويعتبر ذلك انعكاسا طبيعيا

لتفاقم تداعيات ظاهرة العولمة. ومن جهة أخرى تحول التنافس الذي كان سائدا بين الشرق والغرب إلى تفاوت صارخ بين الشمال والجنوب.

وفي هذا الصدد برزت إلى السطح الكثير من المفاهيم والمصطلحات مثل: الحداثة وما بعد الحداثة، العالمية، الحضارة والعولمة،...، ولاقت اهتماما واضحا من قبل المفكرين من خلال عقد العديد من الندوات والحلقات بهذا الشأن، بحكم موقعهم في النظام الدولي الجديد من جهة، ومن أجل محاولة الاستعداد للتأقلم.

فإذن نحن أمام مرحلة جديدة من مراحل تطور الحداثة ونحن أمام حقيقة تشهد فيها العلاقات الاجتماعية في العالم تلاحما وتقاربا لا يمكن الفصل فيها، وأن الربط بين المجتمعات العالمية ليس فقط اقتصاديا بل تحوّل إلى ربط ثقافي وإنساني ..

فالعولمة إذن ظاهرة مصطلحها جديد، حظيت باهتمام واسع في الأوساط الفكرية والبحثية، وثار حولها ولا يزال جدل واسع، تنقسم فيه المواقف بين الرافض لها، الذي يرى أن العولمة ظاهرة ينبغي أن تقاوم، وبين من يدعو إلى اللحاق بركبها، وبين هذا وذاك، يأتي موقف آخر يدعو إلى الفهم والتحليل. ومن خلال الدراسات والأبحاث لهذا الموضوع تبين أن المفكرين العرب حافظوا على مسافة بينهم وبين الظاهرة، ولعل مرجع ذلك هو التزود بالحذر اللازم عند الاقتراب من الموضوعات الحساسة من جهة، وحداثة الطرح من جهة أخرى. انطلاقا من أن العولمة تمثل أكبر التحديات المعاصرة وتعتبر من المواضيع الأساسية والحساسة لأي مجتمع يريد الحفاظ على خصوصياته، فرضت نفسها على الحياة المعاصرة وعلى العديد من المستويات السياسية والاقتصادية والفكرية والإعلامية والثقافية والتربوية، ونظرا للأهمية القصوى لظاهرة العولمة وتأثيراتها السريعة على الثقافة العربية

من خلال وسائطها وأدواتها القادرة على الاختراق والوصول إلى منظومات القيم والتفكير لدى الانسان العربي، فإنها تمثل تحديا مصيريا للثقافة العربية، وهي شأنها شأن العديد من التحديات.

فهل الثقافة العربية تملك القدرة على مواجهة تحديات العولمة ؟

وما هي الرهانات التي يمكن أن تعتمدها لمواجهة هذه التحديات العولمية ؟

وهل تستطيع الثقافة العربية الاندماج ومسايرة التطورات في نظام العولمة ؟

البحث في هذا الإشكالية يهدف إلى فهم وتفحص ظاهرة العولمة والوقوف عن كثب وبشكل علمي دقيق أثناء تناولها واستقصاء آثارها ومعانيها وأبعادها المختلفة، وكيفية التعامل معها في إطار الحفاظ على الخصوصية الثقافية العربية/ الاسلامية.

فكان المنهج الأنسب لتلك الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي من أجل فهم العولمة كظاهرة لها جذورها وتاريخها، وكمصطلح جديد، وادراك مظاهرها ووسائلها، وأهدافها المعلنة والخفية، وكذلك محاولة معرفة امتداداتها وتأثيرها على الثقافة العربية.

هذا وقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء كتابتي لهذا البحث والتي تمثلت في تحديد الأسئلة ودقتها، وباعتبار الموضوع جديد كثرت فيه الأبحاث والكتابات من مختلف المختصين والخبراء من اقتصاديين، وسياسيين، ورجال دين ومثقفين وغيرهم، مما صعب عليّ اختيار المراجع المناسبة للموضوع إلا أني رأيت أن من واجبي إكمال هذا البحث، والذي جعلته يتكون من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من مبحثين وكل مبحث يتكون من ثلاثة مطالب:

ففي **الفصل الأول** من هذه الدراسة تم عرض تحليلي لمفهوم العولمة ومراحل تطورها التاريخي ومجالاتها وأبعادها. وأهم التحولات الدافعة باتجاهها وذلك بالتركيز على التحولات الاقتصادية والسياسيــة والعلمية والتكنولوجية، بالإضافة إلى التحولات الفكرية والثقافية، وذلك من خلال مبحثين، الأول تناولنا فيه مفهوم العولمة وتطورها، أما المبحث الثاني تم فيه طرح التحولات الدافعة باتجاه العولمة مع التركيز على التحولات الفكرية والثقافية خاصة من خلال طرح ما تناوله فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ والانسان الآخر، وكذا صموئيل هنتغتون في كتابه صراع الحضارات.

أما الفصل الثاني، تم فيه طرح موضوع الثقافة العربية وتحديات العولمة، حيث تم طرح إشكالية تحديد مفهوم الثقافة عند الغرب والعرب، مع التركيز على العولمة وعلاقتها بالثقافة العربية، ويحتوي هذا الفصل على مبحثين اثنين،الأول منه يتناول مفهوم الثقافة وعلاقتها بالحضارة واللغة والهوية، أما المبحث الثاني تم فيه التعرف على أهم تحديات العولمة تجاه الثقافة العربية، وذلك بالتركيز على التحديات العلمية والتكنولوجية وكذا الثقافية والفكرية.

أما الفصل الثالث، تم فيه دراسة: إشكالية الثقافة العربية بين الهوية والعولمة، وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول، مفهوم الهوية الثقافية ومكوناتها، أما المبحث الثاني تم فيه التعرف على الآثار السلبية والإيجابية للعولمة على الثقافة العربية، بالإضافة إلى طرح إشكالية الهوية الثقافية العربية بين الانغلاق والانفتاح العولمي.

أما **الفصل الرابع**، يتناول سبل ووسائل التكيف مع العولمة باعتبارها واقعا فرض نفسه، في إطار الخصوصية الثقافية.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول مفهوم الخصوصية الثقافية وعناصرها ومميزاتها، أما المبحث الثاني فإنه يبين طرحا يمثل محاولة للتكيف مع العولمة وذلك بالاستفادة من إيجابياتها وإنجازاتها، ومحاولة التكيف هذه لا تكون إلا من خلال الانفتاح الثقافي في إطار الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، وكذلك استثمار المعرفة والسيطرة على آلياتها ولا يكون ذلك إلا بالتطور العلمي والابداع الحضاري.

أما خاتمة البحث، تم فيها استخلاص نتائج البحث المتمثلة في أن:

العولمة ظاهرة قديمة ولكن ظهورها كمصطلح، حديث ومعاصر، لها آثارها الإيجابية والسلبية، تهدف إلى بناء مجتمع واحد يسهل قيادته من خلال الشركات الاقتصادية والثقافة الموجهة التي ترغب في تذويب الخصوصيات الثقافية من خلال طروحاتها الداعية إلى إقامة اقتصاد عالمي واحد، وإعلام موحد، وعلوم وفكر وثقافة مشتركة...، وهذه الحقيقة تنبئ بأن نظام المؤسسات المعولمة سيقلص فاعلية التجربة الذاتية، فتتراجع عن الخوض في ميادين الأداء الفعلي، لأن التحكم الحقيقي في مصير الحركة العالمية الجديدة حكر على أشخاص ودول وأمم يقبضون على العالم اقتصاديا وسياسيا وإعلاميا، ومن ثم ثقافيا وفكريا. إنهم أسياد العالم من دون منازع، فحيث توجد القوة المادية توجد السلطة، ورأس المال هو الحاكم الرئيس في واقعنا المعاصر.

كما تنبئ العولمة أيضا، بتحكم قلة في احتياجات شعوب العالم، وبانتقال السلطة اليهم سوف يستخدمون قدراتهم لتحويل العالم إلى أشكال اجتماعية، وسياسية وفكرية

وثقافية تتوافق مع متطلعاتهم، ومعها سوف تتوقف المجتمعات في سكونية حركية تلهث وراء لقمة العيش، وتختزل طموحاتها في المحافظة على المكان، الذي صار الحصول عليه هدفا وجوديا. وبانعدام الحركة الهادفة تتقزم فاعلية أبناء المجتمعات في استقرار سكوني سلبي، وتتوقف رغبات الأفراد في السعي إلى التحسين والتطوير وتنقطع صلتهم بالماضي.

إن الشعور بالخوف، من فقدان المكان يلغي فاعلية الزمن، وينحصر وجود الانسان في مكان واحد، وفي زمن متوقف عند لحظة قلق تحوله إلى متلق سلبي مقيد بقبول سطحي يضمن له السلامة الآنية، وبالقبول المفرغ من المضمون يتخلى عن مقومات وجوده، وعن هويته الذاتية، ويصير رقما سقط من حسابات رؤوس الأموال بعد أن أهمل وجوده تحت تراكمات مادية تصخرت معها الأحاسيس والمشاعر، وأدت إلى اغتيال الفكر، وإبادة صرح الثقافة واغتيال فاعلية التراث.

تحاول العولمة محاصرة الثقافة وقنص تراث الأمم، وإلغاء الفعل الثقافي والفكري، واغتيال العدل الحداثي الإبداعي، ومن ثم فرض أحادية ثقافية تلغي الخصوصيات الثقافية. والظاهرة الأكثر خطورة هي سيطرة الثقافة، وفرض الهيمنة غير المرئية على العقل الانساني، والمجتمعات لا تموت ولا تتلاشى إلا بخسارة قدرات أبنائها الفكرية، لأن تفريغ الأمة من مقومات وجودها الثقافي، يفقدها مبرر وجودها ويؤدي إلى خسارة هويتها الذاتية، لتتحول إلى مجهول تابع في المعادلة الجديدة.

ضمن هذه المعادلة الصعبة تبقى الثقافة العربية، تواجه اليوم تحديات العولمة ككل الثقافات، ومن منطلق أنها ثقافة تملك من الامكانات وعوامل القوة ما يجعلها قادرة

على أن تخوض تجربة العولمة دون أن تخشى على هويتها من الاقتلاع والتمزق، ودون تعرض أبنائها لخطر التبعية الثقافية.

حيث إن الثقافة العربية تحتاج في ظل العولمة إلى وعي وإرادة فاعلة ومستقلة لبناء مشروع حضاري متميز ثقافيًا واجتماعياً وسياسياً، من خلال المشاركًة الفعليًّة في المجهود الحضاري الإنساني وطرح الافكار التي تحافظ على هوية المجتمع بكل صفاته وانتماءاته .

وخلاصة القول، فإن موقفنا من العولمة يجب أن يأخذ صورة الموقف من ظاهرة تاريخية بأبعادها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك لأنها نشاط تاريخي وصيرورة موضوعية، **لا ينفع معها الرجم واللعن، كما لا ينفع معها التمني والتبجيل والدعاء.** إنها ظاهرة تاريخية تتطلب منا وعيا تاريخيا بأبعادها وتحدياتها وظروفها التاريخية، كما تقتضي إدراكا للمناخ التاريخي الذي استنبتت فيه وذلك من أجل بناء رؤية علمية تأخذ هذه الظاهرة بأبعادها التاريخية وصيروراتها الموضوعية.

إذن، لا يمكن للرفض الانفعالي أو القبول المجاني للعولمة أن يغيرا في حقيقية العولمة وفي واقعها ولن يقللا من خطورتها. " فظاهرة العولمة، بما تنطوي عليه من ميكانيزمات اقتصادية وتقنية وسياسية وإعلامية، قد بلغت من الرسوخ والصلابة درجة حيث تصعب مواجهتها بشكل فعال عبر خطاب إيديولوجي فقد الكثير من بريقه النضالي ونقاط قوته السابقة لبروز معطيات وعناصر جديدة في دائرة الصراع[1]" . وفي

[1] خلاف خلف الشاذلي، **المجتمع العربي بين مخاطر العولمة الثقافية وتحديات ثقافة العولمة**، شؤون عربية، العدد 107، سبتمبر/ ايلول 2001، ص ص 86-93-106.

هذا السياق يقول **يوسف عبد المعطي** " ليست القضية في أن نعلن رفض العولمة أو قبولها. فالعولمة عملية تطور تاريخي وتغيّر تمر به البشرية في هذه المرحلة من مسيرتها، ونحن حاليا نعيش وسط دوامتها ونواجه خيرها وشرها شئنا أم أبينا" [2].

كما ترى كذلك **بشرى المفلح** :" أن العولمة مرحلة تاريخية وصلت إليها البشرية كنتيجة منطقية للتراكم الحضاري الذي حققته، ومن هذا المنطلق لا يحق لنا أن ننظر إليها كأنها مرحلة غريبة عنا أو أن نحاول معاداتها وتجنب الانخراط فيها، وذلك لأننا أمة لها حضارة عريقة في التاريخ، ولأن تجنب هذه العولمة والهروب منها يعني أننا لا نثق بحضارتنا وقدرتنا على الوجود والحضور"[3].

وفي هذا الأمر يمكن أن نذهب مع قول بعض المفكرين العرب أن الاعتبارات الأيديولوجية دفعتنا إلى معارك نواجه فيها الخصوم بدلا من حالة التوجه العلمي للبحث في ماهية هذه الظاهرة وتفكيكها وتحليلها بصورة موضوعية بعيدة عن كل مظاهر الانفعال والارتجال وذلك من أجل تقصي احتمالاتها وبناء منظومة معرفية تساعد في تعزيز إمكانيات الثقافة العربية في صدامها وتفاعلها مع أخطر مراحل تطور المجتمعات الإنسانية .

---

[2] يوسف عبد المعطي، **عولمة إلى أين ؟**، مجلة التربية، الصادرة بوزارة التربية، العدد 34، السنة العاشرة، يوليو 2002، الكويت. ص644.

[3] بشرى المفلح، ندوة حول " **مستقبل الأمة التربوي في ظل العولمة الثقافية**"، تحرير محمد خالد مصعب، مريم التاجي، جلنار فهيم، مجلة الشقائق، العدد 355، أغسطس- سبتمبر/ آب – أيلول، 2000، ص ص17 – 13-20،.

إذن "علينا نحن العرب والمسلمين أن نسأل أنفسنا سؤالاً صريحًا، وأن تكون إجابتنا عنه واضحة: هل نحن في معركة ضد التطورات المصاحبة للتحول نحو العولمة"؟ وهل لدينا بديل نعرفه، ونريد أن نثبت عليه؟.

الفصل الأول

العولمة وتطورها

الفصل الأول : العولمة وتطورها

مدخل:

يُستخدم مفهوم العولمة لوصف كل العمليات التي بها تكتسب العلاقات الاجتماعية نوعًا من عدم الفصل، حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد، ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية التي لا تحصى عددًا أصبحت أكثر اتصالاً وأكثر تنظيمًا على أساس تزايد سرعة ومعدل تفاعل البشر وتأثرهم ببعضهم البعض. ولكن الجدير بالذكر أن أول من أطلق اسم العولمة على هذه الظاهرة هو العالم السوسيولوجي الكندي مارشال ماك لوهن Marshall Mac Lohan [1]، في نهاية عقد الستينيات من القرن الميلادي المنصرم في معرض صياغته لمفهوم "القرية الكونية" في كتابه المشهور "الحرب والسلام في القرية الكونية".[2]

[1] Marshall Mc Luhan and Quentin Fiore, **War and Peace in the Global Village**: An Inventory of Some of the Current Spastic Situations That Could Be Eliminated. By More feed forward, New York; 1969.

[2] صادق جلال، العظم، **ما هي العولمة ؟**-ورقة بحث- مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1996م، العمر، معن خليل، **قضايا اجتماعية معاصرة**، دار الكتاب الجامعي- العين- الإمارات العربية، الطبعة الأولى 1421هـ- 2001م ص 91، الجميل سيار، **العرب والعولمة**، ندوة أقامها مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 1989م، ص 29.

ثم انتشر استخدام مصطلح العولمة في العديد من الكتابات السياسية والاقتصادية في العقد الأخير، وذلك قبل أن يكتسب المصطلح دلالات إستراتيجية وثقافية مهمة من خلال تطورات وتحولات واقعية عديدة في العالم منذ أوائل التسعينات.

بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة في مطلع التسعينات، وانهيار الكتلة الاشتراكية الشرقية، استأثرت الدول الرأسمالية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم، واختارت له نظاما شموليا أطلقت عليه النظام العالمي الجديد، يرتكز في وجوده واستمراره على تقسيم خيرات ومقدرات العالم.

ولأجل تعليل هذا القدر، قام الباحث الأمريكي الياباني الأصل فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama بوضع نظريته الشهيرة حول ما أسماه "نهاية التاريخ"، معتبرا أن جدلية التاريخ تفرض على العالم الوصول إلى هذه النهاية المحتومة، حيث تنتصر الديمقراطية الغربية القائمة على الليبرالية المطلقة، وتنهار جميع الأيديولوجيات الأخرى لعدم استجابتها لمتطلبات التطور الإنساني الذي وصلت إليه البشرية، وكأن البؤس الذي يرزح فيه ثلاثة أرباع سكان العالم ليس إلا نتيجة لعدم قدرتهم، أو عدم قابليتهم بالأحرى، لانتهاج النهج الحضاري الغربي الليبرالي.[1]

وبعد ثبات فشل هذه النظرية على أرض الواقع خلال فترة قصيرة من ظهورها، تقدم "صاموئيل هنتنجتون Samuel Huntington " بنظريته الشهيرة "صراع الحضارات"، لسد الثغرات التي غفل عنها فوكوياما، واعتبر أنه من الضروري للحضارة

[1] فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة، حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1993، ص 9.

الغربية، لكي تحافظ على سيادة العالم، أن تقوم أولا بتصفية جميع خصومها، وعلى رأسهم بالطبع "الحضارة الإسلامية".

ولكن هذه النظرية أيضا سرعان ما ثبت تهافتها الفكري وعدم واقعيتها، فهي ليست إلا نتيجة لتعصب قومي سياسي، نظر له باحث استراتيجي أبعد ما يكون عن الإلمام بالحقائق العلمية المعروفة بالبداهة. فالحضارة الإنسانية كما يقر المفكر السعودي تركي الحمد، ليست إلا كلاً واحداً لا يتجزأ في جوهره، وهي عبارة عن تراكم علمي وثقافي للحضارات الإنسانية المتعاقبة، والتي تساعد كل منها في نقل التجارب والمعارف التي اقتبستها عن أسلافها من الحضارات الأخرى وقامت بتوطينها والإضافة إليها، ثم توريثها للحضارات التي تعقبها لاستمرار المسار التصاعدي للحضارة البشرية.

وعليه فإن الصراع الذي كان ولا يزال قائماً بين معظم الجماعات البشرية منذ فجر التاريخ الحضاري للإنسان وحتى اليوم، ليس إلا صراعا بين الثقافات، وهو مبني على التباين والتضاد بين القيم والمعتقدات التي تقوم عليها، والتي تمثل بمجموعها الوعي الجماعي الذي يعبر عن هوية هذا المجتمع أو ذاك، وهي كما نعلم خصوصية ذات قيمة عالية لدى الفرد والمجتمع، ومستمدة من الغريزة الإنسانية في التعبير عنها والدفاع عن وجودها واستمراريتها.[1]

والغريب في الأمر أن الصراع الثقافي لم يعد مقتصرًا فقط على ما هو قائم بين الدول النامية وتلك المتقدمة، بل بات الكثير من المثقفين والسياسيين في الدول المتقدمة

[1] تركي الحمد، **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص ص 64- 66.

نفسها قلقون حيال الغزو الذي ينال من ثقافاتهم المحلية، فدولة غنية ومتقدمة مثل كندا، على سبيل المثال، لا تعدو أن تكون، وحسب تعبير أحد كبار مسؤوليها سوى نملة صغيرة أمام الفيل الأمريكي الضخم، بينما يشير أحد الباحثين الكنديين إلى أن المواطن الكندي، وتحت تأثير المسلسلات والأفلام البوليسية الأمريكية، لم يعد قادرا على التمييز بين قوى الجندرمة الكندية والشرطة الفدرالية الأمريكية، بل إن مبادئ القضاء الكندي نفسه لم تعد واضحة أمام طغيان النظام القضائي الأمريكي، الذي بات حاضراً بشكل شبه يومي على الشاشات الكندية، مما يهدد بفقدان الهوية الكندية لدى المواطنين، وخاصة لدى فئات الشباب والمراهقين.[1]

وكذلك تعاني النمسا من عدم قدرتها على وضع سياسة اتصالية تعزز خصوصيتها الثقافية أمام الكم الهائل من المعلومات التي تقذف بها وسائل الإعلام الأجنبية، ويكاد الأمر ذاته يتكرر لدى دول أوربية أخرى مثل بلجيكا، هولندا، سويسرا، أسبانيا والبرتغال.

بينما أبدت الحكومة البريطانية تخوفها من تحول المشاهد البريطاني إلى البرامج الأوربية التي تطلقها قناة أوربية مختلفة من بروكسل (عاصمة الاتحاد الأوربي) عبر قمر "استرا ASTRA" مما يهدد ثقافة المواطن الانكلوسكسونية. [2]

وأما في فرنسا، فالقلق الشعبي والرسمي على الثقافة الوطنية بات من أولويات هموم المواطن العادي، فبعد أن عبر الرئيس الفرنسي "جيسكار ديستان Giscard

[1] إياد شاكر البكري، **عام 2000: حرب المحطات الفضائية**، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، 1999، ص 250.

[2] نفس المرجع ، ص ص 250- 251.

d'Estaing"، في عام 1976، عن قلقه إزاء تراجع الإنتاج التلفزيوني المحلي أمام المنافسة الأمريكية، بدأت التصريحات الرسمية والإعلامية بالتنديد بهذه الظاهرة، فكان أن حذّر مجلس الشيوخ من أخطارها في تقرير صدر له عام 1979.

ثم بدأت بعض الصحف الفرنسية منذ مطلع الثمانينات بعرض سلسلة من المقالات حول الغزو الثقافي وأخطاره، كان من أهمها مقال رئيس تحرير "اللوموند" في العدد الصادر بتاريخ 1980/7/4 تحت عنوان "حيث تنتصر أمريكا". كما باتت تصريحات وزير الثقافة الأسبق "جاك لانغ" مزعجة لدى بعض المسئوولين الأمريكيين لجرأتها البالغة، والتي مهدت لصدور العديد من الكتب التي تبحث في مستقبل الثقافة الفرنسية في ظل النظام العالمي الجديد الذي أعلنت الولايات المتحدة قيامه – في مطلع التسعينات– تحت قيادتها، وكان من أشهر هذه الكتب: كتاب "الحرب الثقافية" لـ"هنري جوبار"، و"فرنسا المستعمرة" لـ"جاك تيبو".[1]

ولعل من أكثر التصريحات وضوحاً، ذلك الذي أطلقه وزير الخارجية الفرنسي الأسبق "كلوشيسون Claude Chaisson " مخاطبا نظراءه من العرب في مؤتمر أقيم في مارس عام 1993 قال فيه: " إننا نحن، العرب والفرنسيين، نواجه مأزقا متشابها بفعل

[1] محمد علي حوات، **العرب والعولمة.. شجون الحاضر وغموض المستقبل**، مكتبة مدبولي، القاهرة،2002، ص176.

الأمريكيين، وما علينا إلا أن نوحد جهودنا لإيجاد حالة توازن وتعاون وانفتاح متزن، بدلاً من التقوقع أو الاستمرار فقط بالتذمر، وإنما يجب أخذ المبادرة قبل فوات الأوان".[1]

ونتساءل هنا: إن كانت هذه الدول الأوربية سالفة الذكر والتي تشكل جزء لايتجزأ من الحضارة الغربية التي لا تجد ضيرًا في فرض ثقافتها على بقية شعوب العالم وبكل ما تملكه من مقدرات ثقافية وحضارية وبشرية، تبدي كل منها تخوفها على ثقافتها المحلية، أمام غزو ثقافات الدول الصديقة التي تشاركها في نهجها الحضاري.

إنالتطور العالمي المذهل في مجالات العلم والتقنيات، وتزايد اعتماد الاقتصاد العالمي على منتجات التكنولوجيا الراقية، والانتشار السريع للثقافة الغربية في أنحاء العالم، مدفوعة بتفوقها الكبير في قطاع المعلومات والاتصالات وسيطرتها على الأقمار الصناعية التي تحيط بالعالم من كل جوانبه، جعل كل ذلك من قضية العلم والثقافة في الدول النامية أمرا بالغ الأهمية، مما دفعها لعقد الاجتماع الأول لخبراء التربية والثقافة والإعلام لدول عدم الانحياز في مكسيكو عام 1982 قبل انعقاد قمة دلهي لدول الحركة في عام 1983 وذلك بهدف بحث سبل التعاون الثقافي فيما بينها، وحمايتها مما سمي بهواجس "استلاب الشخصية"، ولم يتردد حينها وزير الثقافة الفرنسي الأسبق "جاك لانغ Jack Lang " الذي دعي إلى الاجتماع، في التنديد بما أسماه بالإمبريالية الثقافية الأمريكية.[2]

---

[1] الإمام الخامنئي، **الغزو الثقافي .. المقدمات والخلفيات التاريخية**، مؤسسة دار الولاية، بيروت، د.ت، ص ص 13- 14.

[2] غسان العزي، **سياسة القوة، مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى**، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت 2000، ص164.

ومع تزايد مخاوف الدول العربية من الغزو الثقافي الذي تطبقه الدول المتقدمة في عالم شديد التباين بين شماله وجنوبه، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة – الأسبق– "خافيير بيريز ديكويلار Javier Perez de Cuellar " الفترة الواقعة بين عامي 1988 و1991 عن العقد العالمي للتنمية الثقافية بالاشتراك مع مؤسسة العمل الثقافي الدولي المشترك (اليونسكو)، وقال في خطابه آنذاك: "إن مجهودات التنمية أخفقت لأن أهمية العنصر البشري، ذلك المزيج المعقد من العلاقات والمعتقدات والقيم والدوافع الذي يكمن في قلب الثقافة، لم يقدر حق قدره في كثير من مشروعات التنمية"[1]، وكأنه بهذا يشير إلى ذلك التناقض الواقع بين تبني كل من مقولتي التنمية الشاملة وحوار الثقافات، وبشكل مضمر.

ويتضح لنا هذا التناقض– وبعيدا عن التناقضات الفلسفية– مع الكشف عن تلك العلاقة التي لا يمكن تجاهلها بين التنمية الشاملة من جهة وقوانين العرض و الطلب وآليات السوق من جهة أخرى والتي باتت دستورا مقدسا يحكم علاقات البشر فيما بينهم سواء داخل المجتمع الواحد أو في منظومة العلاقات الدولية بأوسع أشكالها.

وكان تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية التي ترأسها ديكويلار de Cuellar بنفسه عقب انتهاء مهمته شاهدا كبيرا على هذا التناقض، ودليلا على فشل عالم القرن العشرين، في تجاوز تلك العقبات العنصرية والمذهبية التي طالما وقفت عائقا في وجه أي حوار أو تعاون بين الأمم منذ سطّر الإنسان تاريخه المضخم بالصراع والحروب.

[1] عبد السلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 1997، ص ص 2– 10.

وقد عبر جابر عصفور عن ذلك واضحا في تصديره للترجمة العربية لهذا التقرير، والتي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر بقوله: "ما من أمل في سلام البشرية ما ظلت حضارة من الحضارات أو ثقافة من الثقافات أو أمة من الأمم بدعوى أن الطبيعة والتاريخ ميزاها على غيرها بما لا يمتلكه سواها".[1]

وعلى الرغم من انتشار مفهوم العولمة، فإن العالم يفتقر إلى وجود وعي عالمي أي إدراك الأفراد لهويتهم الكونية أكثر من الهويات المحلية، فواقعيًا، لا زالت الهويات المحلية تتصارع مع تلك الهوية العالمية التي تهيمن عليها القوى الكبرى اقتصاديًّا ونموذجًا حياتيًّا، فعلى سبيل المثال تتسارع العولمة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية سعيًا وراء تقليل فوارق المسافة، وتخلق السياسة العديد من الفجوات بين الدول. وتعبر هذه السلوكيات عن جدلية إدراك الإنسان لدوره ككائن اجتماعي من ناحية، وكفرد يتصارع عالميًا سعيًا وراء مكانة خاصة.

ويرى بعض الباحثين أن الإشكالية في العلاقة بين العالمي والمحلي تتفاقم حين تحاول القوى العالمية الكبرى مثل: الولايات المتحدة أن تُعطي الطابع العالمي لما هو محلي لديها من أجل تحقيق مصالحها الخاصة، ويرجع انتشار هذا النموذج الأمريكي إلى امتلاك الولايات المتحدة لمنافذ إعلامية عديدة وعالمية.

يطلق الباحثون على تلك العملية، عولمة المصالح المحلية، ومن المهم إدراك أن مفهوم العولمة يرتكز على عملية ثنائية الأبعاد: كونية الارتباط، ومحلية التركيز، وهذا التضاد هو طبيعة كل واقع جديد، لذلك يمكن أن نطلق عليها لفظ العولمة المحلية.

[1] عبد السلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مرجع سابق، ص86.

المبحث الأول: مفهوم العولمة

المطلب الأول : العولمة لغة

العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن فوعلة، مشتق من كلمة العالَم، كما يقال:قولبة، اشتقاقا من كلمة قَالَب، إذن كلمة "العولمة " نسبة إلى العَالم – بفتح العين– أي الكون، وليس إلى العِلم – بكسر العين– والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العِلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه دحرجة المصدر، لكن دحرجة رباعي منقول، أمّا عولمة فرباعي مخترع، إن صحّ التعبير، وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم وأصبحت الكلمة دارجة على ألسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي.[1] ويرى الدكتور أحمد صدقي الدجاني أن العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا

[1] محمد عابد الجابري، **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت 2010م، ص 135.

الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أنّ العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم.[1]

وننّبه إلى أنّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرّر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً.[2] والعولمة ترجمة لكلمة Mondialisation الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة إنّما هي ترجمة "Globalization" الإنجليزية التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالمًا واحدًا، موجهًا توجيهًا واحدًا في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبة.[3] ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني: تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله.[4]

جاء في المعجم الجديد ويبستر WEBSTER أنّ العولمة "Globalisation" هي: إكسابُ الشيء طابعَ العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه،عالمياً.(5)

---

[2] أحمد صدقي الدجاني، **مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة**، جريدة القدس، 2/6 /1998م. ص13.

[3] محمود فهمي حجازي، **العولمة**، مجلة الهلال، عدد مارس 2001، القاهرة، ص87.

[1] ياسر عبد الجواد، **مقاربتان عربيتان للعوامة**، المستقبل العربي، عدد 252 شباط، 2000م ص2.

[2] محمد عابد الجابري، **العرب والعولمة**، مرجع سابق، ص 136-137.

[3] **WEBSTER**,NEW COLLEGIATE DICTIONARY, 1991, P 521.

المطلب الثاني : العولمة اصطلاحاً

استعمل مصطلح العولمة لأول مرة عام 1968، من طرف الكاتب مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan في مؤلفه "الحرب والسلم في القرية العالمية"، عندما تحدث عن تأثير التلفزيون في سير الحرب في الفيتنام، حيث أن أجهزة الإعلام الحديثة تجعل من الكون قرية واحدة[1]

لم يستعمل المصطلح حتى عام 1983 من طرف " تيدور لوفيت Theodore Levitt" في مقاله المعنون عولمة السوق، ثم جاء بعده زبيغينو بريجينسكي Zbigniew Brzezinski 1977 – 1980م الذي أصبح فيما بعد مستشارا للرئيس الأمريكي جيمي كارتر Jimmy Carter ، ووظف هذا المصطلح انطلاقا من امتلاك أمريكا لـ 75 % من مجموع الاتصالات العالمية، على أن تملك نموذجا كونيا للحداثة يحمل القيم الأمريكية التي يذيعونها دوما في الحرية وحقوق الانسان.[2]

العولمة تعني اصطلاحا اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع أقوامها وكل من يعيش فيها وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراق، وهي أيضاً العملية التي تقوم من خلالها المؤسسات، سواء التجارية أو غير التجارية، بتطوير تأثير عالمي أو ببدء

[4] عبد القادر تومي، **العولمة فلسفتها، مظاهرها، تأثيراتها**، مجلة كنوز الحكمة، 2009، ص 18.

[2] صالح الرقب، **أتعرف على العولمة**، دار البحار للطباعة والنشر، د.ت، ص 3.

العمل في نطاق عالمي. ولا يجب الخلط بين العولمة كترجمة لكلمة globalization الإنجليزية، وبين "التدويل" أو "جعل الشيء دولياً" كترجمة لكلمة internationalization فإن العولمة عملية اقتصادية في المقام الأول، ثم سياسية، ويتبع ذلك الجوانب الاجتماعية والثقافية وهكذا.

ويعرفها رونالد روبرتسون Ronald Robertson قائلا " :العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش.[1]

أما جعل الشيء دولياً فقد يعني غالباً جعل الشيء مناسباً أو مفهوماً أو في المتناول لمختلف دول العالم. وقد عرضت تعريفات متعددة للعولمة، حتى التوصل إلى أنه ليس هناك تعريف جامع مانع لها، فهو مصطلح غامض في أذهان كثير من الناس ،ويرجع سبب ذلك إلى أن العولمة ليست مصطلحاً لغوياً قاموسياً جامداً يسهل تفسيرها بشرح المدلولات اللغوية المتصلة بها، بل هي مفهوم شمولي يذهب عميقاً في جميع الاتجاهات لتوصيف حركة التغيير المتواصلة . ولكن مما يلاحظ من التعريفات التي أوردها الباحثون والمفكرون التركيز الواضح على البعد الاقتصادي لها، لأن مفهوم العولمة بداية له علاقة وطيدة بالاقتصاد والرأسمالية وهذا ما جعل عدداً من الكتاب يذهبون إلى أن العولمة تعني : تعميم نموذج الحضارة الغربية – خاصة الأمريكية – وأنماطها الفكرية و السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله.أيضاً العولمة عملية تحكم وسيطرة ووضع قوانين وروابط، مع إزاحة أسوار وحواجز محددة بين الدول وبعضها البعض؛ وواضح من

[1] رونالد روبرتسون. **العولمة، النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية**، ترجمة أحمد محمود ونورا أمين، الطبعة الأولى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 19 .

هذا المعنى أنها عملية لها مميزات وعيوب. أما جعل الشيء دولياً فهو مجهود في الغالب إيجابي صرف، يعمل على تيسير الروابط والسبل بين الدول المختلفة.

إضافة إلى أن العولمة ظاهرة من الظواهر الكبرى ذات الأبعاد و التجليات المتعددة، و الظواهر الكبرى توصف أكثر مما تُعرّف، كما يقول أحد الفلاسفة " : إن كل ما ليس له تاريخ لا يمكن أن يُعرف تعريفاً مفيداً " و العولمة مما ينطبق عليه ذلك إلى حدٍ بعيد و لهذا كثرت تعريفات العولمة و أصبحت تمثل رؤى شخصية، فكلٌ يُدلي بما عنده من العولمة، و يصوغ ما يشاء من التعريفات بناء على مشاهداته و معلوماته عن هذه الظاهرة سواء التاريخية أو من خلال التجارب الشخصية .[1]

فعلى الرغم من كثرة الكتابات عن ظاهرة العولمة و تنوع الأطروحات في الأساليب و المجالات ، التي تتناول العولمة إلا أنها لا تزال غامضة لدى الكثيرين، بل قد ينعكس الأمر فلا يزيد المثقفون الناس إلا تعمية بها.

ففي أفريل عام1998 م عقد مؤتمر فكري بالقاهرة لمدة خمسة أيام عن العولمة وقضايا الهوية الثقافية، و على الرغم من البحوث والمداخلات الكثيرة إلا أن المؤتمر انتهى – كما تقول أحدى التحقيقات عنه – كل واحد يفهم العولمة بغير ما يفهمها الآخر، وكل واحد وقف عند فهمه وقد قال أحد المعلقين في المؤتم : لقد خرجنا من المؤتمر بأسئلة أكثر مما دخلنا فيه، وبحيرةٍ أكثر عن العولمة .[2]

[1] التو يجري عبد العزيز بن عثمان، **حوار من اجل التعايش**، دار الشروق القاهرة، 1998، ص61 .

[2] عتريسي طلال، **العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية**، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1998، ص 45.

إنّ كلمة العولمة جديدة، وهي مصطلح حديث لم يدخل بعد في القواميس السياسية والاقتصادية، وفي الواقع يعبر مصطلح العولمة عن تطورين هامين هما:-

التحديث Modernité والاعتماد المتبادل interdépendance، ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية المعاصرة.

لقد ظهرت العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاً أو حالة ذات أبعاد متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات والاتصال والسياسة والفكر والتربية والاجتماع والإيديولوجيا.[1]

وقد أطلق على العولمة بعض الكتاب والمفكرين النظام العالمي الجديد وهذا المصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي جورج بوش-الأب- في خطاب وجهه للأمة الأمريكية بمناسبة إرساله القوات الأمريكية إلى الخليج في أغسطس 1990م، وفي معرض حديثه عن هذا القرار، تحدّث عن فكرة:عصر جديد، وحقبة للحرية، وزمن للسلام لكل الشعوب. وبعد ذلك بأقل من شهر أشار إلى إقامة نظام عالمي جديد يكون متحرراً من الإرهاب، وأكثر أمنا في طلب السلام، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم أن تنعم بالرخاء وتعيش في تناغم.

وربّما يوحي هذا الإطلاق- النظام العالمي الجديد- بأن اللفظة ذات مضامين سياسية بحتة، ولكن في الحقيقة تشمل مضامين سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية

[1] عبد العزيز بن عثمان التو يجري ، **حوار من اجل التعايش**، مرجع سابق، ص 138.

وتربوية،[1] بمعنى آخر تشمل مضامين تتعلق بكل جوانب الحياة الإنسانية. ولقد فرضت العولمة نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسياً واقتصادياً، فكرياً وعلمياً، ثقافياً وإعلامياً، تربوياً وتعليمياً.[2] يقول الرئيس الأمريكي السابق كلينتون: "ليست العولمة مجرد قضية اقتصادية بل يجب النظر إلى أهمية مسائل البيئة والتربية والصحة".[3]

والنظام العالمي الجديد: هو في حقيقة أمره وطبيعة أهدافه، نظامٌ صاغته قُوى الهيمنة والسيطرة الغربية لإحداث نمط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وإعلامي واحد وفرضه على المجتمعات الإنسانية كافة، وإلزام الحكومات بالتقيّد به وتطبيقه.[4] يقول الدكتور يوسف القرضاوي:إنّ العولمة هي اسم للاستعمار في أشكال جديدة، وهي نوع من السيطرة الأمريكية على العالم، ووصف العصر الحالي بأنّه عصر الأمركة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.[5]

ولقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة، نذكر هنا بعضاً منها، ثم اذكر التعريف الذي أرى أنّه يعبر عن المعنى الحقيقي لظاهرة العولمة.

---

[2] محمد سعيد أبو زعرور، **العولمة**، دار البيارق– عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1418هـ–1998م، ص 13.

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري، **العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي**، مرجع سابق، 141.

[2] كلينتون، خطاب ألقاه في المنتدى الاقتصادي بدافوس في يناير 2000م .

[3] **العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي**، مصدر سابق، ص 62.

[4] عبد العزيز بن عثمان التويجري، **العولمة والحياة الثقافة في العالم الاسلامي**، مرجع سابق، ص15.

ومن هذه التعريفات:-

يقول جيمس روزانو Rozano أحد علماء السياسة الأمريكيين عن العولمة: "إنّها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيديولوجيا، وتشمل، إعادة الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة".[1]

وصف الكاتب الأمريكي الشهير وليم جريدر William Greider في كتابه الصادر عام 1977م بعنوان(عالم واحد..مستعدون أم لا)، العولمة "بأنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وأنّها قادرة علي الحصاد وعلي التدمير، وأنّها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة, وبقدر ما هي منعشة، فهي مخيفة. فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثمّ لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها".

يقول محمد سعيد أبو زعرور:هي "نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم".[2]

[1] نعيمة شومان، **العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة**، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت 1418هـ- 1998م، ص 40 .

[2] محمد سعيد أبو زعرور، **العولمة**، مصدر سابق، ص 14.

ويعرفها مصطفى محمود فيقول:"العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلاّ خادم للقوى الكبرى".

يقول أحمد مجدي حجازي العولمة هي:"العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة".[1]

والمواثيق الإنسانية الواردة في هذا التعريف هي المواثيق التي يصنعها الغرب الكافر وأساسها نظرة علمانية مادية للوجود لتحقيق مصالحه الخاصة، ثم تصدر للعالم على أنها مواثيق إنسانية لصالح البشرية، ولا بأس أن تصدر بها القرارات الدولية من هيئة الأمم المتحدة باعتبارها مؤسسة حامية للحقوق الإنسانية.

ويرى محمد إبراهيم المبروك أن العولمة: "هي تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي" أو

[1] أحمد مجدي حجازي، **العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية**، وهو بحث ألقي في المؤتمر العلمي الرابع، **الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية**، المنعقد بجامعة فيلادلفيا في الأردن في مايو 1998م، ص3.

هي "محاولة لفرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع".[1]

ويعرف محمد عابد الجابري العولمة بقوله هي:"العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته".[2] أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساسا على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا وبشريا، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية.

وفي تعريف آخر يقول محمد عابد الجابري: "أنّ العولمة منظومةً من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يُراد بها إكراه العالم كلِّه على الاندماج فيها، وتبنّيها، والعمل بها، والعيش في إطارها".[3]

وبعد دراسة متأنية لظاهرة العولمة وأهدافها ووسائلها وتأثيراتها في واقع المجتمعات والشعوب يمكن أن نعرف العولمة بما يلي:

---

[2] محمد إبراهيم المبروك وآخرون، **الإسلام والعولمة**، الدار القومية العربية، القاهرة 1999م، ص ص، 99،101 .

[3] محمد عابد الجابري، **لعرب والعولمة**، مرجع سابق، ص 137.

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري، **العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي**، مصدر سابق، ص 74.

العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد.

وما يمكن قوله هنا عن العولمة بصفتها ظاهرة معاصرة نعيشها في نهاية هذا العقد أنها توجه ودعوة تهدف إلى صياغة حياة الناس لدى جميع الأمم ومختلف الدول وفق أساليب و مناهج موحدة بين البشر و إضعاف الأساليب والمناهج الخاصة، وبالذات ما يُخالف تلك الصياغة وهذه الصياغة تتم عن طريق وسائل.

المطلب الثالث : تاريخ تطور العولمة ومجالاتها

1/ مراحل تطور العولمة

من الصعب الوقوف على الفترة الحقيقية لظهور العولمة حيث أن الفكرة يعود تاريخها إلى قرون قديمة تتمثل منذ ظهور حاجة الإنسان إلى والتوسع والانتقال من محيطه إلى الأمصار المجاورة بحثاً عن الرزق وتوسيع ألتجارة كما تتمثل البذرات الأولى للعولمة في محاولة العديد من الأديان والحركات في نشر أفكارها ومبادئها من المجتمع الضيق الذي ظهرت فيه إلى المجتمعات الأخرى ومحاولة التأثير في تلك المجتمعات.

إن أي نشاط يقوم به الإنسان فإنه يعتبر نشاطاً عولميا بوصفٍ ما أو بمقياسٍ ما، ولهذا لم يُجزم ببداية لهذه الظاهرة فيما سلف، ولكنهم يشيرون إلى محطاتٍ تاريخية في أحداث ووقائع تجلت فيها حركة العولمة، وأهم هذه المحطات :

أولاً : كان العرب في الماضي هم المطورون الأوائل لأنظمة التجارة عبر البلدان، وكان المقر الرئيس لذلك النشاط يتمركز في جزيرة هرمز، وقد استمرت هذه الحال إلى نحوٍ عام 1600م، لكن البرتغاليين قاموا خلال القرن الخامس عشر ببرامج بحث وتطوير في التقانة البحرية في (ساجرس) وكان الهدف لذلك البرنامج بناء أسطول بحري يتم فيه تحدي نظام التجارة الدولي الذي يهيمن عليه العرب، وقد نجح البرتغاليون في صنع السفينة العابرة للمحيطات والتي بإمكانها عبور المحيط الأطلسي، وحمل مئة قطعة مدفعية، وكان لهذه التقانة البحرية الجديدة بداية عصر الاكتشافات الجديدة، فقد حققت أوروبا في عام 1500م تعادلاً تقانيا مع العرب، إلا أن ميزان القوة بين الطرفين منذ ذلك الحين أخذ يتقوض بسرعة بسبب سلسلة من التقدمات العلمية والتقانية الأوروبية، مثل إحلال قوة البخار محل قوة العضلات، واكتشاف توليد الطاقة الكهربائية ونحوها.

حتى اطرد نمو الهيمنة الغربية خلال القرون الخمس الماضية باستثناء حقب قصيرة . وكانت تلك الهيمنة إبان الاستعمار العسكري للدول الضعيفة في أوج قوتها كما جرى في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وهذا إيذان بأن قيادة العولمة أصبح في أيدي الغرب.

ثانيا : لما انتهت الحرب العالمية الثانية عام1945 م كانت قد خلفت آثاراً تعد منعطفا مهماً في تاريخ العولمة، إذ أنه بدا واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية، وإنما ثقافية واقتصادية، وهذا ما سينتج عنه في النهاية هيمنة سياسية شاملة لكل المناحي، ومن هنا تم وضع الخطط لتجاوز النتائج المأساوية التي نتجت عن الحرب العالمية الثانية.

جعلت الولايات المتحدة الأمريكية تخصص في تلك الحقبة ما بين عامي 1948-1951 أكثر من اثني عشر مليار دولار من أجل إعادة بناء الدول الصناعية الغربية واليابان وذلك عبر مشروع مارشال[1]، ولم يكن هذا كرماً ذاتياً من الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها كانت ترى بعداً في هذا البذل سيتحقق لها، وهو أنها ستجعل من أوروبا واليابان جزء من سوق مفتوحة تساعدهم فيها على استيراد المصنوعات الأمريكية، وإيجاد فرص للاستثمار، بالإضافة إلى إعادة تنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف ووسائل الدفع الدولية، وقد تمثل ذلك بظهور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

ومن هنا عدَّ بعض الباحثين أوساط عقد الأربعينيات الحقبة التي وضع فيها حجر الأساس لعولمة غربية. وقد سعت أمريكا إلى تسييد أصحاب الأعمال وإضعاف التكتلات العالمية.

ثالثاً : من المؤكد أنه لم يكن معترفاً بالعولمة في الدوائر العلمية على أنها مفهوم له أهميته قبل عقد الثمانينيات، مع أنها كانت تستخدم على نحوٍ متقطع، أما خلال النصف الثاني من ذلك العقد، فقد اختلف الأمر حيث أعلن جورباتشوف Gorbatchev [2] عن قيام ثورة التغيير وإعادة البناء وهذا يعني عند التحقيق انهيار الاتحاد السوفييتي سياسياً واقتصادياً، كياناً ونفوذا، كما أنه كان يعني اتجاه الخصم العنيد للغرب

[1] **مشروع مارشال** هو المشروع الاقتصادي لإعادة تعمير أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الذي وضعه الجنرال جورج مارشال رئيس هيئة أركان الجيش الأميركي.

[2] **ميخائيل جورباتشوف** آخر رئيس للإتحاد السوفييتي، ولد سنة 1931م، أمين عام الحزب الشيوعي، ورئيس الاتحاد السوفييتي سابقا.

خطوات واسعة نحو المنهجية الغربية في السياسة والاقتصاد، وكان ذلك في كل المعايير انتصاراً لليبرالية والرأسمالية، وتلا ذلك سقوط جدار برلين عام 1989م وأخذت الدول التي كانت تشكل حلف وارسو تنضم الواحدة تلو الأخرى إلى الحلف الأطلسي، وتبع ذلك انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها الأسواق في الصين وأوروبا الشرقية وروسيا، وصار انتقال الأفكار وأنماط العيش ورؤوس الأموال والخبرات التنظيمية والتقنية أكثر سهولة، وأوسع مدى من أي مرحلة سابقة وهذه المرحلة الأخيرة مازالت مستمرة، فيها تعمق استخدام مصطلح العولمة واكتسب معانٍ ودلالات جديدة.

أما فكرة مصطلح العولمة بمفهومها الجديد فقد ظهر في القرن الأخير(أواخر القرن العشرين) نتيجة التطور الكبير في مجالات الاتصال وتكنولوجية نقل المعلومات، فأصبح العالم قرية واحدة أُزيل عنها جميع الحدود الجغرافية الفاصلة وبرزت العولمة كتحد في العقدين الأخيرين وما صاحبها من تغيرات عالمية داخلية وخارجية متسارعة لصالح الغرب، ثم شاع هذا المصطلح في التسعينات بعد انهيار المعسكر الشيوعي، واستفراد أمريكا بالعالم، ولاسيما عندما طالبت أمريكا دول العالم بتوقيع اتفاقية التجارة العالمية بقصد سيطرة الشركات العابرة للقارات على الأسواق العالمية، مما يؤكد أن العولمة بثوبها الجديد أمريكية المولد والنشأة .

ويرى الباحثون الذين تحدثوا عن نشأة العولمة أن العولمة عملية تراكمية، أي أن هناك عولمات صغيرة سبقت ومهدت للعولمة التي نشهدها اليوم، والجديد فيها هو تزايد وتيرة تسارعها في الفترة الأخيرة بفضل تقدم وسائل الإعلام والاتصال، ووسائل النقل والمواصلات والتقدم العلمي بشكل عام، ومع ذلك فهي لم تكتمل بعد.

2/ مجالات العولمة وأبعادها

أولا – المجال الاقتصادي للعولمة

إن الاقتصاد ليس مجرد تبادلات ما دية معزولة عن المشاعر، فحينما يتوحد أناس في ظل منظومة اقتصادية معينة، وتتداخل مصالحهم تقوم مشاعر الولاء والامتزاج بالآخر الذي ارتبطت به بعض مصالحهم حتى لو كانت مصالح المغلوب فيها، هذه الفلسفة هي التي كان يرمي بها شمعون بيريز في مشروعه الشرق أوسطي حيث برهن على أن الحروب هي أسوأ وسائل السيطرة، بل إن السيطرة الحقيقية تكون بالاقتصاد والتكنولوجيا والعلم، وأن دول الشرق الأوسط قد أنفقت الكثير على الحروب والدمار ولا بد أن نكسر الحواجز النفسية لوضع منظومة اقتصادية يرتبط بها الجميع.[1]

وقد تمكنت الولايات المتحدة من إقامة مؤسسات اقتصادية رأسمالية عي نطاق عالمي مثل: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي واتفاقية الجات، إضافة إلى عشرات الاتفاقيات التجارية الثنائية أو متعددة الأطراف مع مختلف دول العالم .

لقد برز مفهوم العولمة الاقتصادية حديثا نتيجة التطور التكنولوجي و شهدت فترة التسعينيات من القرن العشرين نقطة تحول بارزة في النظام الاقتصادي العالمي والعلاقات الاقتصادية الدولية فبعد انهيار النظام الاشتراكي سادت النظرية الاقتصادية الغربية التي تعتمد على اقتصاد السوق والمنافسة، وتعظيم دور القطاع الخاص، وتقليص

[1] خالد أبو الفتوح، **العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة**، مجلة البيان ، ذو الحجة 1419هـ ، ص 97 .

دور قطاع الاتصالات في العالم، واتساع نشاط التجارة بين الدول، فالعولمة الاقتصادية تمثل الانفتاح الاقتصادي، والمنافسة في الأسواق، وتوسيع الأسواق، والنمو المتسارع لتبادل السلع والخدمات، واستخدام التكنولوجيا وحركة رؤوس الأموال عبر الدور العام في النشاط الاقتصادي .

هذه التجليات الاقتصادية تظهر بوجه خاص من خلال عمل التكتلات الاقتصادية العالمية، وإنشاء منظمة التجارة العالمية ونشاط الشركات الدولية، والمؤسسات الدولية الاقتصادية كالبنك الدولي وغيره، وقد انفرد النظام الاقتصادي الرأسمالي في تشكيل النظام الاقتصادي الدولي وفق الأسس الآتية :

- إحلال اقتصاد السوق الحر محل الاقتصاد الموجه .

- تحرير أسعار الخدمات من التدخل الحكومي و ترك مهمة تحديد الأسعار لآليات السوق الحر .

- إلغاء الدعم السلعي والخدمي بكافة صوره المباشرة وغيرالمباشرة لتعكس الأسعار القيمة الحقيقية للسلع والخدمات وعناصرالإنتاج .

- تحرير التجارة الخارجية من القيود الجمركية، والكمية، والإدارية بما يحقق انسياب السلع بين الدول و فق مبدأ المنافسة الحرة.

- تحرير وتعويم أسعار صرف العملات المحلية، وترك تحديد سعر الصرف لقوى العرض والطلب في السوق النقدية.

- تحرير أسعار الفائدة في سوق النقد وترك تحديد سعر الفائدة وفقا لقوى العرض والطلب على النقود.

– خصخصة المشروعات العامة، وتقليص دور القطاع العام في النشاط الاقتصادي وتفعيل دور القطاع الخاص ليكون له الدور الفعَّال في النشاط الاقتصادي والاستثمار الإنمائي.

تظهر في عمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية وفي وحدة الأسواق المالية وفي عمق المبادلات التجارية في إطار لا حماية فيه ولا رقابة وأبرز شيء في ذلك إنشاء منظمة التجارة الدولية وهنا تثار مشكلة " أزمة الدولة القومية " ودور الدولة في العولمة الاقتصادية.

العولمة الاقتصادية تظهر في عمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية وفي وحدة الأسواق المالية وفي عمق المبادلات التجارية في إطار لا حماية فيه ولا رقابة وأبرز شي في ذلك إنشاء منظمة التجارة الدولية وهنا تثار مشكلة " أزمة الدولة القومية " ودور الدولة في العولمة الاقتصادية.

لاشك أن الجانب الاقتصادي هو أبرز مجالات العولمة، فقد شكّلت العولمة في جانبها الاقتصادي تياراً هادراً متصاعداً من أجل فتح الأسواق أمام حرية التجارة، وما يرتبط بذلك من إزالة الحواجز أمام تدفق السلع والخدمات والبرمجيات في ظل التكتلات الاقتصادية الكبرى، وبواسطة الشركات العملاقة عابرة القارات، ومن خلال المؤسسات المالية الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، وذلك في الوقت الذي تتحول فيه اقتصاديات الدول النامية إلى اقتصاد السوق، وهي اقتصاديات هشة يطلقون عليها (اقتصاديات الفقاعات) أي أن شكلها جميل ولكنها جوفاء، إذ إنها بدون أعمدة اقتصادية قوية، فهي تعاني: تصدعاً في نظم الإنتاج وتِدّنياً في مستوياته،

وتراجعاً في معدلات النمو والاستثمار والدخل القومي ومتوسط الدخل الفردي، وتصاعداً في معدلات البطالة والتضخم والأمية ومشكلات الصحة والإسكان والتعليم، وضعفاً في البني التحتية والأساسية، وتآكلاً في الموارد[1] .

وهنا يكمن فخ العولمة أو الكذبات العشر كما يسميها جيرالد بوكسبرغر Gerald Boxberger و هارالد كليمنتا Harald Clementa، إذ أن ما تبشِّر به العولمة لن يتحقق منه شيء.

ففي ظل الهوة بين مستوى القوى الاقتصادية للغرب وبين القوة الاقتصادية للدول النامية، بل إن الكارثة المحققة ستقع حتماً في ضوء تقارير الأمم المتحدة عن حال التنمية البشرية في عالم على مستوى الدول والأفراد.[2]

فحصة الدول الصناعية من الناتج العالمي المتحقق في عام 1993م كان 18 تريليون دولاراً، وكانت حصة الدول النامية 05 تريليونان فقط مع أنها تضم زهاء 80% من عدد سكان العالم.

وفي تقرير الأمم المتحدة للعام 1998م كان نادي الملياردیرات وهم بضع فئات من البشر يملكون ثروة تُقدر بأكثر من تريليون دولار أي ما يعادل الدخل السنور لأفقر 47% من سكان العالم وعددهم 2.45 مليار نسمة.

---

[1] محسن أحمد الخضيري، **العولمة الاجتياحية**، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2001م ص36-37.

[2] نايف علي عبيد، **العولمة: مشاهدة وتساؤلات**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2001م ص18-19.

فهل يُنتظر لمجتمع العولمة الاقتصادي إلا ما أخبر به ريكاردو بتريلا: أن تنضوي تحت لواء منطق الحرب، حيث لا خيار لنا إلا أن نقتل أو نُقتل ؟.[1]

ثانيا– المجال السياسي للعولمة

وتعني بث المفاهيم الغربية ونشرها؛ مثل الديمقراطية، والتعددية السياسية، وانتشار المنظمات غير الحكومية ، وقيام الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة بحماية حقوق الإنسان وصيانتها، وحماية الأقليات .وأيضاً العولمة الثقافية؛ بمعنى سيطرة القيم والمبادئ الغربية على العالم ، وتم ذلك من خلال التقدم الهائل في أجهزة الاتصال والإعلام، تتجلى في سقوط الشمولية والسلطة والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية والمشكلة حول الديمقراطية أهي نظرية غربية خالصة أم لثقافات المجتمعات العالمية تأثير عليها؟، وهل هناك إجماع على احترام مواثيق حقوق الإنسان؟.

وإذا كانت العولمة في جانبها الاقتصادي تمثل تياراً هادراً يجتاح كل المعوقات أمام فتح الأسواق وحرية التجارة، فإن العولمة في جانبها السياسي تفرض تساؤلات خطيراً مؤداه: هل ستُنهي العولمة دور الدولة القومية بما تتضمنه من السيادة والأمن القومي والمصلحة الوطنية ؟ وهل سيحل محلها شكلا آخر من أشكال الحكم ؟.

[1] ناهد طلاس العجَّة، **العولمة، محاولة في فهمهما وتجسيدها**، ترجمة، هشام حداد، ص123، دار طلاس، دمشق، 1999م.

إذ يبدو أن فكرة تلاشي الدولة التي روّج لها البعض كثيراً تُلح بقوة على منظَّري العولمة وإن اختلفت وسائل وأدوات وآليات تنفيذها ومراحلها.

فلم تعد الدولة في عصر العولمة هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسية، ومنظمات عالمية، وجماعات دولية فاعلة في تقليص السيادة الفعلية للدولة وتقييد حريتها في التصرف.[1]

فليست العولمة إلا مشروعاً سياسياً واعياً لدور الاقتصادي في التأثير على إعادة الهيكلة، وإزالة القيود الجمركية، وتحرير أسعار صرف العملات الوطنية، وإقامة المناطق التجارية الجمركية، وسيولة حركة رأس المال، وفي معاقبة المجتمعات المناوئة بالحرمان من رأس المال وتدفقه في شرايينها ومصارفها.[2]

ومن أهم سمات هذا المشروع السياسي العولمي هو انحصار الحدود القومية وتهشم الحدود الجغرافية، وانتهاء دور الدولة كوعاء أصغر لتفاعل قوى التطور وتفعيل العلاقة مع العالم، وإيذان ببدء التفاعل المباشر بين الفرد والعالم بتخطي الحدود والقوالب التقليدية، وتحول نحو نمط جديد من التراكيب الاجتماعية والبنيوية والاقتصادية والسياسية في إطار ترابط عالمي عابر للحدود وبمعزل عن القوميات والأعراق والأجناس.[3]

---

[1] **العولمة: مشاهد وتساؤلات**، مرجع سابق، ص23.

[2] جيرالد بوكسبرغر . هارالد كليمنتا، **الكذبات العشر للعولمة**، ترجمة: عدنان سليمان، دار الرضا للنشر، دمشق، 1999م ،ص ص 73- 74.

[3] عبد الله عثمان التوم، **العولمة، دراسة تحليلية نقدية**، دار الوراق للنشر، الطبعة الأولى، 1999، ص27.

وفي مواجهة هذه السمات للمشروع العولمي يرى بعض دارسي العولمة أن الدولة تظل خياراً لابد منه أمام المشروع العولمي فهي المؤسسة المحورية الوحيدة القادرة على خلق شروط التحكم الفعال من خلال حقها في التعبير عن أفراد شعبها المرتبطين بها بجوازات سفرهم وتأشيرات الدخول والخروج ومؤهلات العمل والإقامة وتنظيم السكان.[1]

ويبرِّر أصحاب هذا الاتجاه رؤيتهم لأهمية دور الدولة في المشروع العولمي بالأسباب التالية :[2]

إمتلاك الدولة لاثنين من مقومات الوجود هما: الهوية والشرعية، وهما غير موجودين على صعيد ما فوق الدولة أو الصعيد العالمي كون الدولة هي الرابط بين النشاط الاقتصادي العالمي والقومي.

فالدولة هي الكيان الصغير الذي يضفي المشروعية على آليات التحكم فوق القومية، وأهميتها في توفير الهياكل الارتكازية والسلع العامة التي تحتاجها الشركات العملاقة بأدنى التكاليف الممكنة.

ويمكن أن نستخلص من ذلك الخلاف وجهة ثالثة أكثر شمولاً في النظرة وأوسع استيعاباً لمواضع الاختلاف، ومؤداها:

[1] **العولمة، مشاهد وتساؤلات**، مرجع سابق، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص26، وكذلك: بول هيرست، وجراهام طوبسون، **ما العولمة؟** سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001م، ترجمة: فالح عبد الجبار، ص380.

أن إضعاف الدولة وتذويبها هدف عام للعولمة؛ لأن الدولة القوية المتماسكة يمكن أن تشكل عقبة أمام العولمة التي تعتمد على آليات استعمارية تتجاوز المصالح الوطنية والقومية.

لكن العولمة لا تستهدف القضاء المبرم على الدولة، بل تريد ما يسمى بالدولة الرخوة فالشركات متعددة الجنسيات بقدر تعاظم وازدياد قوتها، يتعاظم ويزداد احتياجها إلى تواجد الدولة إلى جانبها، ليس فقط من أجل تمويل البنية التحتية الوطنية المكلفة، أو من أجل تشجيع استثماراتها في البحث والتطوير، أو من أجل تمكينها من العقود الوطنية ذات المردود العالي، أو من أجل اعتماد التشريعات المرنة في سوق العمل، بل كذلك من أجل مساعدة الشركات قانونياً وتجارياً ودبلوماسياً وسياسياً في صراع البقاء في السوق العالمي[1] .

وهذه الدولة الرخوة المنشودة دولة تفكِك ولا تبني، تقوم بوظيفة «الإجلاء والتسليم» أي سحب يدها من كل ما كانت تضعها عليه من قبل، وتقوم بتسليمه إلى الأجنبي؛ ليقوم بتلك المهمة نيابة عنها، مع القيام بالترويج لهذه المهمة بأنها تحقيق للمصلحة العامة [2] .

ومن المهام الموكلة إلى الدولة الرخوة تكفيك وتفتيت البنية الداخلية التكاملية لشعبها المرتكزة على الو لاءات الأساسية الأولية القائمة على الدين أو الاثنية (السلالة، العرق، الأمة، صور التعبير الثقافي للأقليات)، وبناء قوة تجانس جديدة تتمحور حول

[1] يحيى اليحياوي، **العولمة: أية عولمة؟**، د.ط، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص49.

[2] جلال أمين، **العولمة والدولة**، مجلة المستقبل الغربي، عدد 228، لبنان، فيفري 1998م ، ص30.

الأنماط الاستهلاكية للسلع على النطاق العالمي [1] ،كذلك يناط بالدولة الرخوة حماية حق الملكية الفكرية، وهو القانون المسنون من أجل احتكار الدول الصناعية أسباب العلم والمعرفة وبحوث التطور وتقنية التقدم، وهي أهم أسلحة التحدي العصري.

وذلك يعني حجب تلك المعرفة وحرمان العالم الفقير من فرص الإنجاز والإبداع وممارسة تجريب عمليات البحث والتطوير وهو ما يعني كذلك تكريس مبدأ عنصرية العلم والتقدم، حيث يبقى العلم والتقدم إنتاجاً خاصاً بالرجل الأبيض، وتبقى التبعية والتخلف والجمود خصيصة للعالم النامي[2] .

ثالثا– المجال الثقافي للعولمة

إن الثقافة هي مجموع جوانب الفضاء التواصلي البشري؛ أي إدراك البشر لواقعهم والدلالة التي يسندونها له ... بالإضافة إلى أنماط العلاقات التي يقيمونها في ما بينهم، فيدخل في هذا التحديد كل ما يمس الجوانب العقائدية والمعرفية والسلوكية، دون تميز أو حصر[3] ولذلك، تعتبر فكرة الثقافة إحدى الركائز الرئيسية لظاهرة العولمة بمعناها الشمولي، إذ تعمل على خلق مكون ثقافي عالمي، وفرضه كنموذج ثقافي، وتعميم معاييره، وقيمه على العالم

[1] أحمد ثابت، **العولمة والعرب**، مرجع سابق، ص111.

[2] أحمد ثابت، **العولمة والعرب**، مرجع سابق، ص106.

[3] السيد ولد أباه، **اتجاهات العولمة - إشكالات الألفية الجديدة**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى،2001 ، ص 86.

أجمع، وبما أن الولايات المتحدة الأميركية أصبحت تقود العالم منفردة فإن العولمة الثقافية تعني : سيطرة الثقافة الأمريكية على العالم، وشرعت في العمل على سيادة القيم الأمريكية لتصبح قيماً عالمية لتحل محل القيم القومية، بمعنى آخر، إن العولمة الثقافية الطاغية والمهيمنة لن تسمح أبداً لأي ثقافة قومية بأن يكون لها دور في صياغة العالم، ما لم تتخلَّ عن الكثير من منجزاتها ومرجعياتها، وأن تتنازل عن الكثير من منابعها، وهذا سيؤدي حتماً إلى صراع بين الحضارات، وليس إلى حوار بين الثقافات.

وكان لانتهاء الحرب الباردة، أن أدى لخلق وضع جديد، ما مهد لظهور أطروحات تعبر عن الفكر الرأسمالي في تعبيراته الأكثر تطرفاً .وتعتبر نظرية صراع الحضارات لـ"صاموئيل هنتنغتون "من النظريات التي أبرزت دور عولمة الثقافة. وحسب نظريته، فإن المصدر الرئيسي للصراعات في العالم لم يعد بسبب العوامل الأيديولوجية أو الاقتصادية، بل بالمعايير الثقافية، فالاختلافات بين البشر ستكون ثقافية، ومصدر النزاعات سيكون مصدراً ثقافياً، لكن ستبقى الدول والأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، إذ لن تكون الصراعات المهمة والملحة والخطيرة بين الطبقات الاجتماعية، أو بين الغني والفقير، أو بين أي جماعات أخرى محددة اقتصادياً، بل ستكون الصراعات بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة[1]، ووجهت انتقادات لاذعة لنظرية هنتنغتون، لأنها أخذت الطابع الحتمي للصراع بين الحضارات، وتلك النظرة الاستعلائية التي سيطرت عليها، عندما وضعت الحضارة الغربية فوق الحضارات جميعاً، لذلك، لا يمكن أن تكون غاية النظرية إلا تبرير

[1] صموئيل هنتنغتون، **صدام الحضارات**، ترجمة : طلعت الشايب، أبو ديس، فلسطين، دار الفكر، الطبعة الثانية،1999، ص46 .

سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة العالم، والتحذير بضرورة سيطرة الغرب على العالم، والقضاء على الحضارة الأخرى. وتصدى الكثير من المفكرين لهذه النظرية العنصرية من خلال الحديث عن ضرورة الحوار بين الثقافات بدل التصادم والصراع، ومنهم الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي Roger Garaudy ، وكان المستشرق" برنارد لويس Bernard " Lewis كتب مطلع التسعينيات مقالة مثيرة تنبأ فيها بحتمية الصراع بين الإسلام والغرب، مؤكداً على أنهما نقيضان لا مجال للحوار بينهما[1]، ما يعني أن الحضارة الغربية ليس أمامها سوى فرض ثقافتها بالقوة لتغير أنماط حياة الشعوب.

وإذا عرفنا أن الحضارة الغربية هي التي تملك القوة بمختلف جوانبها العلمية والاقتصادية والعسكرية، فإن السيطرة دانت لها، وهناك" محاولات منظمة وشمولية للإحاطة والحصار أو الاستيعاب والهضم، وأخيراً التدمير والإفناء[2]"، هذا ما يجري اليوم تحت عناوين مثل :العصرنة، الحداثة، العولمة.

إننا كأمة عربية، نعيش أزمة حضارية رهيبة، وهذا نابع من التحديات الكبرى التي نواجهها، فإما أن ننعزل وننغلق على ذواتنا، وإما يجرفنا تيار العولمة الجارف، فالذي يحصل اليوم هو في حقيقته الصارخة تدمير مختلف تكوينات المجتمعات غير الغربية، وتهميش واسع النطاق لثقافات وخصوصيات هذه المجتمعات، إنه الغزو الثقافي بعينه [3] .

---

[1] السيد ولد أباه، **اتجاهات العولمة - إشكالات الألفية الجديدة** ، مرجع سابق، ص.92

[2] خلف الجراد، **العلاقة الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر**، المستقبل العربي، عدد 175، 1993، ص.29-36

[3] خلف الجراد، **العلاقة الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر**، المرجع السابق، ص 37.

إن مجال الثقافة أحد مظاهر العولمة وجوانبها، وهي ما أطلق عليه البعض بنظام التحكم الاجتماعي في سوق المجتمعات .[1]

وتتفق كلمة عدد من الباحثين على أن الثقافة من أخطر الأوجه الحضارية المتأثرة بظاهرة العولمة، حيث يقول سيار الجميل: " ولم ينحصر الأمر في الاقتصاديات المعولمة بل طالت وبسرعة شديدة ونسبية عالية هذه العولمة ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها وتقاليدها".[2]

ويعدها طلال عتريس أكثر صعوبة وتعقيداً، ذلك أن الثقافة محصلة التفاعل بين ثلاث علاقات مع الله (العقيدة والذات) ومع الآخر (المجتمع والطبقية) ومع الذات (الرغبات والغرائز والحاجات).[3]

إذا كانت العولمة في جانبها الاقتصادي والسياسي باتت تمثل تهديداً لإنسان الدول النامية في وقته، وحريته في اتخاذ قراره، فإن البعد الثقافي للعولمة يمثل تحطيماً للهوية وتذويباً للشخصية وإلغاء للخصوصية القومية والوطنية.

لكن هذا التهديد الذي تمثله العولمة اختلفت الآراء حول طبيعته ومداه وإمكانية التكيف معه، وذلك في أطروحات ثلاثة حول أثر العولمة في ثقافة الشعوب المعولمة، وهي:[4]

---

[1] إبراهيم أبراش، **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، دار بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1999، ص 28.

[2] إبراهيم أبراش، **تاريخ الفكر السياسي**، دار بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1999، ص 54.

[3] السيد يسين ،**العالمية والعولمة** ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 22.

[4] علي عبيد، **العولمة تساؤلات و مشاهد**، مرجع سابق، ص 64.

1- ذوبان الهويات الثقافية للمجتمعات المعولمة ببروز ثقافة كونية موحدة.

2- استمرار الخصوصيات الثقافية للمجتمعات وتنوعها، وعدم قدرة العولمة على صهرها.

3- ثقافة العولمة هي ثقافة الغالب وهي ثقافة أحادية الاتجاه تشكل رمزاً لسيطرة الغالب وانتصاره ودحراً لثقافة المغلوب ونفيها.

ويستند أصحاب الأطروحة الأولى إلى رؤية لجنة اليونسكو المكلفة بالإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية من أجل التنمية المنعقد في ستوكهولم عام 1998م، والتي قامت على أن «التنميط الثقافي أو «التوحيد الثقافي» سيتم باستغلال ثورة شبكة الاتصالات العالمية، وهيكلها الاقتصادي الإنتاجي المتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال.[1]

وهو ما يؤكد مخاطر الاقتلاع الثقافي، والخوف من فقدان الهوية لدى العديد من الشعوب والأمم والطبقات الاجتماعية المراد تعميق هامشيتها وضياعها ومسخ شخصيتها.

وتعتمد الأطروحة الثانية على عدم نجاح العولمة الثقافية في إزاحة ثقافة الشعوب الأخرى.

ويذهب آخرون إلى أبعد من ذلك ويرون أن الخصوصية الثقافية ستجد مكاناً في منظومة الثقافة المعولمة الموحدة، بشرط أن تكون وجهتها مستقبلية مختلفة في جوهرها عن الموروث القديم .

أما الأطروحة الثالثة فترى في الخطاب الأيديولوجي التبريري والدعائي الذي يجعل من الرأسمالية الليبرالية الغربية تتويجاً لمسيرة التاريخ الإنساني وغايته القصوى، ترى في

[1] علي عبيد، **العولمة تساؤلات و مشاهد**، المرجع نفسه، ص34- 36.

ذلك هيمنة أحادية الجانب لثقافة الغرب الغالب، وتكريساً للتفاوت بينها وبين ثقافة الشرق الفقير المهزوم أمامها .[1]

وليس لنا أن نسقط في فخ التصميم والتحديد بالانسياق وراء أطروحة بعينها والانحياز لها كخيار وحيد لبيان أثر العولمة في المجال الثقافي.فإذا أردنا التماس إجابة شافية موضوعية علمية، فلابد لنا من الاستعانة بمتطلبات المنهجية العلمية، وذلك بسلوك الطريق الاستقرائي؛ لنقف من خلاله على ماهية الثقافة أولاً، ثم على إمكانية وجود ما يمسى بالثقافة الموحدة، ثم العلاقة بين دوائر ومستويات الثقافة والهوية، ومدى مخاطر العولمة الثقافية، وهل بالإمكان أم لا ؟ ولعل النقاط العشر التي استخلصها الدكتور عايد الجابري تشكل المدخل الملائم لذلك الطريق الاستقرائي، فهو يرى أن [2]:

الثقافة هي المعبِّر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم وعن نظرتها إلى الكون، والحياة، والموت، والإنسان وقدرته ومهامه وما ينبغي له أن يعمل وما لا ينبغي. ومن هنا فلا توجد ثقافة موحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم ما. فالهوية الثقافية في حركة دائمة و مستمرة ،لا تعرف الثبات، وتتحدد حركتها بموقع الأنا من الآخر في مستويات الهوية الثقافية ، فالفرد داخل الجماعة هو الأنا وهي الأخر، وتصبح الجماعة هي الأنا بين جماعات الأمة الواحدة، وتغدو الأمة هي الأنا بين الألم الأخرى.

[1] سمير أمين، **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، دار الفكر المعاصر، القاهرة، 1421هـ . 2000م، ص62.

[2] أسامة أمين الخولي، **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ديسمبر 1998م ص297-307 .

عدم اكتمال الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها جماع الوطن والأمة والدولة، فكل مسّ بأحدهما مسٌّ بالأخر، فالعولمة أيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم.

وهي نفي للآخر بإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي، وقمع له بإقصاء خصوصيته، وهي بخلاف العالمية التي هي انفتاح على الأخر وعلى ثقافته مع الاحتفاظ بالخصوصية والخلاف الأيديولوجي. ثقافة الاختراق تقوم على تكريس الهيمنة والتبعية الحضارية بغرض مكونات الثقافة الجماهيرية في الولايات المتحدة على شعوب العالم لضرب هويتها الثقافية، وتقوم مكونات الثقافة الجماهيرية في أمريكا على بث أوهام ستة: وهم الخيار الشخصي، وهم الفردية، وهم الحياد، وهم الطبيعة البشرية التي لا تتغير، وهم غياب الصراع الاجتماعي.

ثقافة الاختراق هي نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، ودفعها إلى التفتت والتشتت لربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة، فهي تكريس للانشطار في الهوية الثقافة العربية.

وتجديد الثقافة لا يكون إلا من داخلها بتحديث معطياتها، والتماس وجوه الفهم والتأويل بما يسمح ربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل.

ثم إن الدفاع عن الهوية الثقافية لا يقل عن الحاجة إلى اكتساب أدوات دخول عصر العلم والثقافة وفي مقدمة ذلك العقلانية والديمقراطية.

ويمكننا أن نستكمل أن منطق العولمة وهو الزحف المعمِّم للقيم المادية والرمزية، لا يحمل في طياته تحللاً للنظام السياسي والثقافي في دول المصدر (الغرب)؛ لأن دول

المصبّ (الجنوب والشرق) لا ينطبق عليها وصف الدولة الوطنية المستقلة؛ نظراً لتبعيتها للغرب تبعية غير مباشرة منذ أن تخلصت من الاحتلال المباشر. [1]

ومن خلال إدراكنا لآثار العولمة في جانبها الثقافي نستطيع أن نحدَّد وجهتنا بأن الضرورة التاريخية تفرض علينا الأخذ بتقنيات العولمة في جوانبها المختلفة ومنها الثقافي، ولكن في ظل إستراتيجية ذاتية تحدُّ من نفوذ الهيمنة الثقافية للغرب.

فالسيطرة الثقافية لجانب ما لا تعني بالضرورة سلب الثقافات الأخرى ونسقها الداخلي وقدرتها الإبداعية، أو قدرتها على البقاء والاستمرار والصراع والمشاركة مع الآخر.

ولكن كيف السبيل إلى بناء تلك الإستراتيجية الدفاعية؟ أول أركان تلك الإستراتيجية إصلاح أهم مؤسستين تربويتين في عالمنا العربي والإسلامي، وهما: [2]

– الأسرة: وهي أول وأهم مصانع إنتاج وتكوين الوجدان الثقافي الوطني من خلال شبكة القيم التي يتلقاها الطفل إلى جانب عقيدته وأخلاقه وسلوكه والمبادئ المؤسسة لهوية الجماعة الوطنية.

– المدرسة، وهي استكمال لعمل المؤسسة الأولى، وتزيد عليها بقدرتها على صقل الفرد، والانتقال بوعيه إلى رحاب الجماعة الوطنية وبناء أسس الثقافة الوطنية.

الركن الثاني في تلك الإستراتيجية إطلاق منظمة الأخلاق والقيم والمعايير الخاصة الكفيلة بتحييد نزعة النفعية والفردية الأنانية والنزوع المادي ألغرائزي وهو الجوهر الذي تقوم عليه ثقافة العولمة.

---

[1] أسامة أمين الخولي، **العرب والعولمة**، مرجع سابق، ص ص 309– 310.

[2] نفس المرجع ، ص ص 311–312.

أما ثالث الأركان فهو مواجهة ثقافة الصورة السمعية المبثوثة من خلال ضخ ملايين الصور يومياً وتعد المفتاح الفعال للنظام الثقافي الجديد، و باستقبال مئات الملايين من البشر لها و بقدرتها على تحطيم الحاجز اللغوي، ويتلقى الفرد لها بوصفها مادة استعماليه ذات عائد تكويني أو جمالي مؤثر.

وتكون تلك المواجهة بإطلاق الثقافة الأصيلة المكتوبة التي تؤسس ملكة الفكر والتمحيص والرؤية النقد وتنمي الحصانة اللازمة لحماية الوعي الثقافي من السقوط في إغراء الخداع، وتقف سداً منيعاً أمام انهيار ملكة التحوط، وأمام تحول الوعي إلى مجال مستباح لكل أطياف الاختراق. [1]

ربما لم يعن لكثيرين التساؤل حول مظاهر العولمة المتمثلة في ازدياد سرعة النقل والمواصلات، واتساع السوق، وزوال الحواجز أمام انتقال السلع والخدمات والأشخاص والمعلومات والأفكار، إن المتأمل في طبيعة السلع والخدمات والمعلومات والأفكار المنسابة إلى عالمنا بوسائط عصر العولمة يجدها سلعاً ذات طبيعة وخصائص أفرزتها ثقافة معيَّنة تمس نمطاً حياتنا معيناً دون التزام أخلاقي أو ديني أو اجتماعي أو قانوني يراعي الخصوصية الحضارية والدينية للعالم النامي. [2] بل إن هذه الثقافة التي تعبّر عنها تلك السلع لا يحتاج المرء إلى ذكاء شديد أو حتى بلاهة أشد ليدرك أنها الثقافة

[1] أسامة أمين الخولي، **العرب والعولمة**، مرجع السابق، ص ص 314-315.

[2] جلال أمين، **العولمة والدولة**، مرجع سابق، ص32.

الغربية في ثوبها المتغطرس والمتعالي ذي الأيديولوجية المتسلطة متسلحة بكل وسائل القهر المادي والسياسي والنفسي والعقلي لتصدير ما هو خاص على أنه إنساني عام. [1]

إذن فالعولمة أسلوب جديد في الاحتلال الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وهو يفرض نفسه بالرغبة في مكاسب العولمة وبالقوة بواسطة صدام الحضارات، وذلك ما يمكن أن يُستدل عليه بما يلي:

انبثاق العولمة ليس من رسالة عالمية دينية أو إصلاحية دنيوية أو شعور إنساني بتوحد سفينة الحضارة وبحاجة البشرية إلى التكاتف الاجتماعي والتعاون ألأممي من أجل خير الإنسان في ظل التقدم العلمي وعالم القرية الالكترونية.

بل من جانب الحضارة المادية الأوربية . الأمريكية ذات التاريخ المشهود والتجارب المشهودة المحفورة في الوعي التاريخي للإنسانية بإبادتها أجناساً بشرية كاملة قبل الهنود الحمر، وتدير مدن ومناطق بأكملها مثل: هيروشيما، وناجازاكي، ومشروعات الإبادة المنظمة .

وضوح الطابع الاستعماري للعولمة في اتفاقية (الجات) التي فرضت إزالة الحواجز الجمركية لغرض منتجاتها بأرخص الأسعار لتفجير المنتجات القومية عن المنافسة، والمتاجرة بالشعارات لخداع الشعوب وتمرير المخططات ففي الوقت الذي ينادي فيه مروّجو العولمة بالحرية والعدالة وحقوق الإنسان ويقومون باسم القانون الدولية بتدمير

[1] المرجع السابق، وكذلك: **هذه غاية العولمة وتلك وحوشها**، افتتاحية مجلة البيان، العدد (124)، لندن، ذو الحجة 1418هـ. ص32.

مقدرات مخالفيهم، يقومون في الوقت نفسه بغض الطرف عن جرائم إسرائيل في إبادة الفلسطينيين وانتهاك جميع الأعراف والقوانين الدولية.

ب/ أبعاد العولمة

أولاً – البعد الاقتصادي

وهو البعد الأكثر بروزاً في أبعاد العولمة، إذ أن مفهوم العولمة قد كرسته اتفاقية اقتصادية هي الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات التي عرفت اختصاراً بالجات GATT .

لقد بدأت مفاوضات تحرير التجارة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وإنشاء منظمة الأمم المتحدة، وطال أمد هذه المفاوضات نظراً لتضارب المصالح، واختلاف وجهات النظر، فلما تعثرت، رُؤِيَ عقد اتفاقية مؤقتة لحين الانتهاء من المفاوضات، واستمرت المفاوضات على مدى نصف قرن إلى أن تم التوصل إلى صيغة وُقِّع عليها في المغرب عام 1993م، وقد شارك فيها مندوبو جميع دول العالم بما في ذلك الدول الإسلامية ودول العالم الثالث. [1]

وبناءً على هذه الاتفاقية، يتم إلغاء الرسوم الجمركية، وغيرها من القيود ليصبح العالم سوقاً واحدة، ومن ثم يتسنى للشركات أن تقيم المصانع، وغيرها من الأنشطة التجارية في أي مكان شاءت من العالم، كما يمكن تحويل ملكية الدولة للقطاع الخاص،

[1] جمال الدين عطية، **العولمة**، مجلة المسلم المعاصر، العدد 90، السنة الثالثة والعشرون، رجب، شعبان، رمضان 1419هـ . نوفمبر، ديسمبر 1999م، ص 5 .

في إطار ما يسمى بـ (الخصخصة)، وتحرير أسواق المال والأوراق المالية من أيّ قيود، ومن ثم فإن هذه الاتفاقية تتيح للدول الغنية بأن تسيطر على الدول الفقيرة من خلال شركاتها العاملة هناك .

ثانياً – البعد السياسي للعولمة

إن الحماية الاقتصادية التي تجدها الشركات الأجنبية داخل الدول، تنعكس على النظام السياسي لهذه الدول، إذ تؤدي إلى تقليص دور الدولة وتراجعه أمام تلك الشركات، التي تتحرك بدعم ومساندة القوانين الدولية، ومن ثم تتدخل الدول الأجنبية لحماية شركاتها، فتظهر انعكاسات ذلك على الأوضاع السياسية عامةً في الدولة، ويكون ذلك أكثر وضوحاً في الدول النامية، حيث يتم الحديث عن الديمقراطية، والحريات العامة، وحرية الإعلام، ويتبعه الحديث عن قوانين الدولة، وأنظمتها تجاه الأقليات، وحقوق الإنسان، والإرهاب، وغير ذلك مما يسفر عن الأهداف والأبعاد السياسية جراء الاتفاقيات الاقتصادية .

اقترنت العولمة بظواهر متعددة استجدت على الساحة العالمية، أو ربما كانت موجودة من قبل، ولكن زادت من درجة ظهورها، وهذه الظواهر قد تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو اتصالية أو غيرها, و لاشك أنّ أبرز هذه الظواهر الإقتصادية التي أهمها:

- تحول الإقتصاد من الحالة العينية (الأنشطة التقليدية كتبادل السلع عينياً بالبيع والشراء) إلى الإقتصاد الرمزي الذي يستخدم الرموز و النبضات الإلكترونية من خلال

الحواسب الإلكترونية والأجهزة الإتصالية, وما ينتج عن ذلك من زيادة حجم التجارة الإلكترونية والتبادل الإلكتروني للبيانات في قطاع التجارة و النقل والمال والإئتمان وغيرها.

- تحول رأس المال من وظائفه التقليدية كمخزن للقيمة ووسيط للتبادل, إلى سلعة تباع و تشترى في الأسواق (تجارة النقود)؛ وهو ما أدى إلى زيادة درجة الاضطراب و الفوضى في الأسواق المالية, و أعطى لرأس المال قوة لرفض شروطه على الدول للحصول على أقصى ما يمكن من امتيازات له. و قد أدى هذا كله إلى زيادة التضخم نتيجة لزيادة قيمة النقود.

تعمق الإعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية, و تعمق المبادلات التجارية من خلال سرعة و سهولة تحرك السلع و رؤوس الأموال والمعلومات عبر الحدود مع النزعة إلى توحيد الأسواق المالية, خاصة مع إزالة كثير من الحواجز الجمركية و العقبات التي تعترض هذا الانسياب بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية، التي بدأت نشاطها في بداية عام 1995م, وقد ترتب عن إزالة الحواجز والعوائق بين الأسواق أن أصبحت المنافسة هي العامل الأقوى في تحديد نوع السلع التي تنتجها الدولة، وبالتالي فإن كثيراً من الدول قد تخلت عن إنتاج وتصدير بعض سلعها؛ لعدم قدرتها على المنافسة مثل صناعة النسيج في مصر التي انهارت أمام منافسة دول جنوب شرق آسيا، و أصبحت تلك الدول تحصل على حاجتها من دول أخرى لها ميزة تنافسية في إنتاج تلك السلع، وهو ما ينطبق أيضا على رؤوس الأموال التي أصبحت مركزة في بعض الدول المنتجة والمصدرة للبترول، وعلى الدول التي تحتاج إلى تلك الأموال أن تحصل عليها من الدول المتقدمة.

ثالثاً – البعد الثقافي للعولمة

من أهداف العولمة في المجال الثقافي، أن يسير البشر على النمط الغربي، ووفق تقليده وسلوكه ، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في أنشطة المؤسسات الغربية في الدول النامية ، وعلى سبيل المثال ما تقوم به هيئة المعونة الأمريكية، والمعونة الأسترالية، وسيدا كندا وهي تتبع للحكومة الكندية، ودانيدا الدنمارك، وفنيدا فلندا، ونورادا النرويج، وسيدا السويد، وغيرها . والمؤسسات المذكورة توفر التمويل للجمعيات الأهلية النسائية في دول العالم الثالث، مستغلةً ندرة مواردها .

ومما يشير إلى الاتجاه الاستغلالي لهذه المؤسسات، أن تمويلها قاصر على الدول الفقيرة، كمصر ، والمغرب، وتونس، والجزائر، والسودان، وموريتانيا . ولإضفاء الهدف الثقافي لمؤسسات التمويل، فإنها لا تغيب عن النشاط الثقافي لهذه الجمعيات، بل تنفذ للمشاركة في الأنشطة المختلفة كالمؤتمرات، والمعارض، والمحاضرات.[1]

ومن الأنشطة التي تعتبر مظهراً من مظاهر السيطرة الثقافية أيضاً، مؤتمرات المرأة العالمية، كمؤتمر بكين الذي انعقد في عام 1995م، والذي خرج بوثيقة مشهورة تدعو إلى :[2]

---

[1] سهيلة زين العابدين حماد، **المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة**، مجلة المنهل . الإصدار السنوي الخاص ،شوال، ذو القعدة 1420هـ . يناير، فبراير 2000م، ص ص 84 . 89

[2] نفس المصدر، والصفحات .

- إلغاء التحفظات التي تستند إلى أساس ديني أو حضاري .

- اعتبار أن الأسرة والأمومة والزواج من أسباب قهر المرأة، وأن حق الإنجاب حق مكفول للأفراد والمتزوجين على حدٍ سواء .

وقد خاطبت الوثيقة مؤسسات التمويل الدولية مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي لضمان تطبيقها .

ومن انعكاسات العولمة على الجانب الثقافي ما بدا واضحاً في مؤتمرات الأمم المتحدة، كمؤتمر الأمم المتحدة للسكان الذي انعقد في القاهرة عام 1992م، ومؤتمر حقوق الإنسان الذي انعقد في فينا عام 1993م، والتي كشفت عن تغليب معايير الثقافة الغربية.[1]

ويبدو واضحاً أن ما تخرج به مثل تلك المؤتمرات من مقررات، وما تقوم به مؤسسات التمويل الغربية من أنشطة ينم عن انعكاس حقيقي لمفهوم العولمة في بعدها الثقافي .

رابعا- البعد الإعلامي للعولمة

يعد الإعلام في حد ذاته بعداً للعولمة، كما يعتبر أيضاً آلية من الآليات التي لا يمكن الاستغناء عنها في تنفيذ الأبعاد الأخرى للعولمة، (وإن من القوى الرئيسة التي تعتمد

[1] جمال الدين عطية، المصدر السابق، ص ص 6 . 10 .

عليها العولمة، عالمية الاتصالات التي تترتب على تطور تقنيات الأقمار الصناعية).[1]

ومن هنا يبرز دور القنوات الفضائية التلفزيونية . بصفةٍ خاصة . في ترسيخ العولمة .

ومقصود العولمة الذي يطفو إلى السطح، هو إزالة الحواجز والحدود بين الثقافات وحركة الاقتصاد والمجتمع وإتاحتها للجميع على طول العالم وعرضه . وهذا أمر مقبول من حيث النظرة العامة . لكن السؤال المطروح هو : هل ستكون هناك عدالة في إتاحة تلك القضايا للجميع ؟ وبإمكانيات متساوية ؟ وأجهزة اتصال متكافئة ؟

لا شك أن العالم الثالث هو الذي سيخرج خاسراً من هذه المنافسة، وذلك لضعف إمكانياته وقدراته الاتصالية .

وفي الواقع أن العولمة هي الآلة التي يريد بها الغرب طمس قسمات الشعوب ، وتشكيلها حسب رؤيته ، ويريد أن يسير العالم وفق مفاهيمه تجاه قضايا الاقتصاد، والثقافة، والسياسة، والأمن، والسلام، وحقوق الإنسان، والحرية ... الخ . ولكن من المعروف أن لكل أمة مفاهيم، ورؤى ، واتجاهات تقيس عليها تلك القضايا .

من هنا تجد وسائل الاتصال العربية نفسها أمام تحدٍ كبير، وهو تأثير تيارات العولمة المتعددة، والمتشعبة، والمتداخلة . والتي لا تعترف في الواقع بأيّ ثقافة غير الثقافة الغربية، ذلك وأن (بعض الكتاب الأمريكيين يحاولون الإيحاء بأن ثقافات البلاد

[1] عبد الرحمن يسري، **نحو سياسة اقتصادية موحدة للعالم الإسلامي في مواجهة العولمة**، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد 217، ربيع الآخر 1420هـ . يوليو 1999م، ص 56 .

الأخرى هي ثقافات تقليدية غير ملائمة، لأنها إما ثقافات نخبة أوصفوة، أو ثقافات مكبلة بالقيود، أوهي ثقافات ذات توجهات دينية).[1]

المبحث الثاني: التحولات الدافعة باتجاه العولمة

المطلب الأول : التحولات الاقتصادية والسياسية

يتفق أغلب المفكرين أن العولمة في أصلها اقتصادية، وكان أول من قال بمبدأ الحرية الاقتصادية المفكر البريطاني آدم سميث مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي، القائم على أساس مبدأ دع الطبيعة تعمل ما تشاء وكان يقول بنظرية (اليد الخفية) أي يفعل المنتجون ما يريدون، ويتصرف المستهلكون كما يشاء حيث يسير الاقتصاد على أساس التوفيق بين المنتج والمستهلك، أي بين العرض والطلب فيحدث التوازن الاقتصادي الكلي، فتنشأ سياسة (دعه يعمل أتركه يمر).[2]

لكن الكساد الاقتصادي العالمي ما بين 1929 و1933 أدى الى إعادة النظر في النظام الاقتصادي من جديد، فظهر فكر اقتصادي مختلف عن السابق من خلال اللورد

[1] أحمد ثابت، **العولمة والخيارات المستقلة**، مجلة المستقبل العربي، العدد 248، تشرين الأول / أكتوبر 1999م، ص 19.

[2] باسم علي خريسان، **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي بيروت ، الطبعة الأولى،2001، ص 26.

كينز البريطاني الذي قال بمذهب تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية[1]، حيث تتدخل الدولة عبر موازنتها المالية في النشاطات الاقتصادية و ذلك من أجل الحد من البطالة والركود التي يفرزها السوق، وتفادي التضخم وذلك من خلال استخدام زيادة الإيرادات الضريبية، مما جعل الكثير من الدول تدعم الصناعات التي كان يعتقد أنها الضامنة لتحقيق نمو اقتصادي سريع لزيادة الطلب على الأيدي العاملة [2]. وهكذا استمر الاقتصاد الرأسمالي على خطى كينز حتى سنة 1980، فانتقلت المجتمعات الرأسمالية الى لون جديد للاقتصاد الرأسمالي[3].

وهو ما يسمى باقتصاد دولة الرفاهية، حيث أصبحت الدولة الرأسمالية هي التي تتكفل بسياسية الإنفاق والإيرادات لصياغة نموذج اقتصادي اجتماعي وذلك من خلال التأمينات الاجتماعية، حتى أصبح ما كان يعرف بالحرية المطلقة غير قائم، وحلت محله ما يسمى بالليبرالية الاجتماعية التي تراعي الحياة الاجتماعية أكثر، هذا كله يهدف إلى إطالة عمر النظام الرأسمالي، إلا أن الفكر الاقتصادي الرأسمالي شهد مرة أخرى تحولات، وذلك بالرجوع مرة أخرى إلى المدرسة التقليدية التي مثلها ريكاردو وآدم سميث لكن بثوب جديد تحت اسم الليبرالية الجديدة، وذلك راجع إلى جملة من المتغيرات ساهمت في ذلك.

---

[1] محمد عبد الشفيع عيسى، **التنمية وأوهام خمسة**، مجلة السياسة الدولية، العدد 133، 2002، ص 70.

[2] هانس بيتر مارتن هارالد شومان، **فخ العولمة** ، ترجمة، عدنان عباس علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 238، 1998 ص، 201.

[3] سالم توفيق النجفي، **مسألة الرأسمالية: رؤية للقرن الحادي والعشرين**، مجلة المستقبل العربي، العدد 238، 1998، ص 29.

وبفضل التقدم التقني والتكنولوجي، ظهر ما يسمى بعصر الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات، التي غزت الأسواق الخارجية، وجعلت من العالم كله سوقا لها كنظام جديد لتقسيم العمل، يشمل التخصص في إنتاج جزء من أجزاء السلعة، تاركة الأجزاء الأخرى من العملية الإنتاجية لمناطق أخرى من العالم[1]، فظهرت أصوات تنادي بالحفاظ على الإطار العام للنظام الرأسمالي، مؤكدة على أنه كلما تمتعت المشروعات بحرية أكبر بشأن استثماراتها واستخدامها للأيدي العاملة، كان النمو أكبر والمستوى الاقتصادي أعلى للجميع، العامل الذي دفع إلى خلق وسائل الضغط الأخرى، و بذل الجهد من أجل تحرير رأس المال، فالتحرير، والليبرالية، والخصخصة، حتى أصبحت هذه الوسائل إستراتيجية في السياسة الاقتصادية الغربية، التي رفع من شأنها المشروع الليبرالي الجديد لتصبح إيديولوجية تتعهد الدولة بفرضها.

حتى رأى المؤمنون بها أن النظام الذي يأخذ بقانون العرض والطلب، هو أفضل الأنظمة في العالم، وأصبح توسيع التجارة الحرة هدفا بحد ذاته، وبالتحرير الكامل للسوق الرأسمالية تم أكبر تغيير جذري في النظام الاقتصادي السائد في الديمقراطيات الغربية[2]، ثم انتشر هذا الفكر في الكثير من الدول، "لقد أصبح التحويل للملكية الخاصة سرعة دولية" [3] .

---

[1] جلال أمين، **العولمة والدولة**، مجلة المستقبل العربي، العدد، 228، 1998، ص، 82.

[2] جلال أمين، **العولمة والدولة**، مرجع سابق، ص، ص 201- 202.

[3] ألفن توفلر، **تحول السلطة بين العنف والثروة و المعرفة**، تعريب ومراجعة، فتحي بن شتوان ونبيل عثمان، مكتبة طرابلس العلمية، الطبعة الثانية،1997، ص 336.

من هنا نرى ما ترتب عن كل هذا، نهاية الحرب الباردة وزوال النموذج الاشتراكي كبديل محلي وكمنافس خارجي على سياسات العمالة والمجتمع عموما.[1]

ومن خلال نظرة شاملة على المفاهيم الاقتصادية العالمية السائدة حاليا، يمكن القول أنه تم التغلب على الانقسامات الاقتصادية العقائدية، وتجاوزها، حتى أصبح الإجماع حول فلسفة السوق كأداة للنمو والتنمية أكثر رسوخا وانتشارا واعتمادا.

وعليه أصبحت النشاطات الاقتصادية العالمية، أكثر ترابطا وانتشارا، وأسرع دخولا وتخطيا للحدود القطرية [2]. لذا نجد أن فلسفة السوق القائمة على قانون العرض والطلب والمنافسة الاقتصادية الحرة في الأسواق العالمية أخذت تتعولم لتشكل بذلك المؤشرات الاقتصادية لانتشار ظاهرة العولمة الاقتصادية ، حيث أن نظام السوق الحرة لم يعد يقتصر على الإطار المحلي و إنما انتقل إلى المستوى العالمي .

ثم أن السلعة المنتجة نفسها تعولمت هي أيضا بمعنى أنها تميل لأن تصبح أكثر تشابها وتجانسا وفقا لمواصفات محددة مسبقا وموجهة إلى سوق عولمية بدلا من أن

[1] عزيز العظمة، **الشرق أوسطية والتكامل الثقافي للعولمة المستأنفة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص90.

[2] محمود محي الدين رشا عبد، **الإقليمية الجديدة والعمل العربي المشترك**، مجلة السياسة الدولية، العدد 131، 1998، ص، 289.

تكون موجهة إلى سوق محلية أو أإقليمية أو قومية تتطلب مواصفات خاصة بها،[1] وقد ساهم تطور وسائل الإعلام في إيجاد مستهلك عالمي.

ويمكن تحديد أبرز الأسباب التي أسهمت في بروز ظاهرة العولمة بما يلي:

1- إنهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي الذي كان يشارك الولايات المتحدة في زعامة العالم.

2- وجود فائض من الإنتاج العالمي في الدول الصناعية والحاجة القصوى إلى تسويقه خارج حدود هذه الدول، وانحسار المد الاستعماري جعل تصدير السلع يتقلص إلى المستعمرات وكان لا بد لهذه الدول الكبرى من التفكير في منهج إنتاج يفرض نفسه بشتى الوسائل ويروج سلعه وإنتاجه .

3- تنقل رؤوس الأموال بحثاً عن الاستثمار والربح المضمون فتطلب ذلك بحثا عن الأسواق العالمية حيث اليد العاملة الرخيصة في آسيا وإفريقيا وبهدف تنقل رأس المال تنقلاً حراً لا تحده حدود ولا قيود إدارية روتينية قاتلة، فالعالم عبارة عن قرية صغيرة انعدمت فيه المسافات والحواجز .

4 - التطورات التكنولوجية وثورة الاتصالات والإلكترونيات .

5- التوجهات الاقتصادية العالمية المنبثقة عن اتفاقية منظمة التجارة العالمية .

6- مؤسسات التمويل الدولية ورغبة الدول في تحويل ديونها ومساعداتها إلى استثمارات في الدول النامية .

---

[1] فتح الله ولعلو، **تحديات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا في الدول العربية**، عمان، منتدى الفكر العربي، 1995، ص 34.

كما يشهد العالم اليوم تحولا كبيرا نحو الأقلمة الاقتصادية [1] والمتمثلة في تكتل الدول اقتصاديا وذلك بسبب ارتفاع حدة المنافسة الاقتصادية العالمية، حيث وجدت الدولة القومية نفسها عاجزة على القيام بدوره المنافسة مما يشكل تهديدا اقتصاديا لها، فتخلت تدريجا عن وظيفتها داخل العلاقات الاقتصادية الدولية لتفسح المجال للمجموعات الإقليمية بالقيام بهذه الوظيفة، حيث أن المجموعة الإقليمية تعبر عن وجود إرادة سياسية بين مجموعة من البلدان المتقاربة جغرافيا لإحداث علاقات قائمة على أساس المصلحة، هذه العلاقات تتمثل في إقامة مناطق تبادل حر والانتقال إلى مستوى متقدم من الاندماج الإقليمي عن طريق إقرار سياسات شمولية مشتركة[2].

أما أبرز هذه التكتلات الاقتصادية الإقليمية :

– الاتحاد الأوروبي، منطقة التبادل التجاري الحر الشمال أمريكية(Nafta) التي تضم الولايات المتحدة و كندا والمكسيك، سنة 1993 الذي حمل "نافتا" [3] أو اتفاق التجارة الحرة لأمريكا الشمالية.هذا الاتفاق له تأثير كبير في البني الاقتصادية في العالم، بالإضافة إلى التكتلات الاقتصادية الأسيوية، وتعتبر الإقليمية الاقتصادية وسيلة تتبعها نماذج النظم الرأسمالية المختلفة للمناورة مع مشكلات التكامل الكوني الذي تدفع إليه

[1] محمود محي الدين رشا عبد، **الإقليمية الجديدة والعمل العربي المشترك**، مجلة السياسة الدولية، العدد 131، 1998، ص، 289.

[2] فتح الله ولعلو، **تحديات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا في الدول العربية**، مرجع سابق، ص 35.

[3] أحمد حمد فرج، **عوامل القوة وآفاق المستقبل**، مجلة السياسة الدولية، العدد 111، 1993، ص، 117

العولمة، وبالتالي تعد الإقليمية مظهرا من مظاهر العولمة، تتقاطع معها، ولا يمكن فهمها من دون فهم ظاهرة العولمة [1].

لكن تنقسم الآراء بين من يرى بأن الإقليمية مرحلة من مراحل العولمة، يرونها آخرون بأنها أسلوب حماية الدولة القومية من أجل تعزيز قدرتها التنافسية في الاقتصاد العالمي.

ويمكننا عرض الرأيين برأي واحد هو أن الإقليمية تؤدي دورا وظيفيا كوسيلة لحماية الدولة القومية و تعزيز قدراتها التنافسية، وفي نفس الوقت هي وسيلة لدفع عجلة العولمة إلى الأمام، لذا يمكننا القول أن ميلاد الأقاليم الاقتصادية كان له الدور الأكبر في المد العولمي.

أما على مستوى التحولات السياسية، فإن العالم شهد حركة وتحولا مست النظام الدولي الذي كان قائما والمتمثل بنظام ثنائي القطبية حيث كان منقسما إلى معسكرين، الغربي، والشرقي وكان تأثير المعسكرين أعظم على سياسة الدول مما أدى إلى نشوب ما يسمى بالحرب الباردة بالشكل الذي كان يحول دون تقارب واندماج دول و شعوب العالم، وبانهيار المعسكر الشرقي وانتهاء الصراع، حيث أن القرن العشرين بدأ مع الحرب العالمية الأولى 1914 بتصدع الأوضاع الدولية الموروثة من القرن التاسع عشر، و قيام أوضاع جديدة برزت أكثر، ثم انتهت بسقوط المعسكر الشرقي سنة 1991[2] وبالتالي سقوط الإيديولوجية الاشتراكية والشيوعية مما أدى إلى سقوط الأنساق السياسية المغلقة وظهور

[1] السيد ياسين، **أطروحات العولمة**،جريدة الاتحاد الإماراتية، العدد 8563، 1998، ص 27.

[2] محمد حسنين هيكل، **باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين**، دار الشروق، القاهرة، 1995، ص 6.

أنساق سياسية مفتوحة، تتعدد فيها الأصوات وتتنافس الأحزاب والجماعات السياسية،[1] وبسقوط الإيديولوجية الماركسية عالميا، حتى بدت قيم الليبرالية تظهر على السلوكيات السياسية العالمية، والأخذ بها كأساس للتنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فظهرت موجة من التحول الديمقراطي على المستوى العالمي من الناحية السياسية، بينما واكب ذلك على الصعيد الاقتصادي سريان موجة من الأخذ بالحرية الاقتصادية، وبآليات السوق والاتجاه نحو الخصخصة وتحرير التجارة العالمية[2].

هذه الأحداث والتحولات أدت إلى بروز الأحادية القطبية ذات الطابع الأمريكي، حيث أدت هذه الأحادية إلى وضع النظم والقوانين وإيجاد المؤسسات المختلفة لتحويل العولمة من إطارها الإقليمي إلى إطارها الكوني الشامل[3]، فظهرت الدعوة إلى إقامة نظام عالمي جديد بدل النظام الدولي الذي كان قائما أثناء وجود المعسكر الشرقي.

إن الوعي الكوني، والروح الكونية الجديدة التي تعمقت في الآونة الأخيرة، القصد بها هنا، ذلك الوعي وتلك الروح التي أخذت تتجه حول أفكار خاصة بالبيئة والصحة العامة، ومسؤولية الإنسان تجاهها، هذه الآثار لا تقتصر على دولة دون أخرى بل ستتعدى الحدود الجغرافية، إلى تحديد مصير العالم، هذا ما جعل العالم يشعر بوحدة

---

[1] السيد ياسين، **حوار الحضارات: نحو خطة قومية للحوار مع الثقافات الأخرى**، في كتاب **الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي**، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1994، ص88.

[2] ممدوح محمود مصطفى، **مفهوم النظام الدولي بين العلمية والنمطية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، سلسلة دراسات إستراتيجية العدد 17، 1998 ص ص 37-39

[3] محمد سعيد بن سهو أبو عزوز، **العولمة ماهيتها،نشأتها،أهدافها، الخيار البديل**، عمان، دار البيارق، 1998، ص ص 18-19.

مصيره وارتباطه العفوي بالآخرين ممن يعيشون على نفس الكوكب، فلم يعد يسمح لأحد بالعبث بمصير العالم أو إهمال مسؤولياته تجاه التدابير التي أقرها القانون الدولي، ومن ثم أصبحت مسؤولية مصير العالم مسؤولية جماعية يتحمل تبعاتها الجميع، ولا تسمح لأحد بالانعزال داخل حدوده، لأن مراقبة الجميع للجميع أصبحت مصلحة وطنية عليا[1]، من هنا أصبحت المشاكل ذات طبيعة عالمية، حتى أصبحت الروابط بين المنظمات العالمية والإقليمية تتجاوز الحدود القومية ، حيث تمكنت من تعبئة الرأي العام العالمي مثلما فعلت بعض جماعات حقوق الإنسان وغيرها، هذا التحول أفرز مجموعة من الظواهر تدخل إجمالا في إطار ما يمكن تسميته بالعولمة[2].

وبسقوط الأيديولوجية الماركسية عالميا، حتى بدت قيم الليبرالية تظهر كثيرا على السلوكيات السياسية العالمية، والأخذ بها كأساس للتنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فظهرت موجة من التحول الديمقراطي على المستوى العالمي من الناحية السياسية ، بينما واكب ذلك على الصعيد الاقتصادي سريان موجة من الأخذ بالحرية الاقتصادية، وبآليات السوق والاتجاه نحو الخصخصة وتحرير التجارة على المستوى العالمي، هذه الأحداث والتحولات أدت إلى بروز الأحادية القطبية ذات الطابع الإمريكي، حيث أدت هذه الأحادية إلى وضع النظم والقوانين وإيجاد المؤسسات المختلفة لتحويل

[1] باسم علي خريسان، **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى،2001. ص 58.

[2] حسن نافعة، **دور الأمم المتحدة في تحقيق السلم والأمن الدوليين في ظل التحولات الراهنة**، في كتاب **الأمم المتحدة ضرورات الإصلاح بعد نصف قرن، وجهة نظر عربية**، تحرير جميل مطر وعلي الدين هلال، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص122.

العولمة من إطارها الإقليمي إلى إطارها الكوني الشامل، فظهرت الدعوة إلى إقامة نظام عالمي جديد[1].

هناك سلسلة من المؤتمرات التي نظمتها الأمم المتحدة تشير إلى أن السياسات الوطنية قد اتخذت أبعادا دولية متزايدة التأثير من أجل تحقيق إدارة شمولية مثلى للعالم، وفي الوقت نفسه عولمت بعض المنظمات السياسية غير الحكومية، أيضا نشاطاتها، إذ وسعت منظمة السلام الأخضر ومنظمة العفو الدولية كفاحها من أجل حماية البيئة وحقوق الإنسان في العالم.

ذلك أن روابط المنظمات العالمية غير الحكومية والجمعيات والمنظمات ذات القواعد الراسخة والكنائس وسائر الجمعيات الدينية ومجموعات العمل والمنظمات النقابية والجمعيات المهنية ومثلها أصبحت تمتد عبر الحدود القومية وبإمكانها أن تعبئ الرأي العالمي لجذب الأنظار إلى المشكلات العالمية مثلما تفعل بعض المنظمات الحقوقية والسلام الأخضر .

من هنا أصبحت المشاكل ذات طبيعة عالمية وأكثر بروزا، حتى أصبحت الروابط بين المنظمات العالمية والإقليمية تتجاوز الحدود القومية ، حيث تمكنت من تعبئة

[1] ممدوح محمود مصطفى، **مفهوم النظام الدولي بين العلمية والنمطية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، سلسلة دراسات إستراتيجية العدد 17، 1998، ص ص 37-39.

الرأي العام العالمي مثلما فعلت بعض جماعات حقوق الإنسان وغيرها، هذا التحول أفرز مجموعة من الظواهر تدخل إجمالا في إطار ما يمكن تسميته بالعولمة[1].

المطلب الثاني : التحولات العلمية والتكنولوجية

تقف الإنسانية اليوم على أعتاب عصر جديد، من تطور علمي وتقني وتكنولوجي كبير خاصة في مجال الاتصالات فضاعفت قدرات العقل في السرعة والدقة والذاكرة، وقدأدت هذه التقنيات إلى قفزة نوعية في قدرة الإنسان الفكرية والذهنية وما يتبعها من تأثيرات حضارية، لأن فكر الإنسان هو القاعدة الأساسية لكل تقدم حضاري[2]، فأصبحت هذه الثورة تجنح إلى العالمية وتعمل على إلغاء الأثر التقليدي للتمايز الجغرافي وللحدود السياسية، بالإضافة إلى التحول الثقافي للاستثمارات الاقتصادية والسياسية، مما كان له التأثير المهم على الحياة الإنسانية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، حيث نلمس هذا التأثير في مجال الاتصالات والمعلومات .

إن الثورة التقانية والعلمية، أصبحت أكثر بروزا في مجالي الاتصالات والمعلومات بالشكل الذي جعل منهما تأثيرا كبيرا في بروز العولمة اليوم وذلك لتعزيزهما الترابط بين مختلف أجزاء الكرة الأرضية، هذا التطور في مجال الاتصالات فسح المجال

[1] حسن نافعة، **دور الأمم المتحدة في تحقيق السلم والأمن الدوليين في ظل التحولات الراهنة**، في كتاب الأمم المتحدة: **ضرورات الإصلاح بعد نصف قرن**، مرجع سابق، 1996، ص122.

[2] علي خرسان، **العولمة والتحدي الثقافي**، مرجع سابق ، ص 88.

واسعا بظهور ثقافة الاتصالات وذلك لأن العامل الأساسي هو سرعة نقل المعلومة من مكان إلى آخر قد زادت من ترابط و تشابك العالم[1]، بحيث يصبح مصطلح المعلواتصالية أكثر دلالة للتعبير عن الموضعين"الاتصالات والمعلومات"، أما عن التغير الكبير في وسائل الاتصال والمعلومات، فقد أحدث ثورة في عالم اتصالات المستقبل[2]، كما أصبحت شبكة الانترنت تكسب الأطراف المتعاملة كلها صفة الكيان الواحد رغم تعدد الأطراف واختلاف أماكن تواجدها وأزمنة حضورها.

إذن التقدم في وسائل الاتصال والمعلومات قد ساهم كثيرا في تغيير سلوك الإنسان، حيث أسهمت إسهاما كبيرا في محاولة صياغة مجتمعات الغد وثقافتها وفق نمط يكاد يكون أكثر تشابها [3].

فعولمة وسائل الاتصال والمعلومات ساهمت في عولمة الاقتصاد والثقافة، وأسهمت في محاولة صياغة مجتمعات الغد وثقافاتها وفق نمط يكاد يكون أكثر تشابها، وكان هذا التقدم في وسائل الاتصال والمعلومات، نتيجة الثورة الصناعية الثالثة التي تميزت بأنها تجنح إلى العالمية أو إلى محاولة توحيد العالم في سياق واحد، كما تعمل على إلغاء الأثر التقليدي للتمايز الجغرافي وللحدود السياسية، ويظهر ذلك من خلال

[1] عمرو الجو يلي، **العلاقات الدولية في عصر المعلومات**، مقدمة نظرية، مجلة السياسة الدولية، العدد 123، 1999، ص، 58.

[2] تيسير صبحي، **تساؤلات حول التفاعل الثقافي في القرية الإلكترونية**، مجلة فيلاديفيا الثقافية، الأردن، السنة الأولى،العدد 1، 1998، ص 25.

[3] عبد الله عبد الدائم، **في سبيل ثقافة عربية مستقبلية:العالم و مستقبل الثقافة العربية**، مجلة شؤون عربية، العدد 89، آذار 1998،ص 55.

التغير التدريجي في معايير وأنماط السلوك والحياة والإنتاج بالنسبة للعالم، كما تميزت هذه المرحلة بتحول الثقافة إلى مركز الثقل في هذه الثورة، حيث تحول الميدان الثقافي إلى ميدان مباشر وأساسي للاستثمارات الاقتصادية والسياسية، مثل التركيز المتزايد على التأهيل والتكوين المهني، وعلى البحث العلمي والنظم التقني، وعلى الأنساق المتكاملة لنظم الاتصال .

من هنا نرى أن للثورة الصناعية الثالثة تأثيرا مهما على الحياة الإنسانية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ويمكن أن نلمس هذا التأثير بصورة واضحة في مجالي الاتصالات والمعلومات وما لهما من تأثير كبير على التغيرات التي يشهدها العالم اليوم في مختلف المجالات والتي كان لها العامل الأكبر في حصول التغير الدافع نحو العولمة[1].

المطلب الثالث : التحولات الفكرية والثقافية

العولمة هي تحول في جميع المجالات، من قيم مادية ومعنوية، وهي ثورة معرفية تنطوي على الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ومعنى هذا هناك حركة امتداد إلى المابعدية في الفكر، أي ما بعد الحرب الباردة[2].

[1] باسم علي خريسان، **لعولمة و التحدي الثقافي**، مرجع سابق، ص ص 88-89.

[2] السيد ياسين، **نحو خطة قومية للحوار مع الثقافات الأخرى**، المنظمة العربية للتربية والعلوم، تونس،1994، ص 88.

إذن ما بعد الحداثة هي نتاج لتحول فكري جاء ليعبر عن تحول في مجمل أوجه الحياة، أي أن الفكر اليوم بدأ يحاول الخروج عن الأطر الفكرية التي وضعها منذ الثورة الصناعية لبناء أطر جديدة قادرة على تفسير ما يحدث في الغد من تغيرات، لما أصبحت النظريات الفكرية السابقة عاجزة عن تفسيرها، ثم إن عدم ملائمة نمط التفكير لمستقبل البشرية، لم يعد قناعة تقتصر على منتمين لحضارة مغايرة له، بل صدرت وتصدر من بعض مفكري الغرب نفسه الذين يفسرون المشاكل الحالية والمتوقعة بالقيم المادية السائدة ونمط التفكير الأحادي، الذي تولدت عنه معضلة ذات أبعاد فكرية وأخلاقية وروحية تمثلت أساسا في استنزاف الطاقات البشرية والمواد الطبيعية، فبدأ هذا البعض من المفكرين الرافض للنمط المعرفي السائد ينمو حتى شكل حركة فكرية تمثل أهم الاتجاهات المعاصرة في مجال الدراسات الاجتماعية، وأصبح يدعو إلى نوع من القطيعة المعرفية يعبر عنها بالحركة المابعدية.

وقد شملت هذه الحركة المابعدية معظم مجالات المعرفة وفروعها، بما فيه الفروع الطبيعية وخاصة أطرها المعرفية المتمثلة فيما يسمى بفلسفة العلوم أو نظرية العلوم الابستمولوجيا[1]، ثم إن هذا التحول أدى إلى إحداث تغيير في نمط التفكير، وما بعد الحداثة التي تعتبر إحدى الدعاوى.

[1] إبراهيم محمود، **العولمة: هل هي انفجار الهوية ؟** مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، بيروت، العدد،92 ، 1998، ص166.

1- الحداثة وما بعد الحداثة

الحداثة هي انقلاب إيديولوجي وفكري حدث عندما أعلن الإنسان أنه صانع تاريخه، وتطلق الحداثة للدلالة عن تلك المميزات المشتركة بين البلدان الأكثر تقدما في مجال النمو الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتمتد هذه التحولات إلى جذور تاريخية منذ الثورة العلمية والصناعية وحتى قبلها، حيث ظهور النهضة الأوروبية بكل مظاهرها وفي غيرها من العوامل التي أخذت في التحقق منذ القرن السابع عشر الميلادي، ثم إن أهم ما يميز المجتمعات التي تتسم بالحداثة هو القدرة على الابتكار والتغيير، حيث يعد التغير قيمة حداثية، يضاف إليها التقدم في وسائل الإعلام المتطورة.

هذه التحولات جعلت الحاضر مختلفا عن الماضي ورسخت الاعتقاد بان المستقبل سيكون بالضرورة مختلفا عن الحاضر في مختلف المجالات ومن ثم يصبح تعلم المعارف الجديدة أمرا يفرض نفسه على جميع فئات المجتمع، وقد أدت الحداثة إلى نوع من التسارع التاريخي نتيجة التقدم التكنولوجي، حيث فقد تحرر الإنسان من العوامل التقليدية وفقد مصداقيتها، هذا ما أدى إلى ارتباط الحداثة الأوروبية بالعلمانية وكان القرن العشرين قرن العلمانية و شهدت أواخره حركات الإحياء الديني في مختلف الأديان، وقد صاحب ذلك على المستوى الأخلاقي والفلسفي، البحث عن اليقين والثبات في ظل الإيقاع المتسارع للعصر، كما صاحبه أيضا شيوع التعددية في مختلف المجالات السياسية والثقافية،

بالاعتماد على النظرة الايجابية للتعددية على أنها شاملة وفعالة باعتبارها عنصر ثراء وتطور، الأمر الذي أوجب إيجاد صياغات توفيقية للتعايش السلمي بين مختلف الأشكال والبنى الاجتماعية .

إن مشروع الحداثة، الذي بدأ منذ عصر التنوير الأوروبي في القرن الثامن عشر، قد أوصلنا إلى مرحلة جديدة من تاريخ الإنسانية هي مرحلة ما بعد الحداثة.

فقد نعى الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard عصر الحداثة، حيث رأى أنّ أهم معالم المرحلة الراهنة للمعرفة الإنسانية، هو سقوط النظريات الكبرى وعجزها عن قراءة العالم، وفي المقابل، فإنّ الفيلسوف الألماني يورغن هابر ماس، وريث مدرسة فرانكفورت النقدية، نشر مقالة هامة تحت عنوان " مشروع الحداثة لم يكتمل بعد ".[1]

وهكذا، تظل الحدود ما بين الحداثة وما بعد الحداثة متداخلة متشابكة، وهذا ما دعى بعض المفكرين إلى القول: إنّ ما بعد الحداثة ليست نهاية الحداثة، بل كامنة في حالتها الوليدة، وهي حالة مستمرة.

المتغيّر، بأنه خطاب إشكالي: فمن جهة، هناك الانهيارات السياسية والإيديولوجية التي أصابت العديد من الأفكار والنظم والمشاريع. ومن جهة ثانية، هناك الطفرات المعرفية التي شهدتها الفلسفة وعلوم الإنسان، والتي أسفرت عن انبثاق قراءات جديدة

[1] عبد الله تركماني، **منتدى الفكر المعاصر**، ورقة حول **دور المؤسسات العلمية والمجتمع المدني في الحوار المتعدد الثقافات والتبادل المعرفي الأورو – مغاربي**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات "بتونس، في الفترة ما بين 6 – 8 ديسمبر 2007.

للحداثة وشعاراتها حول العقل والحرية والتقدم. ومن جهة ثالثة، هناك الثورات العلمية والتقنية والمعلوماتية التي ندخل معها في طور حضاري جديد، ولعل أحد أهم ملامح أزمة الخطاب الثقافي المعاصر تكمن في محاولة التعرف على عناصر ومكوّنات ثقافة العولمة ما بعد الحداثة وأدواتها الوظيفية، وكذلك ما تنطوي عليه من قضايا: الثقافة الوطنية، والهوية الحضارية، والخصوصية القومية، وتعدد الثقافات، والعنصرية، والأقليات، وغيرها .

ظهر مصطلح ما بعد الحداثة لأول مرة في اللغة الإنجليزية post modernism لدى ناقد أمريكي هو تشارلز ديكينس Charles Dickens حوالي عام 1975، وقد طبقه على فن العمارة أولا قبل أن ينتقل إلى الفلسفة والميادين الأخرى لاحقا. ولكنّ المصطلح لم يأخذ كل أبعاده الفلسفية إلا عندما أصدر المفكر الفرنسي جان فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard كتابه المعروف " شرط ما بعد الحداثة " عام 1979.[1]

وفي رأي هذا الفيلسوف أنّ الإيديولوجيات الكبرى التي سيطرت علينا طيلة القرنين الماضيين كالليبرالية، والاشتراكية، والماركسية، لم تستطع أن تحقق للبشر السعادة على هذه الأرض، ولذلك فهو يدعوها بـ " الحكايات الطوباوية " أو " الأساطير الكبرى Les grands mythes"، وبالتالي ينبغي التخلي عنها ومحاولة البحث عن إيديولوجيا بديلة، وهي ما بعد الحداثة.[2]

[1] باسم علي خريسان، **العولمة والتحدي الثقافي**، مرجع سابق، ص 102.

[2] Jean-François Lyotard , **La Condition postmoderne,** Rapport sur le savoir 1979 Collection « Critique » Les Editions de Minuit, Paris.p.11

إنّ مفكري ما بعد الحداثة يرون أنّ النظريات الشمولية الكبرى والإيديولوجيات والوضوح والتماسك والتعميمات، التي أنتجتها الحداثة، أخفقت في الإجابة عن كثير من الأزمات خاصة في ادعائها بالتجانس والعلمية، لذا فهم يرفضون التعميم الشامل مقابل شرح الخصوصيات بسياقاتها ومستوياتها، ويرفضون التجانس الوهمي مقابل التنوع الواقعي، ويرفضون وضوح الفكرة مقابل التضحية بدقتها، ويرفضون الأجوبة القطعية مقابل الاحتمالات المتعددة للحالة، ويرفضون الأجوبة الكاملة مقابل الأجوبة الجزئية والنسبية وباعتبار أنّ حركة ما بعد الحداثة تشكّل أحد مظاهر ثقافة العولمة فإننا نتناول أهم مبادئها، التي لها آثار عميقة على مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وخاصة ما يتعلق منها بتعدد الثقافات:

1- سعي حركة ما بعد الحداثة لتحطيم السلطة الفكرية للأنساق الفكرية الكبرى المغلقة، التي عادة ما تأخذ شكل الإيديولوجيات، على أساس أنها في زعمها تقدم تفسيرا كليا للظواهر، وأنها ألغت حقيقة التنوّع الإنساني، وانطلقت من حتمية وهمية لا أساس لها.

2- لحركة ما بعد الحداثة أفكار محددة وجديدة حول التاريخ كعلم مستقل، أو كمدخل لكثير من العلوم الاجتماعية، تريد الحركة أن تنزله من موقعه وتقلل من أهميته ومن كثرة الاعتماد عليه.

والتقليل من أهمية التاريخ يُرَدُّ إلى فكرة أساسية مفادها أنّ الحاضر الذي نعيشه ينبغي أن يكون هو محور اهتمامنا، وليس التاريخ مهمّاً إلا بقدر ما يلقي الضوء على الأحوال المعاصرة.

3- هناك لحركة ما بعد الحداثة أفكار عن دور النظرية، وعن نفي ما يطلقون عليه " إرهاب الحقيقة "، والفكرة الجوهرية هنا أنّ الحقيقة يكاد يكون من المستحيل الوصول إليها، فهي إما أن تكون لا معنى لها أو أن تكون تعسفية. ومن هنا ترفض الحركة أي زعم باحتكار ما يسمى الحقيقة.

وهكذا، يشهد العالم مرحلة إعادة نظر جذرية في قضية الثقافة، بل إعادة اعتبار لها من زاوية استراتيجيات المستقبل، خاصة وأنّ التطورات الجارية تبشّر بمستقبل جديد على مستوى الإنجاز المادي والتقدم التكنولوجي، ومراكز البث الإلكتروني، وبرامج التنفيذ في مجالات الإدارة والعمل الوظيفي.

إذن مفهوم ما بعد الحداثة يعبر عن تيار فكري جديد يقوم على أساس النقد و الهجوم على قيم الحداثة ومفاهيمها والاعتقاد بسقوط مشروع الحداثة،حيث أخفق في تحقيق ما وعد به بدليل بروز الإيديولوجيات ،و إساءة استخدام العقلانية بعد أن تحكمت الأنانية للقوى العظمى و انعكس ذلك على قضية الحرب و السلام بين الأمم و الشعوب و أسيء استخدام العلم و التكنولوجيا [1].

وتظل الحدود ما بين الحداثة وما بعد الحداثة متداخلة متشابكة، وهذا ما دعا بعض المفكرين إلى القول: إنّ ما بعد الحداثة ليست نهاية الحداثة، بل كامنة في حالتها الوليدة، وهي حالة مستمرة.

[1] نيفين عبد الخالق، **فكر نتنياهو السياسي وأزمة السلام العربية- الاسرائيلية**، مجلة المستقبل العربي، العدد 238، 1998/12، ص ص 46-47.

إن الإيديولوجيات الكبرى التي سيطرت علينا طيلة القرنين الماضيين كالليبرالية، والاشتراكية، والماركسية، لم تستطع أن تحقق للبشر السعادة على هذه الأرض. ولذلك فهو يدعوها بـ الحكايات الطوباوية أو الأساطير الكبرى، وبالتالي ينبغي التخلي عنها ومحاولة البحث عن إيديولوجيا بديلة، وهي ما بعد الحداثة.

2- ظهور النظام العالمي الجديد

كان ميلاد النظام العالمي الجديد سواء موازياً أو مرادفاً للعولمة إيذاناً بمخاضٍ جديد أفرز من رحم الثقافة والفكر الغربي نظريتين جديدتين تصبّان في النهر نفسه أو تغذيانه وتمدانه بروافد تنشيطية تذهب به إلى أقصى مرافئه التي يمكن أن يصل إليها على أنقاض نظام العالم القديم.

وقد ظهرت النظريتان مترافقتين لا تفصلهما سوى أشهر معدودة لا يلتفت إليها في عمر الأفكار والطروحات والفلسفات التي تنضج عبر مُددٍ زمنية مديدة، وهما على الترتيب :

أ/ نظرية نهاية التاريخ

بشّر بها الباحث الأمريكي الياباني الأصل فوكوياما F. Fukuyama أحد خبراء مركز البحوث التابع لوزارة الخارجية الأمريكية في صيف عام 1989م بمقالة في مجلة المصلحة القومية نُشرت بعنوان « نهاية التاريخ The End of History » وهي مبنية

على محاضرة ألقاها في جامعة شيكاغو Chicago بمعهد مختص بشؤون الديمقراطية وتطبيقاتها، ثم أعقب ذلك بإصدار كتابه الشهير «نهاية التاريخ والإنسان الأخير The End of History and the Last Man» في عام 1992م.

وقد تناولت الآلة الإعلامية الأمريكية الجبارة هذا الطرح وحوّلته إلى مسألة إنسانية مصيرية، وجعلته موضوعاً لسجال ومطارحات نقدية سياسية ذات أبعاد كونية، وتم من خلال ذلك الربط بين أطروحة فوكوياما وطروحات النظام العالمي الجديد[1] . والنظرة التأملية لأطروحة فوكوياما ترصد ملاحظات خمسة :

الأولى: البعد غيرالأخلاقي في ذلك الطرح الساعي لإيجاد المبرر لإحكام سيطرة القوى الغنية على الدول الفقيرة[2]، ذلك ما جعل أصوانا أمريكية أخرى تصيح في وجه أطروحة فوكوياما: لقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أول مجتمع غير أخلاقي في التاريخ الحديث على حد تعبير (بيير هيجي Pierre Higi).

الثانية : أن الإنسان الأخير في أطروحة فوكوياما يختلف عن الإنسان المرجو في بشارة الفيلسوف نيتشه Nietzsche بنهاية التاريخ، فإنسان فوكوياما الأخير بربري وفوضوي يتصرف بحيوانية ووحشية صارخة تنمُّ عن عدم الرضي والقناعة بالحقوق المدنية والمساواة والعدالة المتاحة له.

---

[1] عبد السلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مطابع لوتس، تونس، 1999م، ص ص 120-121.

[2] عبد الله عثمان القوم، عبد الرؤوف محمد آدم، **العولمة : دراسة تحليلية نقدية**، دار الوراق، لندن، 1999م، ص67.

الثالثة : خطأ فاحش وقع فيه فوكوياما نتيجة عدم إلمامه بالمنهج الاستقرائي في قراءة التاريخ، وذلك عندما تصور أنه نتيجة التقارب الجوهري حول مسائل السياسة والدين والعلم، فإن الأيديولوجيات المعاصرة سوف يطاح بها عاجلاً أم آجلاً؛ لإفساح المجال لليبرالية والديمقراطية الغربية.

الرابعة: وترتبط بملاحظة تحول العالم صوب الليبرالية الغربية وديمقراطيتها، وهو ما يكذبه واقع رفض الاتحاد الأوربي اندماج تركيا التي ارتدت القبعة الأوربية في عالمه وفي اتحاد دوله وسوقه المشتركة.

الخامسة : أن الانتصار النهائي الذي تحقق ووضع أمريكا قطباً أوحد للعالم، استطاع إبادة الشيوعية كما يرى فوكوياما، هذا الانتصار بالنتائج التالية[1] :

الخصوصية القومية من ثقافة واقتصاد وسياسة لصالح العولمة، والتعددية والوطنية لصالح الفردية. أما القيم الانسانية لصالح المنفعة والترابط العضوي الإنساني لصالح الميكنة.

ب/ نظرية صدام الحضارات

وهي فرضية صموئيل هنتجتون Samuel Huntington أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد Harvard ومدير مؤسسة الدراسات الإستراتيجية بها.

[1] عبد السلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مرجع سابق، ص129.

وتقوم فرضيته على أن الغرب بحاجة إلى عدو جديد يكون عاملاً على توحيد صفوفه من أجل حتمية الصراع الضروري اللازم لبناء الحضارة الإنسانية التالية، وذلك بعد نجاح الغرب في الإطاحة بالشيوعية آخر أعدائه الحاليين.[1]

وقد استلهم هنتجتون أطروحته من المستشرق ماكسيم رودنسون Maxime Rodinson، أول من شبّه علاقة العالم الإسلامي . المسيحي بالصراع الأيديولوجي بين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي؛ لأن كليهما على طرفي نقيض[2]، ذلك التشبيه الذي بنى عليه المستشرق برنار لويس Bernard Lewis مفهوم العلاقة التصادمية بين الإسلام والغرب، تلك العلاقة التي استخرجها من تاريخ الصراع والهجمات المضادة بينهما لقرابة قرن ونصف من الزمان، وقد أصبحت فيه الولايات المتحدة الأمريكية قائدة العالم الغربي ورمزه في ذلك الصراع ضد الإسلام والمسلمين.[3]

فتلقف هنتجتون Huntington تعبير (الصدام بين حضارتين Clash of Civilization)، فأسّس عليه أطروحته التي ضمّنها محاضرته في 18 أكتوبر 1992م بعنوان «إصدار الحضارات»، وقد قصر الصدام فيها على الصدام بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، ثم توسع في مقالة بمجلة (فورين أفارز Foreign Affairs, Summer) صيف عام 1993م، إلى جعل الصدام بين الغرب والآخرين .[4]

---

[1] عبد السلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، المرجع سابق، ص ص 130-131.

[2] حسن أوريد، **الإسلام والغرب والعولمة**، منشورات جريدة الزمن، الدار البيضاء، 1999م ص33.

[3] حسن أوريد، **الإسلام والغرب والعولمة**، المرجع نفسه، ص ص 34-35.

[4] صموئيل هنتنغتون، **صدام الحضارات**، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ، الطبعة الأولى، 1999، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ص 72.

ثم تعمق أكثر في أطروحته فأصدر كتاباً حمَّله عنوان «صدام الحضارات وصياغة العالم الجديد»، الذي اعتبره هنري كيسنجرHenry Kissinger أهم كتاب صدر بعد الحرب العالمية الباردة[1] .

فالعولمة تمثل جانب الترغيب للشعوب التي تسلِّم بمنطق الرؤية الواحدة والحضارة الأمريكية الواحدة السائدة، أما الصدام الحضاري فهو الكمين الأمريكي لمن ينازع في التفرد الحضاري الوحدوي لأمريكا بدعوى امتلاكه للخصوصية الحضارية المكافئة أو البديل الثقافي والفكري والديني الذي عبر بأصحابه مراحل تاريخية عدة قادتهم إلى الريادة الحضارية قرابة ألف من سنوات العالم في عصوره الوسطية والحديثة.

وسيكون لذلك الصدام آليات متنوعة تتأرجح بين توظيف المنظمات الدولية والقوى الإعلامية والنفوذ الاقتصادي، وبين الآلة العسكرية الكفيلة بتحقيق السيطرة النهائية على المقدرات والموارد والحدود الجغرافية، وبذلك يكون النظام العالمي الجديد قد استعاض عن سندان الشيوعية ومطرقتها، بالعولمة وصدام الحضارات، فلا خيار إلا أحدهما.

[1] حسن أوريد، **الإسلام والغرب والعولمة**، المرجع السابق، ص ص 35-36.

الفصل الثاني

الثقافة العربية وتحديات العولمة

الفصل الثاني : الثقافة العربية وتحديات العولمة

مدخل:

يشكل مفهوم الثقافة أحد الأفكار الكبرى، التي ساعدت البشرية على إنجاز الكثير من التقدم العلمي والتطور الفكري؛ فالثقافة مفهوم يتميز بأنه ذا طبيعة تراكمية ومستمرة. فهي ليست وليدة عقد أو عدة عقود، بل هي ميراث إنساني اجتماعي يعطي تصورا لتاريخ البشرية وتفاعل الإنسان مع البيئة المادية والاجتماعية.

لذلك، فإن محاولة تعريف هذا المفهوم تعكس جدلا واسعا وصراعا طويلا بين الباحثين؛ لأنه على الرغم من شيوع استعمال مصطلح الثقافة على ألسنة العامة من الناس، إلاّ أن المختص حينما يحاول تعريفه يصل إلى تعريفات عديدة، في نطاق علمه والعلوم الأخرى، وكل تعريف منها يعكس وجهة نظر صاحبه، أو النظرية التي ينتمي إليها. كما يتداخل مفهوم الثقافة مع مفاهيم أخرى كالحضارة والمدنية وغيرها.

لا يمكن الحديث عن الرؤية المعرفية للثقافة بدون استحضار مالك بن نبي الذي شغلته قضية الثقافة وظلت حاضرة في جل إنتاجاته وإسهاماته الفكرية على اعتبار أنها جوهر المشكلة الحضارية التي يمر منها العالم العربي والإسلامي، ولذلك حاول أن يصل إلى فهمها وإيجاد حلول لها منذ أن ألف أول كتاب تحدث فيه عن الثقافة، وهو كتاب (شروط النهضة) .

ينطلق مالك بن نبي في كتاباته من قاعدة مفادها أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة التي يمكن تحليلها إلى ثلاث مشكلات أولية:

مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت،[1] وكل تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة، باعتبار أن الحضارة في جوهرها مجموعة من القيم الثقافية المحققة.

فمصير الإنسان رهن دائما بثقافته،[2] واتجاه الحضارة هو محصلة معادلة جبرية من متغيرين هما: المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي.[3] ولا يمكن تعريف أو فهم أو حل مشكلة الثقافة ما لم ننظر إليها من خلال زاويتين: الأولى في ضوء حالتنا الراهنة المعيشة وهي سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي، والثانية تحدد حسب مصيرنا وهي إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل،[4] إذن فالأمر يتعلق بعمليتين هما: الهدم والبناء.

فإذا كانت الأولى ترتبط بالإرث الثقافي المتخلف وجب هدمه وتحطيم الوضع الموروث عن عصور التخلف، وتصفية عادات المجتمع وتقاليده وإطاره الخلقي مما فيه من عوامل فتاكة وركام سالب، لأن تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار المميتة يعدان الأساس الأول لأية نهضة حقة،[5] فإن الثانية ترتبط بضرورة البناء بتحديد محتوى الثقافة

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص.50.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، الطبعة الخامسة عشرة، دار الفكر، دمشق، 2011م، ص. 101.

[3] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص.108.

[4] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص. 85-86.

[5] زكي ميلاد، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة: دراسة تحليلية ونقدية**، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1998م، ص. 96.

وعناصرها الجوهرية التي تصل المجتمع المتطلع إلى التقدم بمقتضيات المستقبل، وهو عموما يدور حول الإجابة عن السؤال التالي: كيف يتم إعداد ثقافة ؟ [1]

وبعد اثني عشر عاما على صدور الطبعة الأولى من كتابه "مشكلة الثقافة" سيقر مالك بن نبي في مقدمة الطبعة الثانية بأن الأفكار التي عرضها حول فكرة الثقافة كانت غريبة في الوسط الثقافي العربي، إذ لم يسبقه إليها دارس عربي من قبل، وذلك لأنه تناول القضية من زاوية جديدة متميزة عن أطروحات علماء الاجتماع الغربية السائدة في هذا المجال. وفي اعتقاده أن السر في غرابة الأفكار التي توصل إليها يمكن إرجاعه إلى عاملين:

أولا: لأن هذه الأفكار لم تتوخ منهج الدراسات الغربية في الموضوع لأسباب منهجية؛ ثانيا: لأن الأفكار المعروضة ليست في جوهرها إلا امتدادا وشرحا تحليليا من ناحية، وتركيبا من ناحية أخرى للأفكار التي قدمها في أحد فصول كتابه (شروط النهضة)، الذي نشر منذ ربع قرن باللغة الفرنسية، أي عندما كان الموضوع بكرا لا بالنسبة للعالم الإسلامي فحسب، بل أيضا في بلاد الغرب.[2]

إن منطلق فهم الواقع ومشكلاته – ومن بينها مشكلة الثقافة– يتحدد على قاعدة التمايز والاستقلال الثقافي، فكل تفسير للثقافة إلى حدود الآن يمكن رده إلى مدرستين: المدرسة الغربية التي ظلت وفية لتقاليد عصر النهضة، وهي ترى عموما أن الثقافة ثمرة

[1] الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، سلسلة فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهدى، الطبعة الأولى، بغداد، العراق، 2006م، ص. 211.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مرجع سابق، ص.11.

الفكر، أي ثمرة الإنسان. والمدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع.[1]

بمعنى آخر تقوم المدرسة الأولى على فلسفة الإنسان، التي تتأسس على النزعة الفردية الحاكمة على الثقافة الغربية، والمؤثرة في تكوين رؤيتهم للثقافة، وحيث ستعرف الثقافة على أنها تراث "الإنسانيات" الإغريقية اللاتينية، بمعنى أن مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان.

أما المدرسة الثانية فتقوم على فلسفة الجماعة، أي تنهل من تلك النزعة الاجتماعية الحاكمة على الثقافة الاشتراكية، والمؤثرة في تكون رؤيتهم للثقافة، ولهذا يعرفون الثقافة في البلاد الاشتراكية كما يقول ابن نبي على أنها ذات علاقة وظيفية بالجماعة.

ويرى مالك بن نبي أن هذين التعريفين يعدان من الوجهة التربوية مشتملين على فكرة عامة عن الثقافة، دون تحديد لمضمونها القابل لأن يدخله التعليم في عقلية الجماعة، ولذلك سيرى ضرورة الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة، عندها يمكن الحديث عن الثقافة كنظرية في السلوك، أكثر من اعتبار الثقافة نظرية في المعرفة.[2] والنتيجة لا يمكن تصور تعريف للثقافة من زاوية نظرية فقط، بل لابد أن يضاف إليه البعد العملي الإجرائي أو التربوي.

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، المرجع السابق، ص. 29.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، المرجع السابق، ص ص 72- 73.

المبحث الأول : مفهوم الثقافة

المطلب الأول : الثقافة لغة

ترجع كلمة ثقافة في قواميس اللغة العربية إلى مادة : (ث ق ف)، ثَقِف، يثقَف، ثَقَفاً؛ من باب فَرِحَ؛ ويعني صار حاذقًا فطنًا، وثَقِف الرجلَ في الحرب أدركه، وظفر به . ويجئ الفعل – أيضًا – من باب كَرُم؛ فيقال: ثَقُفَ الرجلُ: صار حاذقًا في علم أو صناعة، ومصدره "ثقافة"، وثاقفه، مثاقفة وثِقافًا: خاصمه وجالده بالسلاح إظهارًا للمهارة والحِذق. وثَقَّف الشيءَ أقام المعوج فيه وسوَّاه، وثقَّف الإنسانَ: أدَّبه وهذبه وعَلمه. و"الثقافة" لفظة محدثة؛ بمعنى أنها كلمة استعملها المحدثون في العصر الحديث، وشاع استعمالها في لغة الحياة العامة، وذكر في المعجم الوسيط: "أنها تعني العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحِذق فيها ". ثقِفَ يَثقَف، ثَقَفًا، فهو ثَقِف، والمفعول مَثْقوف – للمتعدِّي، ثقِف الشَّخصُ : صار حاذقًا فَطِنًا، ثقِف الشَّيءَ : ظفِر به أو وجده وتمكّن منه ثقِف الحديثَ : حذَقه وفطِنه، فهِمه بسرعة ثقِفَ الرَّجُلَ : صَادَفَهُ وَظَفِرَ بِهِ ثَقِفَ الخَلُّ: اِشْتَدَّتْ حُمُوضَتُهُ فَصَارَ حِرِّيفًا لَذَّاعاً.[1]

ووردت اشتقاقات هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الوجود والتمكن في بضع مواضع من سور القرآن الكريم ففي القرآن الكريم: (**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**)[2] أي وجدتموهم؛ وفي تفسير الجلالين (**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُون**) : أي إن يظفروا بكم في الحرب يتسلطوا عليكم

[1] **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، المنوفية، مكتبة الصحوة، د .ت، ص 1039.

[2] سورة البقرة، الآية 191 .

بالقتل والضرب والشتم[1]؛ **(ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا)** [2]، أي حيثما وجدوا ،**(فإما تثقفنهم ف الحرب فشرد بهم من خلفهم)** [3]، أي فإما تجدنهم في الحرب وتظفر بهم فنكل بهم حتى يكونوا عظة وعبرة لغيرهم . كذلك وردت اشتقاقات كلمة ثقف فيما ورد في الأثر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تصف أباها أبا بكر الصديق، حيث كان مما قالت فيه : (وأقام أوده بثقافه) : أي هذب نفسه بنفسه، أو استخدم زاجره الداخلي وضميره في تقويم اعوجاجه وبناء ذاته الداخلية[4] .

أما الإسهام العربي في تحديد " الثقافة، يستعرض حسين مؤنس المعاني العربية لمادة " الثقافة " كما وردت في " لسان العرب " نختار منها التالي : " ثقف الشيء ثقفاً وثقوفاً : خدمة ، ورجل ثقف : حاذق فهم. " [5]

إبن دريد: ثقفت الشيء : حذقته ، وثقفته إذا ظفرت به. وتثقيفها، تسويتها، ويعلق حسن مؤنس على ذلك بالقول: فليس في معاني لفظ ثقف ما يتفق مع المعنى الذي نريده نحن اليوم من كلمة ثقافة، بل نحن لا نستعمل ثقف أو ثقف بل تثقف يتثقف بمعنى اطلع اطلاعاً واسعاً في شتى فروع المعنى حتى أصبح رجلاً مثقفاً، فاللفظ يستعمل اليوم

[1] سورة الممتحنة، الآية 2 .

[2] سورة آل عمران، الآية 112.

[3] سورة الأنفال، الآية 57.

[4] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، دار صادر، د. ط، 2003 م، ص 115.

[5] محمود الخالدي، **الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية**، ج1، الطبعة الأولى، دارالفكر للنشروالتوزيع، عمان، 1983م، ص 46.

في معنى الاطلاع الواسع المطلق غير المحدد بتخصص، ولا وجود لهذا المعنى في المعاني القديمة للفظ الثقافة [1]

المطلب الثاني : الثقافة اصطلاحا

أما المعنى الاصطلاحي فقد جاء حديثاً على يد المجمع اللغوي في المعجم الوسيط، كما يشير عطا أبو كف ومأمون الساكت [2]، وجاء التعريف على النحو التالي: «هي جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق بها. وعرّفها المعجم الفلسفي: هي كل ما فيه استثارات للذهن وتهذيب للذوق» [3]

إن معنى الثقافة اصطلاحاً أوسع من معناها اللغوي، وهو من أكثر المصطلحات شيوعاً في العالم المعاصر، وقد برز علمٌ يتخذ من الثقافة مجالَ اهتمامه الأساس، وهو علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وقد أصبح هذا المصطلح يعبّر عن الحياة الاجتماعية بجوانبها المختلفة. ويشير الباحث والأكاديمي المختص بالفلسفة والثقافة **عزمي طه السيد** إلى أنه، مع شيوع هذا المصطلح وجاذبيته، فإنه غدا من أكثر

[1] برهان غليون، **اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م، ص 68– 94.

[2] عطا خضر أبو كف ومأمون صالح الساكت، **الثقافة الإسلامية**، دار صفا، عمّان، 2002، ص13، عن: الزمخشري، **أسس البلاغة**، مادة (ث ق ف). **ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس**، مادة ثقف.

[3] المرجع نفسه، عن **المعجم الفلسفي**، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، دون تاريخ، ص15.

المصطلحات تضليلاً لمستخدميه، وأسباب ذلك، كما يقول، بسيطة، لكنها أساسية، أهمها: الكثرة الكثيرة من التعريفات المقدمة لهذا المصطلح والمختلفة في مضامينها كثيراً أو قليلاً، وغموض دلالات ومعاني أكثرها، وعدم التحديد الدقيق والسليم لمفهومها بحيث يكون مفهوماً يميز الثقافة عن غيرها من المصطلحات المقاربة لها في الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه.[1] وهناك في الأدبيات العديدة والمتنوعة تعريفات عدة لهذا المصطلح، بدءاً من تعريف إدوارد تايلور في كتابه «الثقافة البدائية»، حيث برز هذا التعريف للمرة الأولى، مروراً بتعريفات مفكرين وفلاسفة، ومجامع علمية، ومنظمات دولية وإقليمية تعنى بالشأن الثقافي، مثل تعريف منظمة اليونسكو، وتعريف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ويمكن أن نلاحظ في هذا الصدد أن كلمة "ثقافة" باللغة العربية تتميز تميزاً واضحاً عن كلمة " حضارة " وذلك بتركيزها على الجوانب النظرية والفكرية والمعرفية والفنية والجمالية بوجه عام، أي على النواحي المعنوية من الحضارة.

وتشكل الثقافة ضمن النسق الاجتماعي العام نسقاً فرعياً متميزاً ومستقلاً، لكنه يتفاعل مع بقية الأنساق الفرعية الأخرى ويتطور معها و بها، وتقوم الثقافة بتكوين جملة الطرائق والمعايير التي تحكم رؤية الإنسان للواقع، لذلك فإن الثقافة هي مجموع القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط التي تبدع وتنظم الدلالات العقلية والروحية والحسية، وتعمل على الحفاظ على توازن النسق الاجتماعي واستقراره ووحدته وتوحيد الأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي عن طريق توحيد الأنماط العقلية التي تحكمها، فالثقافة تغذي الأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي بقيم مماثلة فتخلق نسيجاً اجتماعياً واحداً قادراً على

[1] عزمي طه السيد، **الثقافة والثقافة الإسلامية**، منشورات أمانة عمّان الكبرى، 2007، ص39.

إعادة إنتاج نفسه. لذلك فإن الثقافة في الحقيقة ليست إلا المجتمع نفسه وقد أصبح مظهراً للوعي أو وعياً، وهذا الوعي هو في ذات الوقت وعي للذات.

ويعود الفضل في التعريف الإنساني الأول للثقافة إلى ادوارد تايلور الذي عرف الثقافة أو الحضارة بمعناها الإنساني الأوسع على أنها؛ "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع". [1]

ويعرفها ليفي شتراوس Levi Strauss : " يمكن اعتبار الثقافة كمجموعة من المنظومات الرمزية التي تحتل المرتبة الأولى فيها اللغة وقواعد الزواج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين.وهذه المنظومات كلها تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الواقع المادي والواقع الاجتماعي وكذلك العلاقات التي يقيمها هذان النمطان مع بعضهما بعض وتلك التي تقوم بين المنظومات الرمزية نفسها مع بعضها ".[2]

ويكمن مفهوم الثقافة عند عالم الاجتماع الأمريكي وأشهر المنظرين الاجتماعيين في عصرنا الحاضر تالكوت بارسونز Talcott Parsons ، في أنظمة رموز تعمل على

[1] دوني كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة، قاسم المقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، سنة 2002، ص 22.

[2] LEVI-STRAUSS Claude« **Race et culture** », Revue internationale des sciences sociales, n^0 4, 1971, p. 647-666.

توجيه الفعل والعناصر الذاتية الشخصية الفاعل والأنماط المؤسسية للأنظمة الاجتماعية، أو ما أطلق عليه بارسونز حينها النظام الثقافي[1].

ويعرف جيرارد أودونيل Gérard O'Donnell الثقافة بأنها؛ عندما تؤسس جماعة بشرية ما طريقة لحياتها ، وحيث تكون هذه طريقة مقبولة بصورة عامة من الإدارة، الملبس، وآداب السلوك والمعتقدات، توصف هذه بأنها ثقافتهم[2].

والثقافة تعني " ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبير والإبداعات التي في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل دينامكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء". [3]

والثقافة في التاريخ هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة.

والثقافة تعرف بصورة عملية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه

---

[1] نورس محمد قدور، **الثقافة، التفسير الأنثروبولوجي**، المجلة الالكترونية، الحوار المتمدن–العدد، 2436، 2008/10/16، المحور، قراءات في عالم الكتب والمطبوعات، www.ahewar.org زيارة الموقع 2014/02/13.

[2] Gerard O'Donnell,Mastering Sociology, 2nd edt., Macmillan Press Ltd, London, 1988, p. 5.

[3] محمد عابد الجابري، **المسألة الثقافية** ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1994، ص 213.

بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"، فهي على هذا التعريف المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.

ويقدم لنا مالك بن نبي محاولة أراد أن يقدم فيها إيضاحا اشمل لوظيفة الثقافة من خلال مماثلتها بوظيفة الدم، فيؤكد على أن الدم يتكون من كريات دموية حمراء وبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسد الواحد، والثقافة في مماثلته هي ذلك الدم في جسم المجتمع الواحد يغذي حضارته، ويحمل أفكار الصَفوة كما يحمل أفكار العَامَة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة الأذواق. [1]

لقد أعلنت الأمم المتحدة في ندوتها المقامة لمناقشة الحقوق الثقافية من حيث هي حقوق إنسانية :1970 إلى أن الثقافة تعني دائماً كل الحقوق التي تمكن الإنسان من أن يأخذ حجمه الكامل، وقد قدَّم أحد المشاركين، وهو من أمريكا اللاتينية رأياً بقوله: يمكن أن نضيف إلى معنى الثقافة أنها أي جهد إنساني يعطي الإنسان شعوراً بالكرامة، فَرَدَ آخر إنَّ لكل شعب حضارته مقهوراً كان أم قوياً غير أنَّه يمكن أن يعاني من غزو ثقافي أو يتبنى ثقافة القوي.[2]

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الرابعة، 2000، ص 77.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، المرجع نفسه، ص 74.

وقد انتهت الندوة إلى تعريفات شتى خلاصتها: "إن ثقافة أي شعب هي طريقته الخاصة في الحياة، وموقفه منها، وآراؤه فيها، وفلسفته تجاه مشاكلها، ثم تصوره لوضعه في الحياة".

ويعرفها الإنجليزي تايلور Taylor اصطلاحاً بأنها: ذلك الكل المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وكل الإمكانات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع".[1]

ارتبط مفهوم الثقافة بمفهوم الحضارة، فقد ظهر المصطلحان تقريبا في الفترة نفسها. وقد أدى التطور اللغوي والفكري لمصطلح الثقافة إلى غموض أثار جدلا واسعا دفع الباحثين إلى تتبع أطوار تطوره ومحاولة الوقوف على أصوله ودلالاته اللغوية والاصطلاحية، مما أدى إلى كثرة التعريفات التي عرفتها كلمة ثقافة .[2]

فقد أحصى ألفريد كروبير Alfred Kroher وكلاكهون C. Kluckhon ما يزيد عن مائة وستين تعريفا في اللغة الانجليزية وحدها [3] مما دفعهما إلى تصنيفها في سبعة أصناف، وصفيه، تاريخية، تقييمية، سيكولوجية، بنيوية، تكوينية، جزئية أو غير كاملة.[1]

---

[1] Med nouiga, **la conduit par la qualité dans un contexte socioculturelle**, Essai de mondialisation systémique et application à l'entreprise marocain, thèse de doctorat en génie industrielle dirigé par: P- TRUCHOT ENSAM paris, 2003, p 53.

[2] DENYS Cuche,la notion de culture dans les sciences sociales, édition Casbah, Alger 1998, P.7

[3] عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1979، ص 110.

في حين ميز جان مارتينون Jean Pierre Martinon بين نوعين من التعريفات:

أ- نوع جزئي محدود يستعمل مصطلح الثقافة لوصف التنظيم الرمزي لأي جماعة، وعمل تناقل دلك التنظيم، وكذلك مجموع القيم التي تشكل تصور الجماعة لذاتها ولعلاقتها بالجماعات الأخرى وبالعالم الطبيعي.

ب- نوع واسع الانتشار، وهو لا يتناقض مع الأول ويستعمل فيه مصطلح الثقافة لوصف العادات والمعتقدات، واللغة والأفكار، والذوق الجمالي، والمعارف التقنية، إضافة إلى وصف تنظيم المحيط العام للإنسان، أي مجموع التقنيات القابلة للنقل التي تنظم علاقات وتصرفات الجماعة الاجتماعية مع البيئة. أي الثقافة في جانبها المادي[2]، أما دنيزكوش enys Cuche، فقد تبنى نوعين من التعاريف:

أ- التعريف العام: الذي لا يفصل بين الثقافة والحضارة، وهو التعريف نفسه الذي قدمه تايلور، إنهما ذلك المجموع المعقد المتمثل في مختلف المعارف، والمعتقدات، والفن، والقانون، والأخلاق، والأعراف، وكل الاستعدادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع.

[1] الطاهر لبيب، **سوسيولوجية الثقافة**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1987، ص 8.

[2] Encyclopédie Microsoft Encarta 98 c 1993-1997. Microsoft Corporation.

ب- التعريف الخاص: وهو الذي قدمه فرانز بوا Franz Boas ويركز على فرادة الثقافة وخصوصيتها وتعقد نسقها إلى جانب نسبيتها التي تحيل إلى التصورات النسبية كذلك عن الثقافة.[1]

وإذا كان فرانز بوا يركز على خصوصية الثقافة بوصفها سمة ملازمة لها، فإن أي تجاهل لهذه الخصوصية في التعامل معها يعد اعتداء عليها وخرقا لقوانينها وقواعدها، ويعد ترابط العناصر الثقافية واحتلال كل عنصر فيها مكانة فريدة، الذي أشار إليه مالينوفسكي Malinovsky، سمة جوهرية للثقافة كذلك حيث تؤدي كل عادة وكل فكرة وكل معتقد وظيفة حيوية ومهمة محددة، ومن تم تشكل الكل الثقافي الذي يؤدي بكليته دورا أساسيا بالنسبة للمجتمع.[2]

لأن هذه العناصر تنمو وتتطور وفق قوانينها وقواعدها الخاصة بها في ظل المناخ الذي يتوافر لها في بنيتها المحلية إنها شبيهة بالجنين في نموها الطبيعي داخل محيطها الطبيعي، وأن الجرعات الثقافية التي تأخذها من الثقافات الأخرى تؤقلمها مع خصوصيتها فتصبح عاملا مساعدا على نموها وتطورها لا عاملا معيقا لحركيتها: " مما يشير إلى خطورة المساس بأي عنصر منها ".

[1] DENYS Cuche la notion de culture dans les sciences socials، مرجع سابق ص 18-20. .

[2] DENYS Cuche la notion de culture dans les sciences socials,p 33 المرجع نفسه، .

المطلب الثالث :الثقافة وعلاقتها بالحضارة واللغة والهوية

1/ الثقافة والحضارة

يعود التمييز بين المفهومين إلى المؤرخين الألمان كما يشير إلى ذلك بعض الباحثين ثم تطور هذا الأمر وأدى إلى انتشار أطروحتين اثنتين:

أ- ترى الأطروحة الأولى أن الثقافة هي مجموعة الوسائل الجماعية التي يمتلكها الفرد أو الجماعة للتحكم في العالم الطبيعي والتأثير عليه. في حين أن الحضارة تضم مجموع الوسائل الجماعية التي يؤثر بها الإنسان على ذاته لتحقيق الارتقاء الفكري والأخلاقي والروحي ومنها بطبيعة الحال، الفنون، والفلسفة، والدين، ومختلف القوانين.

ب- في حين ترى الأطروحة الثانية أن الثقافة هي مجموع الجوانب الروحية الجماعية بوصفها ثمرة التفكير والمثالية. أما الحضارة، فهي مجموع الوسائل التي يناط بها تحقيق غايات مادية ومفيدة للإنسان ودلك ما يجعلها تتسم بطابع العقلانية.[1]

لكن المؤكد أن الاتجاه العام في البحوث الاجتماعية والأنتروبولجية الثقافية المعاصرة لا يميز بين المصطلحين.

وتتقاطع مع هذه الآراء ما ذهب إليه مالك بن نبي حين جعل الثقافة بأنها " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي

---

[1] نور الدين زمام **عولمة الثقافة (المستحيل والممكن)**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، 2001، ص 140.

في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه، وشخصيته، وهي من جهة أخرى، ذلك المحيط الذي يعكس حضارة بعينها والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهي مكون للحضارة، ومن ثم فإن تدهور الثقافة يؤدي حتما إلى فقدها وظيفتها الحضارية. [1]

أما ابن خلدون يرى أن معنى الحضارة أوسع من معنى الثقافة لأن الثقافة لا تنشأ إلا بعد الاستقرار الذي يكون في سكنى المدن والأمصار. فكلمة (حضارة) تأتي من سكنى الحضر، وفي هذا المعنى يقول: " إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران، وتعظم الحضارات". [2]

وقد عرّفت الحضارة بأنها مجموع عقائد، ومناهج فكرية، وفلسفات، ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية، وعمرانية، واجتماعية، وتجارب خاصة مرت بها الشعوب .

فالثقافة تنشأ بعد تكوين الحضارة، وأحياناً يكون معنى الثقافة والحضارة واحداً لأن بينهما علاقة تلازم .

2/ الثقافة واللغة

تعد اللغة سمة ثقافية قائمة بذاتها، وهي الموضوع المفضل في الدراسات الأنتربولوجية كما يرى ادوارد سابير، Edward Sapir، ويعد جوهان هاردر Johan

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عمر سقادي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، بيروت، 1969، ص 125.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، طبعة 1967م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 777

Harder أو كل من بحث في العلاقة القائمة بين الثقافة واللغة وبين أوجهها، في حين بين ليفي شتروس Levi- Strauss مبحث في هذه العلاقة من الباحثين اللغويين المعاصرين في إطار الفلسفة البنيوية، إذ دعا إلى تناول اللغة بوصفها منتجة للثقافة من جهة وبوصفها جزء أساسيا من الثقافة وشرطا لها إذ بفضلها تتم عملية اكتساب الثقافة.[1]

3/ الثقافة والهوية

يمكن القول إن الهوية ليست إلا مجموعة من معالم فعل اللغة والثقافة التي تسمح للفرد بتحديد انتمائه لجماعة اجتماعية محددة.[2]

يعد العامل الديني، اللغوي والقومي والإثني العرقي، أبرز مقومات الهوية، وهي نفسها مقومات الثقافة، ومن ثم فلا هوية بدون ثقافة، ولا ثقافة بدون هوية.

المبحث الثاني : تحديات العولمة

التحديات هى تطورات أو متغيرات أو مشكلات أو صعوبات أو عوائق نابعة من البيئة المحلية أو الإقليمية أو الدولية "[3] .

[1] محمد خالد، **موقع الوطن العربي ضمن تقسيم العمل الدولي**، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، 1983، ص 34.

[2] Gustave Massiah, **Division international du travail et alliance**, in Samir Amine et Autres, **la crise de l'impérialisme**, éd. Minuit, Paris 1975, P9, 10.

[3] أنيس فتحى، **الإمارات إلى أين ..استشراف التحديات والمخاطر على مدى 25 عاماً**، أبو ظبى، مركز الإمارات للدراسات والإعلام، 2005، ص 15-17 .

ولكن نوعية التحديات هي التي تحدد حجم الخطر التي تتعرض له هذه الثقافة أوالمجتمع، فبعض التحديات تؤثر في كيان المجتمع والدولة، بحيث يكون تأثير التحدي شاملاً وليس ذا بعد واحد، وهنا لابد أن تكون المواجهة شاملة، أي تكون المواجهة بحجم التحديات وإلا فإن النتيجة سوف تكون اكتساحاً شاملاً، وتتخذ التحديات عدة أشكال، وأهمها : معظم الباحثين يعدون الثقافة مجرد مجال من مجالات العولمة شأنها في ذلك شأن السياسة والاقتصاد.

إنّ للعولمة وجوهاً وتحديات متعددة كما ذكرنا، فهي عولمة سياسية، واقتصادية، وثقافية، وإعلامية، وعلمية، وتكنولوجية. والخطير في الأمر أنه لا وجه من هذه الوجوه يستطيع أن يستقل بنفسه، فعلى سبيل المثال لا توجد عولمة ثقافية من غير عولمة سياسية، واقتصادية، تمهد لها السبيل، وتفرضها فرضاً بالترهيب تارة، وبالترغيب تارة أخرى. فالعولمة نمط سلوك، ومنهج حياة يراد إكراه العالم عليه، والاندماج فيه، والعمل به، والعيش في إطاره.[1] وبناء على ما تقدم فإن أهم تحديات العولمة هي :

المطلب الأول: التحديات الاقتصادية والسياسية

التحديات الاقتصادية أصبحت أحد حقائق الواقع المعاش في الوقت الراهن، فلا تكاد تخلو وسيلة من وسائل الإعلام من طرح لهذا الموضوع، ولا يخلو أي خطاب سياسي أو منتدى فكري أو ثقافي من التصدي إليها.

[1] عبد العزيز التويجري ، **تأملات في قضايا العولمة** ، 2002م، دار الشروق، القاهرة، ص 13

العولمة الاقتصادية هى تلك العملية التي تهدف إلى توحيد أجزاء الاقتصاد العالمي وإلغاء الحواجز التي تحول دون الحرية الكاملة لتدفق عناصره ومبادلاته وحركة عوامل الإنتاج سواء أكان رأسمال أو عمل أو تكنولوجيا أو غير ذلك، فالعولمة إذن تساوي التغير التكنولوجي بالإضافة إلى فتح الأسواق للتجارة الدولية والاستثمار مضافا إليه التغير السياسي.

وتجلت عملية تسارع العولمة الاقتصادية في السنوات الأخيرة باطراد نمو التجارة العالمية وتدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة، والازدياد الحاد في نشاطات الشركات متعدية الجنسيات التي تعد اليوم بمثابة الحكومة الكونية gouvernement mondial ، كما زاد تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر زيادة ملفتة للنظر، ويمكن إيجاز أهم المخاطر التي تتعرض لها الدول النامية ومنها الدول العربية من جراء العولمة الاقتصادية فى عدة أمور، وأهمها انهيار الأنفاق الاستهلاكي، تباطؤ معدلات النمو الاقتصادي، تزايد الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة، زيادة الفقر، والأزمات المالية كالأزمة المالية العالمية الراهنة .

لقد أثرت عمليات الاندماج بالاقتصاد العالمي على أداء الاقتصاد العربي الذي بدأ بالتراجع منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي، حتى مطلع القرن الحادي والعشرين، ورغم أن هذا التراجع لا يخلوا من التذبذبات نحو الارتفاع أحياناً، غير أن الميل للتراجع كان بارزاً، ويطغى على أي تذبذبات محدودة ومؤقتة في الاتجاه المعاكس وترتكز فيه العولمة على فكرة وحدة السوق الاقتصادي، وإزالة المعوقات أمام حركة رأس المال، وعلى حرية الاقتصاد، وتستخدم هذه العولمة عدداً من الوسائل، منها:

صندوق النقد الدولي الذي يقوم بضبط النقد الدولي، واستقراره، ومنها البنك الدولي الذي يمارس عمليات الإقراض، ودراسات الجدوى في مجال الإنشاء والتعمير تجاه الدول المتضررة من الحروب، وتجاه الدول الفقيرة.

منظمة التجارة العالمية : من خلال قوانينها تجاه السلع والخدمات، وحقوق الملكية الفردية، واستخدام الإعلام والدعاية الإعلامية لترويج المنتجات الاستهلاكية، الشركات المتعددة الجنسيات التي نجح الكثير منها في الهيمنة بسبب تنوع منتجاتها، وخدماتها، وضخامة رأسمالها.[1]

وتمثل هذه التحديات الاقتصادية خطراً على التنمية، وتعوق جميع القدرات المساعدة على التكيف مع التحولات العالمية ومواجهة تحديات السلام والحماية من التغييرات المعاكسة في الفضاء الاقتصادي الكوني. كاستخدام الأمم المتحدة بعد السيطرة على مؤسساتها السياسية المؤثرة خاصة مجلس الأمن الذي تعد قراراته ملزمة عالمياً، وكاستخدام حق (النقض) المجحف عند الضرورة.

إن النظرة الفاحصة لأهداف العولمة وبرامج من يسعون إلى صبغ العالم بها تؤكد عدم دقة هذه النظرة ذلك أن العولمة الثقافية هي الهدف النهائي، وما العولمة الاقتصادية والسياسية إلا وسائل للوصول إلى هذا الهدف، ومن الشواهد الواضحة على ذلك السعي إلى فرض القيم التي تحملها الثقافة الأمريكية اليوم على الأمم الأخرى، ومنها الأمة العربية والإسلامية وما يتبع ذلك من استخدام السياسة والاقتصاد كوسائل لتحقيق هذا الهدف.

[1] إبراهيم ناصر الناصر، **العولمة : مقاومة واستثمار**، مجلة البيان، رجب 1420هـ، العدد 167، السنة 18، ص121، 123 .

كما أن تحديات العولمة متداخلة ومتشابكة ولا يعمل كل منها بصورة منفصلة عن الآخر، فقد يكون تحديا من التحديات سبباً في ظهور تحد آخر لا يقل عنه أهمية أو نتيجة له؛ فالتحديات العلمية والتكنولوجية مثلا تعد سبباً لبعض التحديات الأخرى مثل التحديات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فالثورة في مجال العلم والمعرفة والاتصالات جعلت العالم أكثر اندماجاً، كما سهلت وسرَّعت حركة الأفراد ورأس المال والسلع والمعلومات والخدمات، ومن جانب آخر سهَّلت انتقال المفاهيم والأذواق والعادات فيما بين الثقافات والحضارات، كما أدت إلي تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر بها الأفراد إلي أدوارهم وإلي أسلوب التعامل مع بعضهم البعض. هذا بالإضافة إلي أن العلم والمعرفة أصبحا – وبشكل متزايد – أساس القوة والغنى والتقدم علي المستويين الفردي والجماعي، باعتبار أن مقياس القوة والغني والتقدم هو الاندماج في الحضارة العلمية والأخذ بمعطيات الثورة المعلوماتية.

كما تجدر الإشارة إلي أن تأثير هذه التحديات لا يقتصر على الآونة الراهنة، بل يمتد إلي المستقبل أيضاً، ومن ثم فإن تلك التحديات تتطلب بذل مزيدٍ من الجهد على كافة المستويات والاستعداد لها والتخطيط لمواجهتها.

المطلب الثاني : التحديات العلمية والتكنولوجية

يشهد العالم اليوم ثورة علمية وتكنولوجية متقدمة، وتتسابق الدول في الأخذ بزمام هذه الثورة للسيطرة عليها وامتلاك مقدراتها. ولقد بات التقدم العلمي والتكنولوجي من أهم الظواهر التي تميز العصر الحديث، وتعود أهميته إلي التأثير العميق الذي يحدثه في كافة جوانب الحياة، وإلى المشكلات الكثيرة التي يثيرها، ويعتمد التقدم العلمي والتكنولوجي على

المعرفة، والاستخدام الأمثل لها والقدرة على توليدها وتنظيمها وتخزينها واستردادها، وعلى سرعة تطبيق نتائج العلم.

ويرتبط التقدم العلمي والتكنولوجي بمجموعة من المفاهيم من أهمها الانفجار المعرفي أو الإفراط المعلوماتى over–information كما يطلق عليه البعض، ومن مؤشراته أن البشرية الآن أصبحت قادرة علي أن تنتج في سنوات قلائل كمًا من المعرفة يفوق ما كانت تنتجه سابقاً في قرون.[1]

وكذلك من هذه المفاهيم مفهوم المعلوماتية وهو يشير إلي "مجموع النظم العلمية المختلفة التي تعني بالدراسة النظرية، والتطبيقات العملية، وكافة الجوانب الفنية والاجتماعية المتعلقة باستخدام وتوظيف تكنولوجيا المعلومات مثل علوم الحاسب الآلي، والبرمجيات، وشبكات الاتصال، ونقل البيانات وغيرها".[2]

يشهد العالم ثورة علمية وتكنولوجية متقدمة، وتتسابق الدول في الأخذ بزمام هذه الثورة للسيطرة عليها وامتلاك مقدراتها. ولقد بات التقدم العلمي والتكنولوجي من أهم الظواهر التي تميز العصر الحديث، وتعود أهميته إلي التأثير العميق الذي يحدثه في كافة جوانب الحياة، وإلي المشكلات الكثيرة التي يثيرها. ويعتمد التقدم العلمي والتكنولوجي علي

---

[1] نبيل علي، **العقل العربي وسط إعصار المعلومات**، مجلة العربي، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 494، يناير 2000، ص 29.

[2] محمد علي نصر، **إعداد عضو هيئة التدريس للتعليم والبحث العلمي لمواجهة بعض تحديات عصر المعلوماتية**، مؤتمر **(التنمية المهنية لأستاذ الجامعة في عصر المعلوماتية)**، في الفترة من 23 – 24 نوفمبر 1999، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، ص92.

المعرفة، والاستخدام الأمثل لها والقدرة علي توليدها وتنظيمها وتخزينها واستردادها، وعلى سرعة تطبيق نتائج العلم.

ويرتبط التقدم العلمي والتكنولوجي بمجموعة من المفاهيم من أهمها الانفجار المعرفي أو الإفراط المعلوماتى كما يطلق عليه البعض، ومن مؤشراته أن البشرية الآن أصبحت قادرة علي أن تنتج في سنوات قلائل كمًا من المعرفة يفوق ما كانت تنتجه سابقاً في قرون.[1] وكذلك من هذه المفاهيم مفهوم المعلوماتية وهو يشير إلى "مجموع النظم العلمية المختلفة التي تعني بالدراسة النظرية، والتطبيقات العملية، وكافة الجوانب الفنية والاجتماعية المتعلقة باستخدام وتوظيف تكنولوجيا المعلومات مثل علوم الحاسب الآلي، والبرمجيات، وشبكات الاتصال، ونقل البيانات وغيرها".[2]

ولقد ترتب على التقدم العلمي والتكنولوجي العديد من التغيرات التي انعكست علي كافة مجالات المجتمع البشري.

أدى الانفجار المعرفي إلي زيادة كم المعلومات والحقائق والنظريات بصورة كبيرة، وترتب على ذلك زيادة فروع المعرفة وتعددها، ومن ثم أصبحت هناك حاجة متزايدة لإعداد كوادرعلمية متخصصة في هذه الفروع.

ارتبط التطور العلمي والتكنولوجي بالتقدم الكبير في وسائل النقل والاتصالات الذي أدى إلى الإقلال من الحدود الفاصلة بين المجتمعات المختلفة من ناحية، وإلى سرعة

---

[1] نبيل علي، **العقل العربي وسط إعصار المعلومات**، مرجع سابق، ص 29.

[2] محمد علي نصر، **إعداد عضو هيئة التدريس للتعليم والبحث العلمي لمواجهة بعض تحديات عصر المعلوماتية**، مؤتمر التنمية المهنية لأستاذ الجامعة في عصر المعلوماتية، من 23 – 24 نوفمبر 1999، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مصر، ص92.

التبادل الثقافي بينها من ناحية أخرى؛ حيث أصبح الإنسان قادراً بسهولة على ملاحقة مجريات الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها في أي مكان على سطح الأرض.

المطلب الثالث : التحديات الفكرية والثقافية

تتجاوز العولمة المجالات التجارية إلى مجالات أخرى تتأثر بالاقتصاد، ومنها القضايا الاجتماعية والثقافية واللغوية، فلتنقلات السلع التجارية تبعاتها للممارسات الثقافية، والتقاليد الاجتماعية، والمعتقدات الدينية، وقد تتحول الممارسات الثقافية واللغوية إلى سلع تتداول لأغراض تجارية، وليس أدل على ذلك أكثر من تعليم اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار. إن للعولمة صلة بالهيمنة السياسية والثقافية للولايات المتحدة وحلفائها من الدول الغربية، وتمتد الآثار التجارية إلى الممارسات الثقافية والتعبيرات اللغوية، وإلى اختيار اللغات في الاتصال العالمي، وفي التعامل بين الأفراد عبر الحدود الثقافية والقومية والسياسية، كما تمتد إلى تعلم اللغات، وتكتسح الهوية الثقافية للمجتمعات اللغوية عبر الإنجليزية في أوروبا وسائر دول العالم، وتجلب الخصائص الثقافية للعولمة اهتماماً كبيراً عبر عدد من التخصصات العلمية. ويتحدد اهتمام هذا المقال في النظر إلى تحديات العولمة الثقافية واللغوية للغة العربية في انتشارها، وتطورها، وتوسع تعلمها، واستعمالها في داخل الأقطار العربية، وفي خارجها؛ بغية توضيح أبعاد هذه التحديات، وتقديم مقترحات يرجى أن تفيد في مواجهتها.

و قد أدى تطور أساليب الاتصال إلى التفاعل المباشر بين أرجاء العالم في كل لحظة، ونتج عن ذلك سيطرة بعض عناصر الثقافة العالمية على الثقافات المحلية وسعي

بعض الدول المتقدمة – بصورة مباشرة أو غير مباشرة – إلي نشر ثقافاتها وإلباسها ثوب الحضارة الإنسانية المعاصرة. وترجع أهمية الثقافة إلى أنها تعبير عن الهوية المستقلة لمجتمع ما، ولكون العولمة تقتضي الذوبان والتلاشي للهويات المستقلة ليصير العالم واحدًا؛ فلابد إذن من طمس الثقافة المحلية بما تحمله من قيم وأخلاق وعقائد. وعلى الرغم من أن التحدي الثقافي يُعد من الإشكاليات القديمة التي واجهت الثقافة الوطنية عبر العصور المختلفة، فإن حدته زادت وتفاقم أثره في العصر الذي نعيشه، وهذا يرجع – بطبيعة الحال – إلي عوامل متعددة ومتشابكة من أبرزها الثورة الهائلة في مجال العلم وتطبيقاته التكنولوجية، وما نجم عنها من تطور سريع في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وبصفة خاصة في مجال المعلومات والاتصالات، والتي أصبح العالم في ظلها بمثابة قرية إلكترونية تتدفق فيها المعلومات والأخبار من كل مكان، حيث لم يعد من السهل رؤية الفاصل بين ما هو وطني وما هو عالمي، وأضحت المجتمعات الإنسانية تواجه سيلاً جارفاً من الإنتاج الثقافي الصادر عن هذه التكنولوجيا الفائقة. وكان من نتاج ذلك اندثار ثقافات محلية، أو ضياع بعض عناصر ثقافات محلية أخرى، أو صراع ثقافات وقوميات.

إن التغيرات والظروف التي اجتاحت البشرية في العقود الأخيرة من القرن الماضي طالت وأصابت كل مناحي الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصاديه أو اجتماعيه أو ثقافية أو حضارية مما أدى إلى دفع الإنسانية إلى الدخول في مرحله جديدة من مراحل تاريخها وهو ما أطلق عليه مرحلة العولمة، أي كان لها دور كبير في إخراج كثير من القضايا من افقها المحلي الضيق إلى إطار أوسع وعالم رحب فسيح لتكون متاحة أمام العالم أجمع من دون قيود أوحواجز أو موانع تعيق مسيرتها وتحولاتها .

ولاشك أيضا أن العولمة بتجلياتها المختلفة فرضت على المجتمعات الانفتاح والتلاقي متناسية خصوصيات الشعوب الثقافية والحضارية والدينية والاجتماعية مما أحدث سجالا عميقا بين الأفراد سواء على مستوى النخب أو على مستوى العامة – مابين رافض وبشدة للعولمة باعتبارها طمس لهوية وخصوصية الأمم والشعوب وتذويب لقيمها ومبادئها على حساب نشر قيم غريبة عنها وصبغ العالم بصبغه واحدة هي الصبغة الغربية، وما بين مقبل على العولمة بشغف دون أدنى تحفظ على كل أو بعض من تجلياتها، فأحدث ذلك سجالات كثيرة على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ما زالت أحداثها تدور إلى هذه الساعة .

يصعب علينا القول أن الثقافة العربية بعيدة عن العولمة لأنها أي–العولمة– أصبحت واقعا مفروضا لا يستطيع احد التغاضي عنه لأن قافلة الحضارة الإنسانية تسير بسرعة فائقة ويكفي أن نعلم أن التطورات التقنية التي حدثت في العالم في العقد الأخير من القرن الماضي تعادل ما حققته البشرية على مدى قرن كامل، لذا فان التقوقع على الذات صعب وشاق في ظل هذه الظروف، إن ما يهمنا في هذا كله هو الازمة الثقافية العربية التي نعيشها وما هو دور تطورات العولمة وتطور وسائل تكنولوجيا المعلومات ونظم الاتصال والمواصلات في تشكيلها التحدي الأكبر للثقافة والمثقف العربي .

فالعولمة إذن تقوم بترويج المواثيق الفكرية الغربية، وفرضها عن طريق الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية، وذلك في مجالات حقوق الإنسان، والديمقراطية، وحرية الرأي، وحقوق الأقلية .[1]

[1] محمد علي نصر، **إعداد عضو هيئة التدريس للتعليم والبحث العلمي لمواجهة بعض تحديات عصر المعلوماتية**، مرجع سابق ، ص 119 ، 121.

إن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها، فهي فكرها وحركتها وأسلوب حياتها، وفي جانب الثقافة فإن العولمة تعني الهيمنة الثقافية على الشعوب لتحديد هويتها الثقافية، والمقصود بالهوية الثقافية المبادئ والأفكار والمعتقدات والالتزامات المذهبية التي تحدد وجدان الإنسان وسلوكه ومشاعره .

الثقافة عنصر مهم جداً في عملية البناء الحضاري سواء في مجال الفلسفة أم الأدب، أم السياسة، أم الاجتماع أم الاقتصاد. فالثقافة طاقة للإبداع في شتى مجالات النشاط الإنساني، وتعمل على تهذيب روح الإنسان، وصقل مواهبه وتوظيف طاقاته وملكاته في البناء والتعمير ولا يتأتى ذلك للثقافة إلا إذا كانت ذات جذور ثابتة، وذات مبادئ تقوم عليها، وذات رؤية شاملة لها قابلية للتفاعل مع الثقافات الأخرى، وإلا إذا كانت ذات منحى إنساني تتخطى به المجال المحلي إلى الآفاق العالمية دون أن ينال ذلك من خصوصيتها، أو يؤثر في طبيعتها. فإذا توفر للثقافة كل ذلك فإنها تصبح وسيلة للتواصل البشري، والتحاور الإنساني مما يؤدي إلى تعايشها مع الأمم. وهذه الشروط متوفرة في الثقافة العربية والإسلامية فهي لذلك ثقافة بناءة للإنسان والعمران والحضارة، ثقافة متفتحة استوعبت عصارة الثقافات القديمة، وأعادت صوغها لأنها ثقافة متسامحة، وقابلة للتحاور، وبعيدة عن الانطواء.[1]

[1] محي محمد مسعد، **ظاهرة العولمة : الأوهام والحقائق**، ط1، 1999م، مكتبة الإشعاع، مصر، ص 113 .

الفصل الثالث

الثقافة العربية بين الهوية والعولمة

الفصل الثالث : الثقافة العربية بين الهوية والعولمة

مدخل:

"إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"[1]، والهوية دائماً تتكون من ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى[2].

فهوية الإنسان .. أو الثقافة .. أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء –إنساناً أو ثقافة أو حضارة– الثوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة[3].

يشير " برهان غليون " إلى أنه " لا تستطيع الجماعة أو الفرد إنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة، فقبل أن تنهض لابد لها أن تكون ذاتا ".[4]

---

[1] **ندوة الهوية العربية عبر حقب التاريخ**، يومي 25–1997/6/26م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة.

[2] محمود سمير المنير، **العولمة وعالم بلا هوية**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م، ص: 146.

[3] محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فيفري 1999م، ص 6.

[4] برهان غليون، **اغتيال العقل** ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1990، ص32 .

المبحث الأول: الهوية الثقافية العربية ومكوناتها

المطلب الأول : الهوية لغة

الهوية مأخوذة من "هُوَ .. هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت في التعريفات يقول عنها بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب[1].

يُعرِّف "المُعْجَمُ الوسيطُ" الصادر عن مَجْمَعِ اللُّغة العربية "**الهُوِيَّةَ**"، بأنها: حقيقة الشَّيء أو الشَّخص التي تميزه عن غيره. وفي تعريفه لمصطلح "الهُوَ"، من منظور التَّصوف، يذكرُ المعجم أنه "الغيبُ الذي لا يصحُّ شهوده للغير كغيبِ الهُويَّة المُعبَّرِ عنه كُنْهَاً باللاتعيُّن، وهو أبطنُ البواطن". ويذهب المُعْجَمُ إلى تحديد معنى آخر للهويَّة حين تُضاف إلى الكلمة "بطاقة"، أو تُوصف بالنَّعت "الشَّخصية"، لتجعلنا نحصل على المصطلح "بطاقة الهُويَّة" أو "البطاقة الشَّخصية"، المُتَدَاوَلين حديثاً، فيذكرُ أنَّ "الهُوِيَّةَ بطاقة يثبتُ فيها اسمُ الشَّخص وجنسيتهُ ومولدهُ وعمله".[2]

أما في اللغة الإنجليزية فتعني تماثل المقومات أو الصفات الأساسية في حالات مختلفة وظروف متباينة، وبذلك تشير إلي الشكل التجميعي أو الكل المركب لمجموعة من

---

[1] الشريف الجرجاني، **التعريفات**، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ – 1987م، ص 314.

[2] مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التُّراث): **المعجم الوسيط**، "الهو" و"الهُوِيَّة". المنوفية، مكتبة الصحوة، د .ت، ص 1039.

الصفات التي تكون الحقيقة الموضوعية لشئ ما ، والتي بواسطتها يمكن معرفة هذا الشئ وغيره علي وجه التحديد[1] .

وبناء على ذلك استخدم اللفظ ليدل علي الإحساس العميق والمتواصل للإنسان بنفسه وماضيه وحاضره ومستقبله والمستمد من مشاعره ومعتقداته وأفكاره .

أما عن آراء المفكرين حول مفهوم الهوية فيلاحظ أن الأمر لا يختلف كثيرا، وإن كان يتصف بأنه أكثر تحديدا؛ لأنه يرتبط بالبعد الثقافي أو الاجتماعي للمصطلح فقد عرف "سعيد إسماعيل علي " الهوية بأنها " جملة المعالم المميزة للشئ التي تجعله هو هو، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكل منا كإنسان شخصيته المميزة له، فله نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية و ميوله واتجاهاته وثقافته، وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب" [2].

بمعنى أن هوية الشئ ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلي وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلي وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة

[1] رشدي أحمد طعيمة، **الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس**، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 35.

[2] سعيد إسماعيل علي، **التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين**، المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان **اتجاهات التربية وتحديات المستقبل**، في الفترة 7 – 10 ديسمبر 1997، ص 95 .

الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا لتلك الجماعة" [1].

ويرى " محمود أمين العالم " أن " الهوية ليست أحادية البنية ، أي لا تتشكل من عنصر واحد ، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق ، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها ، وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها [2].

وأشار أحد الباحثين إلى أن الهوية " مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلي كيفية إدراك شعب ما لذاته ، وكيفية تمايزه عن الآخرين ، وهي تستند إلي مسلمات ثقافية عامة ، مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع". [3]

كما أن الهوية ترتبط بالانتماء، فقد عرفها البعض بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة، والتي تولد الإحساس

[1] محمد عمارة، **مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية**، سلسلة في التنوير الإسلامي، ع 32 ، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت، ص6

[2] محمود أمين العالم، **الهوية مفهوم في طور التشكيل**، مؤتمر" العولمة والهوية الثقافية، في الفترة 12 – 16 أفريل 1998م، سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 376 .

[3] محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001، ص 110

لدي الأفراد بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد"[1].

وفي ختام ندوة "الهوية والتراث" التي عقدت بالقاهرة عام 1983م، جاء في البيان الذي يلخص أعمالها أنها "لم تصل إلى تعريف لمفهومي الهوية والتراث، ولا إلى تحديد دقيق لمكونات كل منهما،[2] وأن الندوة "أثارت العديد من التساؤلات والاستفسارات، وكان أهمها ما يتعلق بقضايا أزمة المجتمع العربي، الهوية والتراث، المشروع الحضاري العربي[3] .

وعلى الرغم من أن اصطلاح "العولمة" لم يكن قد ظهر في ذلك الحين، إلا أن ورقة العمل التي دارت حولها المناقشات اقتربت منه عندما طرحت هذا التساؤل" :ما مدى صحة القول بأن الثقافات على المستوى العالمي تتقارب في اتجاه تكوين ثقافة ذات طابع عالمي اليوم، وما مدى تأثير ذلك على الهوية؟ [4]. وهو تساؤل مهم نجد صداه بعد ذلك في ندوة "العولمة والهوية" بالرباط عام 1997م، وفيها أيضا يتردد القول بأن "مفهوم العولمة لم يتحدد بعد، ويبدو أن الممارسة هي التي تمنحه أبعاده وتحديده،[5]. ويقترب من هذا المعنى

---

[1] إسماعيل الفقي، **إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء**، المؤتمر القومي السنوي الحدي والعشرون للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس بعنوان " العولمة ومناهج التعليم " ديسمبر 1999، ص 205

[2] سهير لطفي، محررة، **ندوة الهوية والتراث**، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق، بيروت، دار الكلمة، 1984م، ص 153.

[3] سهير لطفي، ندوة الهوية **والتراث**، المرجع نفسه، ص 138.

[4] سهير لطفي، ندوة الهوية **والتراث**، المرجع نفسه، ص 164.

[5] عبدالكريم غلاب، ندوة **العولمة والهوية**، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م، ص245.

أيضا السيد ياسين في ندوة "العرب والعولمة"، ببيروت، عام 1997م، عندما يقول إنها "عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة، ولا يمكن تعريف العولمة بغير تحديد تجلياتها وأبعاد[1]

وتتفق وجهات النظر بوجه عام على أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة وانتقال الأفراد والسلع ورؤوس الأموال والخدمات والأفكار والمعلومات ووسائل الاتصال بين الدول والمجتمعات على النطاق الكوني.

وتبرز قضية الهوية الثقافية بمجرد حديثنا عن الانتقال عبر الحدود وخاصة في مجال المعلومات والأفكار والاتجاهات والأنماط السلوكية. وهنا أيضا نجد آراء عدة في تحديد المفهوم تختلف حول بعض التفصيلات، ولكنها تتفق بوجه عام على أن هذه الهوية تعني السمات المعبرة عن الشعور بالانتماء لدى أفراد كيان اجتماعي معين، والوعي بخصوصيتهم المتمثلة في نسقهم القيمي، ورؤيتهم المتميزة للكون والإنسان، ورصيدهم المختزن من الخبرات المعرفية والتجارب والأنماط السلوكية، ونوعية تفاعلهم مع البعدين التاريخي والجغرافي كما تصوره مؤسساتهم الاجتماعية والسياسية .

وهكذا فالهوية الثقافية بهذا المعنى تعبر عن كيان معنوي له حياته وحركته الدينامية التي تساعده على أن يتفاعل مع كيانات معنوية أخرى إيجابا أو سلبا، وأن ينمو بسرعة أو ببطء، وأن يواجه ما يعترض طريقه من مستجدات بأساليب مختلفة تتناسب مع ما يميزه من العناصر السابقة. وإذا كان بالإمكان الحديث عن الهويات الثقافية دون اقترانها بموضوع العولمة، فمن غير المجدي دراسة العولمة دون البحث في علاقتها بالهويات الثقافية.

[1] السيد ياسين،"في مفهوم العولمة،"**العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، بيروت،25 و29.

وبالنسبة لمفهوم " الهوية " في اللغة نجد أن المعجم الوسيط أشار إلي أن "الهوية في الفلسفة حقيقة الشئ أو الشخص التي تميزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمي البطاقة الشخصية أيضا".[1]

أما في اللغة الإنجليزية فتعني تماثل المقومات أو الصفات الأساسية في حالات مختلفة وظروف متباينة، وبذلك تشير إلي الشكل التجميعي أو الكل المركب لمجموعة من الصفات التي تكون الحقيقة الموضوعية لشئ ما، والتي بواسطتها يمكن معرفة هذا الشئ وغيره علي وجه التحديد[2] .

المطلب الثاني : الهوية اصطلاحا

أما عن آراء المفكرين حول مفهوم الهوية فيلاحظ أن الأمر لا يختلف كثيرا، وإن كان يتصف بأنه أكثر تحديدا؛ لأنه يرتبط بالبعد الثقافي أوالاجتماعي للمصطلح فقد عرف "سعيد إسماعيل علي " الهوية بأنها " جملة المعالم المميزة للشئ التي تجعله هو هو، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكل منا شخصيته المميزة له، فله

[1] مجمع اللغة العربية :**المعجم الوسيط** ، المنوفية : مكتبة الصحوة ، د .ت، 1039

[2] رشدي أحمد طعيمة، **الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس**، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 35

نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية وميوله واتجاهاته وثقافته، وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب"[1] .

كما أشار "محمد عمارة إلى أن هوية الشئ ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلي وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلي وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس ، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا لتلك الجماعة"[2] .

ويرى محمود أمين العالم أن " الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها.[3]

---

[1] سعيد إسماعيل علي، **التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين**، المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان " اتجاهات التربية وتحديات المستقبل، في الفترة 7 – 10 ديسمبر 1997، ص 95

[2] محمد عمارة، **مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية**، سلسلة في التنوير الإسلامي ع 32 ، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت، ص6.

[3] محمود أمين العالم، **الهوية مفهوم في طور التشكيل، مؤتمر" العولمة والهوية الثقافية**، في الفترة 12 – 16 أفريل 1998م، سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 376

وأشار أحد الباحثين إلى أن الهوية " مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلي كيفية إدراك شعب ما لذاته ، وكيفية تمايزه عن الآخرين ، وهي تستند إلي مسلمات ثقافية عامة ، مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع" [1]

كما أن الهوية ترتبط بالانتماء، فقد عرفها البعض بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة، والتي تولد الإحساس لدي الأفراد بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد".[2]

ومن المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونسكو والذي ينص علي أن الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شئ أننا أفراد ننتمي إلي جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر– بطريقة إيجابية أو سلبية– الطريقة التي ننتسب بها إلي جماعتنا والعالم بصفة عامة ".[3]

---

[1] محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001، ص 110.

[2] إسماعيل الفقي، **إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء**، مرجع سابق، ص 205.

[3] حمدي حسن عبد الحميد المحروقي، **دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة علي الهوية الثقافية**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، ع 7، أكتوبر 2004، القاهرة، مركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس، ص164

وذكرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن الهوية الثقافية هي " النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع ،مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية، التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد " .[1]

ويتقارب مفهوم الهوية في الغرب من مفهومها لدى العرب، فقد عرفها بعض الغربيين بأنها " تعبر عن الشعور بمجموعة من السمات الثقافية للجماعة، والميل إلى ربط الشخص بالبيئة الاجتماعية التي ينتمي لها، وبالتالي تميزه عن غيره من الجماعات والمجتمعات الأخري " .[2]

وهذا معناه أن كل ثقافة تتميز عن غيرها من الثقافات الأخرى من حيث طبيعة الشخصية، وطريقة الفهم وأساليب الاتصال وخاصة اللغة، والأشكال المختلفة للسلوك، وأساليب الحياة التي ينتجونها، بالإضافة إلي المعايير والقيم والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفرادها [3] .

---

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية**، الطبعة الثانية، تونس، إدارة الثقافة، د .ت، ص21.

[2] Bernardo M . Ferdman : Literacy and culture Identity, in : Masahiro Minami & Bruce P . Kennedy (Editors) "Language Issues in Literacy and Bilingual Multicultural Education **, Harvard Educational Review** , (U S A) , 1998 PP . 355 – 356

[3] Stephan Dahl : Communications and Culture Transformation , available in : http:// www.Stephweb.com /capstone/1html

كما تشير الهوية أيضا إلي أن هوية الشخص تعني صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، وقد شبهوها بالبصمة[1]، كما ذهبت بعض التعريفات إلي أن الهوية الاجتماعية هي " تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية في ضوء أسس ومرتكزات لجماعتهم الاجتماعية، وعضويتهم الطبقية معا، ومع ارتباطاتهم العاطفية والتقييمية وغيرها من الارتباطات السلوكية؛ التي تربطهم بهذه الجماعة مؤكدة ، انتماءاتهم إليها".[2]

بدون هوية اجتماعية وثقافية يغترب الأفراد عن بيئاتهم الاجتماعية والثقافية، بل وعن أنفسهم تماما، وبدون تحديد واضح للآخر لا يمكنهم تحديد هوياتهم الاجتماعية والثقافية، ويشير " برهان غليون " إلي أنه " لا تستطيع الجماعة أو الفرد إنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة ، فقبل أن تنهض لابد لها أن تكون ذاتا ".[3]

ومن الملاحظ أن الكتابات العربية والأجنبية تزخر بالكثير من البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الهوية، مما قد يوقع الباحث في نوع من اللبس عند تناول هذا الموضوع بالبحث، وتأتي المعضلة من صعوبة إيجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية، بسبب تعدد المدارس الفكرية التي تناولت الموضوع، بالإضافة إلي سعته وشموليته ، حيث

---

[1] Howkins , Joyce M . & Allen , Rubert , the oxford Encyclopedia , **English Dictionary** , oxford ,ALLEN CLAR EUDON PRESS , 1991 , P 707

[2] feather , n . T : " values, national identification and favoritism towards the in – group ", **British journal of social psychology** , no 33, 1994, p 467

[3] برهان غليون، **اغتيال العقل**، القاهرة، مرجع سابق، ص32.

تشارك في تكوينه متغيرات متعددة، وخاصة المتغيرات المجتمعية التي تطرأ وتؤثر في الفكر، فالهوية مفهوم له دلالته اللغوية واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية.

وبالنسبة لمفهوم " الهوية " في اللغة نجد أن المعجم الوسيط أشار إلي أن "الهوية في الفلسفة حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمي البطاقة الشخصية أيضا"[1].

أما في اللغة الإنجليزية فتعني تماثل المقومات أو الصفات الأساسية في حالات مختلفة وظروف متباينة، وبذلك تشير إلي الشكل التجميعي أو الكل المركب لمجموعة من الصفات التي تكون الحقيقة الموضوعية لشيء ما، والتي بواسطتها يمكن معرفة هذا الشيء وغيره علي وجه التحديد[2] .

وبناء علي ذلك استخدم اللفظ ليدل علي الإحساس العميق والمتواصل للإنسان بنفسه وماضيه وحاضره ومستقبله والمستمد من مشاعره ومعتقداته وأفكاره .

أما عن آراء المفكرين حول مفهوم الهوية فيلاحظ أن الأمر لا يختلف كثيرا، وإن كان يتصف بأنه أكثر تحديدا؛ لأنه يرتبط بالبعد الثقافي أو الاجتماعي للمصطلح فقد عرف "سعيد إسماعيل علي " الهوية بأنها " جملة المعالم المميزة للشئ التي تجعله هو هو، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكل منا – كإنسان – شخصيته

[1] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المنوفية، مكتبة الصحوة، د .ت، ص 1039.

[2] رشدي أحمد طعيمة، **الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس**، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 35.

المميزة له، فله نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية وميوله واتجاهاته وثقافته، وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب.[1]

كما أشار "محمد عمارة " إلي " أن هوية الشئ ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلي وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلي وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا لتلك الجماعة"[2] .

ويرى " محمود أمين العالم " أن " الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر جميعها[3].

---

[1] سعيد إسماعيل علي، **التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين**، المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان " **اتجاهات التربية وتحديات المستقبل**، في الفترة 7 – 10 ديسمبر 1997، ص 95 .

[2] محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة " في التنوير الإسلامي**، ع 32، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت، ص6.

[3] محمود أمين العالم، **الهوية مفهوم في طور التشكيل**، مؤتمر" **العولمة والهوية الثقافية**، في الفترة 12 – 16 أفريل 1998م، سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 376 .

وأشار أحد الباحثين إلى أن الهوية " مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلي كيفية إدراك شعب ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهي تستند إلي مسلمات ثقافية عامة، مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع"[1]

كما أن الهوية ترتبط بالانتماء ، فقد عرفها البعض بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة، والتي تولد الإحساس لدي الأفراد بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد"[2].

ومن المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونسكو والذي ينص على أن الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء أننا أفراد ننتمي إلي جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر– بطريقة إيجابية أو سلبية– الطريقة التي ننتسب بها إلى جماعتنا والعالم بصفة عامة "[3] .

---

[1] محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001، ص 110.

[2] إسماعيل الفقي، **إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء**، مرجع سابق، ص 205.

[3] **حمدي حسن المحروقي**، مرجع سابق ، ص164.

وذكرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن الهوية الثقافية هي " النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية، التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد "[1].

ويتقارب مفهوم الهوية في الغرب من مفهومها لدي العرب ، فقد عرفها بعض الغربيين بأنها " تعبر عن الشعور بمجموعة من السمات الثقافية للجماعة، والميل إلي ربط الشخص بالبيئة الاجتماعية التي ينتمي لها، وبالتالي تميزه عن غيره من الجماعات والمجتمعات الأخري "[2].

وهذا معناه أن كل ثقافة تتميز عن غيرها من الثقافات الأخرى من حيث طبيعة الشخصية، وطريقة الفهم وأساليب الاتصال وخاصة اللغة، والأشكال المختلفة للسلوك، وأساليب الحياة التي ينتجونها، بالإضافة إلي المعايير والقيم والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفرادها[3] .

---

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية**، ط 2، تونس، إدارة الثقافة، د ت، ص21.

[2] Bernardo M . Ferdma , **Literacy and culture Identity, in : Masahiro Minami & Bruce** P . Kennedy (Editors) "Language Issues in Literacy and Bilingual Multicultural Education **,** Harvard Educational Review , (U S A) , 1998 PP . 355 – 356

[3] Stephan Dahl : **Communications and Culture Transformation** , available in : http:// www.Stephweb.com /capstone/1html 2015/02/12 تاريخ زيارة الموقع

كما تشير الهوية أيضا إلي أن هوية الشخص تعني صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، وقد شبهوها بالبصمة[1]، كما ذهبت بعض التعريفات إلي أن الهوية الاجتماعية هي " تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية في ضوء أسس ومرتكزات لجماعتهم الاجتماعية، وعضويتهم الطبقية معا، ومع ارتباطاتهم العاطفية والتقييمية وغيرها من الارتباطات السلوكية؛ التي تربطهم بهذه الجماعة مؤكدة، انتماءاتهم إليها".[2]

وهذا التعريف يوضح العلاقة بين الانتماء وبين الهوية، حيث إن كلا منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، فالإنسان عندما يعرف أن هويته ترتبط بهوية المجتمع الذي يوجد فيه، فإن هذا يجعله يتمسك ويرتبط بمجتمعه .

إذن يمكن أن نخلص من ذلك بالآتي :

- أنه يصعب أن نجد تعريفا جامعا مانعا للهوية الثقافية .
- أن الهوية تختلف من مجتمع لآخر ومن عصر لعصر.
- أن الهوية تختلف باختلاف التوجهات الفكرية والأيديولوجية.
- أن الهوية الثقافية تتكون من مزيج من اللغة والدين والتاريخ وثقافة المجتمع، وهذا معناه أن الهوية يكون لها خصوصيتها المستمدة من ثقافة المجتمع ويصقلها تاريخه وحضارته.

[1] Howkins , Joyce M . & Allen , Rubert , **the oxford Encyclopedia** , **English Dictionary** , oxford ,ALLEN CLAR EUDON PRESS , 1991 , P 707

[2] feather , n . T . : " values, national identification and favoritism towards the in – group ", **British journal of social psychology** , no 33, 1994, p 467

- أن هناك ثلاث مستويات للهوية تتمثل في: الهوية الفردية وهي على مستوى الفرد، والهوية الجماعية وهي التي تكون على مستوى الجماعة التي يوجد فيها الفرد، والهوية الوطنية والقومية، وهي التي تشمل المجتمع كله، وهذا معناه أن الهوية الثقافية لأي فرد لا تكون كاملة.

- أن الهوية الثقافية تتكون في ضوء ثلاثة عناصر رئيسة هي: الوطن والأمة والدولة .

- أنه لا يوجد تعارض بين وجود هوية لكل مجتمع وبين التفاعل مع متغيرات العصر.

- أن من مظاهر ضعف الهوية عندما يؤدي الإعجاب بالعلم والتقدم إلي الإعجاب بمن أبدعوه، فيسيرون وراءهم ويتبعون خصوصياتهم الثقافية، وهذا يقودنا إلي ضرورة التعرف على مكونات الهوية الثقافية.

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف الهوية الثقافية العربية الإسلامية بأنها مجموعة السمات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية العربية ، وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخري ، وتتمثل تلك الخصائص في اللغة والدين والعادات والتقليد والأعراف وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية .

الهوية في معناها المجرَّد هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقلُّ بها الذات عن الآخر، فبغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر[1].

ومن ثمَّ يمكن القول: إن الهوية هي الكيفية التي يُعَرِّف الناس بها ذواتهم أو أُمَّتهم، وتُتَّخذ اللغة والثقافة والدين أشكالاً لها؛ فهي تنأى بطبعها عن الأحادية والصفاء، وتنحو منحى تعدديًّا تكامليًّا إذا أُحسن تدبيرها، ومنحى صداميًّا إذا أُهملت وأُسيء فهمها، تستطيع أن تكون عامل توحيد وتنمية، كما يمكن أن تتحوَّل إلى عامل تفكيك وتمزيق للنسيج الاجتماعي، الذي تؤسِّسه عادة اللغة الموحدة[2].

والعولمة يتفاوت فهم الأفراد لمضامينها المختلفة؛ فالاقتصادي يفهم العولمة بخلاف عالم السياسة، كما أن عالم الاجتماع يفهمها فهمًا قد يختلف فيه عن المهتم بالشؤون الثقافية.

---

[1] عبد الودود مكروم، **قيم هوية وثقافة الإنماء، مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية**، المؤتمر العلمي العشرون، **مناهج التعليم والهوية الثقافية**، المنعقد في الفترة 30 – 31 يوليو2008، بدار ضيافة جامعة عين شمس، مجلد 4، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ص 1375 .

[2] محمد أحمد محمد إسماعيل، برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية لمواجهة التحديثات الحضارية بمراكز إعلام محافظة قناة السويس، **مجلة كلية تربية عين شمس**، ع 30، ج 3، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2006، ص 373.

في مفهومها الاقتصادي؛ عبارة عن تحوُّل نوعي عن اقتصاد يتَّصف بكل بساطة بأنه دولي، والاقتصاد المدوَّل هو اقتصاد تظل الاقتصاديات القومية المنفصلة فيه مسيطرة، على الرغم من اتساع النشاط بين الدول[1]. أما في جانبها السياسي؛ تعني الاتجاه المتواصل نحو تعددية تُؤَدِّي فيها المنظمات الدولية دورًا رئيسًا لتشكيل بنية عابرة للقوميات، وظهور شبكة من المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية التي تراقب عمل الحكومات وتؤثِّر فيه[2]. وفي معناها الثقافي؛ هي مرحلة من مراحل التفكير الإنساني في العالم المعاصر، بدأت بالحداثة، وما بعد الحداثة، والعالمية، ثم العولمة، ونحن الآن في مرحلة الأمركة، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الكوكبة –نسبة إلى كوكب الأرض– ثم يتطلعون بعد ذلك إلى مرحلة الكونية[3]. ولعل التركيز على البعد الاقتصادي في تعريف العولمة نابع من كونها نتاجًا لتطور النظام الرأسمالي وحاجته إلى التوسع المستمر في الأسواق، وعلى الرغم من غلبة البعد الاقتصادي على أغلب تعريفات العولمة، فإن دلالة المصطلح في تطورها استقرت على أنها ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها إلى العالم كله عبر الحدود السياسية الدولية، ويحدث فيها تحولات على مختلف الصور تؤثر في حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان.

---

[1] محمود أمين العالم، **الفكر العربي بين الخصوصية والكونية**، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1996، ص 19.

[2] محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربي، ع 228، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير 1998م، ص ص 14 – 22.

[3] محمد عابد الجابري، **مسألة الهوية – العروبة والإسلام والغرب**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ص 12.

المطلب الثالث : مكونات الهوية الثقافية العربية

تستمد الهوية الثقافية العربية مقوماتها من عناصر راسخة شكلتها ثوابت جغرافية تعكس هذا الامتداد الجغرافي دون عوائق طبيعية من المحيط إلي الخليج، ومتغيرات تاريخية يتيح الرجوع إليها فهما أعمق للماضي والتاريخ وتطلعات نحو المستقبل؛ تكاد تكون قاسما مشتركا بين أبناء أمة واحدة، وتراثًا مركباً؛ قاعدته الراسخة قوة الاعتقاد ووسطية في السلوك، تترجم معاني التسامح رغم التباين في الأعراق والأنساب والمعتقدات، ولغة عربية هي بوتقة الانصهار الفكري والوجداني لأمة عربية واحدة[1].

إذن فهذا معناه أن الهوية الثقافية العربية تتكون من عدة عناصر مرتبطة ببعضها، وأي خلل في أحدها يؤدي إلي خلل في باقي مكوناتها، ومن أبرز هذه المكونات:

1/ اللغة

تعد اللغة هي المكون الأول والأساس في الهوية الثقافية، فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها، لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع، وبالتالي فالحفاظ علي اللغة يعني ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع .

[1] محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001، ص 111 .

فاللغة جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته، كما أنها تتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري، وتنفذ إلي جميع نواحي الحياة فيه؛ لأنها من أهم مقومات وحدة الشعوب، وقد أشارت منظمة اليونسكو على لسان مديرها إلى أهمية الحفاظ على اللغات الخاصة بالمجتمعات حيث قال :

إن " اللغات هي من المقومات الجوهرية لهوية الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي، كما أنها عامل استراتيجي للتقدم نحو التنمية المستدامة، وللربط السلس بين القضايا العالمية والقضايا المحلية... تعدد اللغات عن بصيرة هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن لجميع اللغات إيجاد متسع لها في عالمنا الذي تسوده العولمة، لذلك تدعو اليونسكو الحكومات وهيئات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية والجمعيات المهنية وجميع الجهات المعنية الأخرى إلى مضاعفة أنشطتها الرامية إلى ضمان احترام وتعزيز وحماية جميع اللغات، ولا سيما اللغات المهددة، وذلك في جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية "[1].

ولغتنا العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي، فالوحدة اللغوية والثقافية بين البلاد العربية لا تتم إلا بالمحافظة علي اللغة العربية التي تؤدي إلي وحدة الشعور والفكر، كما كانت اللغة العربية هي الجسر الذي عبر عليه العرب والمسلمون جيلا بعدا آخر لتحقيق التواصل، ولهذا كانت اللغة العربية ومازالت جوهر الهوية الثقافية، فهي لغة القرآن، كما أنها لغة ثرية في محتواها ومفرداتها، وقد حافظت اللغة العربية علي استمرارية الأمة العربية. ومن المؤكد أن إتقان اللغة العربية يساعد علي الانسجام والتناغم بين أفراد

[1] محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع3، خريف 2001 ، ص 111.

المجتمع، بل والاعتزاز بهويتهم؛ لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة، لذا فاللغة والثقافة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ علي الهوية الثقافية العربية والإسلامية .[1]

إذن فالعلاقة بين اللغة وبين الهوية الثقافية علاقة قوية لا تنفصم ، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليما ونشرا وتيسيرا لصعوباتها[2]، ونظرا للأهمية القصوى للغة العربية، وكونها عنصرا رئيسا من عناصر الهوية الثقافية، تعرضت لحملات كثيرة للقضاء عليها؛ بغرض القضاء علي الهوية الثقافية، وقد أشار "العقاد" إلى تلك الحملات بقوله" الحملة علي لغتنا الفصحى حملة علي كل شئ يعنينا، وعلي كل تقليد من التقاليد الاجتماعية والدينية، وعلي اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربي قواما يميزه في سائر الأمم، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا تبقى له باقية"[3]. وقد يكون من أهم العوامل التي أدت إلي انخفاض مستوي الأداء اللغوي لدي الطلاب المعلمين، هو اقتصار الاهتمام باللغة العربية علي المتخصصين فيها، وقد أشار " أحمد المهدي عبد الحليم " إلي خطورة اقتصار العناية بتعليم اللغة العربية علي مدرسيها، وأن هذا يتناقض مع ما نادى به المفكرون والتربويون من أن كل معلم يجب أن

---

[1] عبد الرحمن عمر الماحي، **العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم**، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة 27–30 مارس 2007، ص 655 .

[2] سعيد إسماعيل علي، **ثقافة البعد الواحد** ، القاهرة، عالم الكتب، 2003، ص 16.

[3] عباس محمود العقاد، **دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية**، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت، ص ص 30 –31.

يكون معلما للغة في نطاق المادة التي يدرسها .[1] ويأتي الواقع اللغوي في التعليم العالي والجامعي كامتداد للقصور الذي تتعرض له اللغة العربية في التعليم العام، حيث نجد أن تعليم اللغة العربية توقف في بعض الجامعات وفقا لافتراض خطأ هو: أن التعليم الجامعي مرحلة يعني فيها بتعليم التخصصات الدقيقة في فروع العلوم المختلفة، لكن بعض الجامعات حاولت إلزام طلاب المستوي الأول في الجامعة بدراسة مقرر في اللغة العربية، وهذا المقرر – غالبا – يطبق في إطار أن للغة أشكال لغوية، وأن الهدف منه تمكين الطلاب من هذه الضوابط اللغوية الشكلية[2].

وفي ظل العولمة ازداد ما تتعرض له اللغة العربية من محاولات تذويبها والقضاء عليها، حتى صار الشباب يتفاخر بتناقل الألفاظ والمصطلحات بلغات أجنبية، وصارت أسماء المحال التجارية تكتب باللغات الأجنبية، وغيرها من السلوكيات التي تنبئ بخطورة الأمر، خاصة في ظل الانفتاح الإعلامي والثورة الهائلة في علم الاتصالات، ولكن ستبقي اللغة العربية ما بقي القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "[3]

---

[1] أحمد المهدي عبد الحليم، **شتات مجتمعات في التربية والتنمية**، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 287.

[2] أحمد المهدي عبد الحليم، **تفعيل الجامعات العربية أداة لتأصيل هوية الأمة وتجديدها**، ندوة " **تفعيل التعليم العالي في خدمة المجتمع**، في الفترة 9– 10 إبريل 2001م، المملكة المغربية،أغادير، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص 21.

[3] سورة، الحجر، الآية 9 .

2/ الدين

تستمد الهوية الثقافية العربية مقوماتها من الدين الإسلامي الذي يدعو إلي الحق ويتخذ من الإنسان موضوعا له، فالخطاب القرآني موجه للناس جميعا.

فالدين هو المكون الأول لهويتنا الثقافية، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها علي الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام له تأثيره العميق والشامل في هويتنا الثقافية، كما أن التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها، بل هو موقف من ثوابت كثيرة، منها ما يرتبط بالأسرة وكيفية تكوينها بشكل صحيح ، فهذا مكون رئيسي من مكونات الهوية الثقافية، ومنها ما يرتبط بالمنهج العلمي الذي اعتمد علي العقل والوحي بشكل متوازن، وهذا يمثل أيضا ملمحا من ملامح هويتنا الثقافية .[1]

إذن لا يمكن تصور وجود للهوية الثقافية العربية إلا بوجود الدين الإسلامي باعتباره سمة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية، وأداة المسلمين لمقاومة الاغتراب الثقافي، وبالتالي فأي هجوم علي الإسلام هو بمثابة محاولة استلاب للهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية.[2] وقد أشار كثير من مفكري وفلاسفة الغرب إلي أهمية العناية بالجانب

---

[1] محمد إبراهيم المنوفي وياسر مصطفي الجندي،**التربية وتنمية الهوية الثقافية في ضوء العولمة**، مجلة كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، ع 43، 2003، ص ص 231 – 233

[2] حمدي حسن عبد الحميد المحروقي، **دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة علي الهوية الثقافية**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، ع 7، أكتوبر 2004، القاهرة، مركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس، ص 168 .

الديني قبل أية جوانب أخري، فمثلا يقول " **وليم جيمس** " : " الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة، وهو الذي يمكننا من أن نستخرج من الحياة كل ما فيها من لذة وسعادة، وهو الذي يجعلنا نتحمل كل ما في الحياة من محن، ونتقبلها بكثير من الشجاعة والرضا، وهو الذي يهيئ لنا كل ما هو ضرورة لحياة وادعة. "[1]

3/ التاريخ

لا يمكن لأية أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها ؛ الذي يمثل أحد قسمات هويتها ، فالتاريخ هو السجل الثابت لماضي الأمة وديوان مفاخرها وذكرياتها ، وهو آمالها وأمانيها، بل هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة ، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة علي الهوية الثقافية[2]، وعلى ذلك يكون طمس تاريخ الأمة أو تشويهه أو الالتفاف عليه هو أحد الوسائل الناجحة لإخفاء هويتها أو تهميشها. وهذا معناه أننا الآن بحاجة إلي نهضة فكرية وثقافية لمحاربة

---

[1] السيد عبد العزيز البهواشي، **التعليم وإشكالية الهوية الثقافية في ظل العولمة**، المؤتمر السنوي الثامن للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية بالاشتراك مع مركز تطوير التعليم الجامعي، " **التربية والتعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة**"، في الفترة27– 29 يناير 2000م، القاهرة، دار الفكر العربي،ص ص 440–441.

[2] عبد الرحمن عمر الماحي، **العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم**، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة 27– 30 مارس، ص 654.

الأساليب الجديدة التي تعمل علي محو ذاكرة التاريخ، مثل ما يسمي بمشروع الشرق الأوسط الجديد، وما يعنيه من محاولات إحداث تغييرات في الهيكل التنظيمي للمنطقة العربية، الأمر الذي يؤدي إلي تقويض إمكانية بناء نظام عربي جديد[1]، ولعل هذا التاريخ المجيد هو الذي يكمن وراء محاولات الغرب طمس معالم الهوية العربية والإسلامية، ومن الأهمية أن يتوفر للعرب وعي علمي بتاريخ مجتمعهم العربي وتطوره وديناميات‌ه، وقوانينه النوعية، مما يعينهم علي تأصيل هويتهم، ومعرفة الملابسات التاريخية لحدودها.[2] ولهذا لابد من الاهتمام بتطوير مناهج تعليم التاريخ العربي والإسلامي، فبدلا من أن تركز بشكل رئيس علي عرض التاريخ في شكل حروب وصراعات وخلافات، فلابد من الاهتمام بعصور السلام والازدهار والرقي والتطورات الاجتماعية التي أحدثها الإسلام في البلاد التي دخلها، وأنارها بنوره، والحديث عن تأثير كبار المفكرين والفلاسفة العرب والمسلمين مثل ابن رشد، وابن سينا، والفارابي، وابن النفيس، وغيرهم كثير ممن أثروا الحياة الفكرية وأسهموا في إحداث التقدم والازدهار الحضاري للمجتمع العربي والإسلامي، بالإضافة إلى الإشارة لدور المرأة في المجتمعات الإسلامية عبر العصور المختلفة .[3]

---

[1] **حمدي حسن عبد الحميد المحروقي**، مرجع سابق، ص 168.

[2] محمد أحمد محمد إسماعيل، **برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية لمواجهة التحديثات الحضارية بمراكز إعلام محافظة قناة السويس**، مجلة كلية تربية عين شمس، ع 30، ج 3، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ص 393.

[3] فوزية العشماوي، **مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية (اللغة والتعليم، والتاريخ)**، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في الفترة 27– 30 مارس 2007، ص ص 448– 449.

فكل هذا يمكن أن يسهم بدور كبير في تأصيل الهوية الثقافية العربية والإسلامية ، بل والمحافظة عليها من الأخطار التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، خاصة وأننا في عصر العولمة التي يمكن أن تكون أحد العوامل التي أدت إلي حدوث أزمة في الهوية الثقافية العربية.

المبحث الثالث: آثار العولمة على الهوية الثقافية العربية

المطلب الأول: الآثارالسلبية والإيجابية للعولمة

خطورة العولمة تكون أكثر تأثيرا في حالة ضعف العالم العربي وهزيمته أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراق العولمة الثقافية للهوية، كما قال ابن خلدون "المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده.[1]

فضلاً أن العولمة تحمل فكرة استبداد القوي الذي يسخّر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه، وتكمن في فكرة سيطرة المهيمن على الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإدارة السياسية على شعوب العالم الفقيرة، بل والسعي لإفقار ما ليست فقيرة، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوى عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها، وبالمعلومات وبإنتاجها، وتدفقها دونما مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصياتها

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق درويش الجويدي، الطبعة الثانية، 2000 م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص، 170.

وإمكاناتها [1] . أما اللغة فهي أداة التفاهم والتواصل، وهي وعاء الفكر وقالبه الحي، وما نراه اليوم من طغيان الثقافة الغربية، حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ويبين هنتجنتون في كتابه صدام الحضارات أهمية اللغة في الصراع حيث أن توزع اللغات في العالم عبر التاريخ يعكس توزع القوة العالمية فاللغات الأوسع انتشاراً هي الإنجليزية، الأسبانية، الفرنسية.. إما أنها أو كانت لغات دول إمبراطورية جعلت شعوباً أخرى تستخدم لغتها. كما أن التحولات في توزع القوة، تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث قرنان من القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والعلمية والمالية، تركا ميراثاً ضخماً في التقنية في أنحاء العالم.[2]

1/ الآثار السلبية للعولمة على الهوية الثقافية العربية

العولمة ظاهرة تستمد خصوصيتها من تطورات عدّة، ويأتي في مقدمة هذه التطورات الفكرية والقيمية والسلوكية، انفتاح الثقافات العالمية المختلفة وتأثيرها وتأثرها ببعضها البعض، ولم يحدث في التاريخ أن أصبحت الثقافات والحضارات– بما في ذلك

[1] صالح أبو ضلع، **العولمة والهوية**، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 5–04/6/ 1998م، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص، 11 .

[2] صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب وتقديم، صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص، 103 .

أكثر المناطق الثقافية انعزالاً– منفتحة ومنكشفة بقدر ما هي منفتحة ومنكشفة حالياً، ومثل هذا الانفتاح الثقافي يحدث للمرة الأولى في التاريخ. [1]

لقد ازدادت صعوبة التفرقة في هذا الشأن بين العالمي والخاص في ظل التشابك مع آليات العولمة ذات الصلة القوية بالتغريب (الأمركة) حيث النزوع القوي نحو استعباد شعوب وفرض ثقافات معينة رغماً من أن أنماط التفكير والسلوك وأنساق القيم لديها تتسم بالانغلاق والشمول وعدم التسامح ورفض الاندماج في تقاليد أسلوب الحياة الأمريكية ومن أفدح مغالطات التصورات الغربية لحقوق الإنسان تركيزها على الحريات المدنية والسياسية وتغاضيها عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد عمدت القوى التي تعمد على فرض ونشر العولمة على توظيف المنظمات الدولية من اجل تحقيق أهدافها مثل حروب البلقان والحرب على العراق من خلال منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ويتم ذلك عن طريق الضغط المالي على هذه المنظمات كعدم دفع المستحقات أو بالمقايضات مع الدول الأعضاء المؤثرة .[2]

كما ذكرنا سابقاً العولمة ظاهرة اقتصادية في المقام الأول ولكنها تأخذ في الوقت ذاته أبعاداً وتجليات سياسية وعسكرية وثقافية وإعلامية تعمل من أجل إرساء هيمنة الثالوث الرأسمالي العالمي (الولايات المتحدة – أوروبا – اليابان) على مختلف أنحاء الكرة

---

[1] أبو لبدة، وفاء، **أثر العولمة على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي**. رسالة ماجستير،(2005)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص 78 .

[2] مصطفى مجدي الجمال، **تأملات في إيديولوجيا التدخل الإنساني الدولي**، مجلة دراسات استراتيجية، العدد الثاني، 2001، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، جامعة دمشق ص 95.

الأرضية هيمنة شبه تامة والهدف من هذه الهيمنة السياسية تفكيك السيادة الوطنية للدول المتوسطة والصغيرة.

العولمة التي تقودها الولايات المتحدة تتضمن بالأساس تأمين الحدود الحرة والمفتوحة لانتقال سلعها وأفكارها مستخدمة في ذلك وسائلها الإعلامية الجبارة والتقدم التكنولوجي والمؤسسات المالية الدولية والشركات متعدية الجنسيات والضغوط السياسية والحملات العسكرية إذاً في مقابل مفهوم الدولة والحدود الوطنية الذي استقر كأحد أسس الأمن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية أصبحنا إزاء " نظام عالمي جديد " يعطي الأولوية المطلقة لحرية السوق والمشروع الخاص مع تسخير متطلبات سياسية واجتماعية مثل مصطلحي الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتحرر المرأة في خدمة ذلك أي كاستخدام هذه المصطلحات بمرونة كبيرة لتبرير التدخل في شؤون الدول القائمة في أطراف النظام الرأسمالي العالمي. [1]

فالعولمة إذن نظام يقفز فوق حدود الدولة والوطن والأمة، فهي تقوم على الخصخصة إي نزع ملكية الأمة والوطن والدولة ونقلها إلى القطاع الخاص المرتبط بقوى العولمة والذي يحقق أهدافها ومتطلباتها وهكذا تتحول الدولة إلى جهاز تابع لهذه القوى سواء المحلية ذات الاستثمارات الجديدة أو لقوى العولمة. [2]

يمكن أن يمتد المضمون الثقافي للعولمة إلى تاريخ يبدأ بالغزو التبشيري حيث شهد العالم محاولات مجموعة من الغرب الصناعي لاختراق ثقافات الأمم والشعوب في

---

[1] حازم الببلاوي، **النظام الاقتصادي الدولي المعاصر**، عالم المعرفة، العدد 257، ص ص 198-199 .

[2] محمد أحمد السامرائي،**العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي**، الفكر السياسي،عدد 14 ص116.

عالم الجنوب[1]... والعولمة في هذا المضمار وهي تجدد بريقها مثلها مثل أي جديد في مرحلته الأولى حيث تؤدي في وقت واحد إلى انبهارات عظيمة من جهة وآلة تسفيه عظيم من جهة أخرى وهذان طرفان متناقضان، تكمن الإشكالية في سبل التوفيق بينهما، فضلا عما سيترتب على من سينبهر بها محققا غايتها، وما سيترتب على من يقف نِداً لها بحيث يدفعه موقفه المضاد هذا إلى التقوقع على الذات.

ويمكننا القول أن هذه الإشكالية يمكن تجاوزها من قبل من أبدى استعداده لها مع عدم تناسيه أن له ذاتا ثقافية عريقة عليه المحافظة على خصوصياتها تارة والعمل على تطويرها ومواكبتها مستجدات العصر بالشكل الذي لا يفقدها خصوصيتها تارة أخرى، والموقف تجاه العولمة اتخذ مسارات ثلاثة منها ما كان قبولا مطلقا، ومنها ما رافضا مطلقا ومنها ما كان قبولا أو رفضا مقترنا بشروط، وهذه المسارات الثلاث تمثل ردود فعل على الفعل العولمي الذي ما برح يعزز آليات تجد منها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو ثقافي، بحيث يرى البعض في تحدياته ما يضاهي تحدي الآليات الأخرى، لما له من قدرة على تمهيد العقول والنفوس لقبول أتون العولمة الأخرى.[2]

أما ما يتعلق بآثار العولمة ثقافيا فإنها تعمل على اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات، أنها بذلك رديف الاختراق الذي يهدد بالعنف السيادة الثقافية في سائر

[1] حسن محمد طوالته، **العولمة جذورها – مضامينها– أثارها رؤية قومية في العولمة**. مجلة دراسات دولية ع12/ ت/ 2001م ص ص 133–134.

[2] مولود زايد الطيب، **العولمة والتماسك المحبة من الوطن العربي** أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب– جامعة بغداد قسم الاجتماع– 2001م ص 136.

المجتمعات التي تطالها تلك العولمة [1]، وذلك لم تكن الثقافة المكتوبة هي ثقافة العولمة بل ثقافة ما بعد المكتوب أو ثقافة السمعي- البصري، بكل وسائطها وأدواتها التي تحطم الحجز اللغوي وتصل إلى الناس في عقر دراهم متجاوزة في تعاملها حرمان الهويات الثقافية علما إن هذه الثقافة العالمية تخضع لشركات عالمية متعددة الجنسيات تكون الصورة هي ذاتها الأساسية في خلق الوعي الفكري، لأن الصورة بمفهومها خطاب ناجز مكتمل يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبله، وهي لغة تستكفي بذاتها إذ لا تحتاج الصورة اختراقا مع الكلمة التي غدت وعيا فكريا على امتداد تواريخ السلف الثقافية إلى مصاحبة لغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقي فهي بحد ذاتها خطاب ناجز مكتمل سائر مقومات التأثير الفعال [2]، كما أشرنا وفي ثنايا تلك الفاعلية تكمن شعبيتها وخطورتها في أن واحد ومع صيرورة الصورة سلطة رمزية على الأقوى النتاج وصناعة العتم والرموز وتشكيل الوعي والوجدان والذوق ولذلك أثاره الخطيرة على الصعيدين:

1- النمط الثقافي المنتج والمقترح عولميا.

2- درجة التناسب النمطية بين ثقافة المعولم وثقافة الأصل وما يترتب على تلاقحهما الثقافي من أفق مستقبل والذي يحدده الواقع المعاصر المعمول به.[3]

فعلى الصعيد الأول:

---

[1] عبد الإله بلقريز، **العولمة والمانعة دراسات في المسالة الثقافية المعروفة للمجتمع**، سلسلة شهرية، ع 4 فبراير 1999 ص 26. عبد الجليل الوالي، **العولمة بين الأخيار والرفض**، المستقبل العربي ع 1 سنة 2000 ص ص 53 - 58- 67.

[2] مولود زايد، مرجع سابق، ص 135.

[3] عبد الإله بلقريز، مرجع سابق ص 53.

1- تسعى العولمة إلى بلورة ثقافة عالمية تتسم خاصة تستفيد منها الفئات لا مسيطرة على العمليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية حيث تحتكر التقنية والإنتاج الإعلامي على المستوى العالمي، ومن ثنايا السيطرة والاحتكار ما يمكنها من التحكم في أهم الأدوات المطلوبة للتغير لترسيخ قم عالمية رأسمالية تكون قادرة على توجيه عمليات التحول الاجتماعي والاقتصادي في إطار تحقيق مصالحها[1].

2- انهيار ملكة التحوط القيمي ازاء تحول الوعي الذي أغرقته الثقافة الإعلامية إلى مجال مستباح لكل أنواع الاختراق، وإذا أخذنا في الحسبان أن هجوم ثقافة الصورة على الوعي يجري في امتداد التراجع المروع لمعدلات القراءة في العالم تبينت لنا معالم النفق المظلم الذي تدخل إليه الثقافة والوعي في عصر الصورة والإعلام السمعي والبصري [2]. ومن مظاهره ضمور متزايد في جسم المعرفة بتشكيل منظومة قيميه تحل النفعية والفردانية والأنانية والغرائزية المجردة من المحتوى الإنساني.

إنها قمع وإقصاء للخاص بعد اختراقه وهذا الاختراق إنما يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم الذي هو الإدراك[3].

3- تسعى إلى تحقيق اندماج عالمي يتأتى عن منظومة مالية واحدة جوهرها أن تعيش العالم في إطار سوق واحدة لراس المال ومنظومة إعلامية واتصالية تتيح للقادرين الارتباط بالقنوات التلفازية ذاتها الموجودة في كل العالم موجهة لجمهور عالمي ليس محليا ومنظومة ثالثة هي المنظومة المعلوماتية المتجسدة في شبكة الانترنيت، تلك التي تتجاوز

[1] احمد مجدي محمود حجازي، **الثقافة العربية في زمن العولمة**، دار قباء 2001، ص 27-29.

[2] عبد الإله بلقريز مصدر سابق ص 56.

[3] برهان غليون وسمير أمين، **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، بيروت دار الفكر، 1999 ص 19.

الحدود السياسية والخصوصيات الثقافية في محاولة القصد منها تجاوز ما يسمى بالخصوصية التاريخية والتعددية التاريخية إلى وحدانية التاريخ[1]، وهذا مما يفقد الإنسانية الشعور بالانتماء ويفرغ الهوية الثقافية من كل محتوى.

أما على الصعيد الثاني فإنها تسعى إلى:

1- الالتزام بإيجاد وتعريف جديد للثقافة إذا افترضنا أن الثقافة تعني تعبيرا عن تمثيل الناس لمحيطهم وتعبيرا عن نظام اجتماعهم المدني، إذ سيصبح مطروحا علينا أن نفكر في معنى أن تنشأ في وعي الناس الثقافة أو قيم ثقافية لا تقوم صلة بينها وبين النظام الاجتماعي الذي ينتمون إليه[2]، وباسم المتأففة يتم القضاء على ثقافة لصالح أخرى.

2- ستعمل على إحياء التعددية الثقافية.. مما يؤدي إلى إيجاد ما يسمى بثقافة الصفوة العولميون[3]، سيكون هناك من يحاول الحفاظ على التراث وخصوصيته كرد فعل على هجماتها الكاسحة.

3- تراجع دور العملية الثقافية الاجتماعية تلك العقلية التي كانت أكثر عراقة وتأثيرا في تطور وإدارة هذه المجتمعات وذلك بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية[4]، والثقافية وما يترتب عليها من إشكاليات اسمها الثنائية القيمية أو ازدواجية المنظومة والقيمة بالعمل على تعميم ثقافة الاستهلاك وهي ثقافة يسهم في فعاليتها الثقافية

---

[1] برهان غليون وسمير أمين، **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، مرجع سابق ص 56.

[2] عبد الاله بلقيز، مصدر سابق، ص 56.

[3] حسن حنفي، **الثاقفة العربية بين العولمة والخصوصية في العولمة والهوية الثقافية**، أوراق المؤتمر العالمي الرابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلاديفيا 1999م ص ص 34-35.

[4] احمد محمدي حجازي، مرجع سابق ص ص 27-28.

الجماهيرية تلك التي تدفع المستهلك نحو تلبية اكبر عدد ممكن من هذا الكم الهائل من الحاجات المصطنعة التي في حقيقتها لا تهتم بذات الإنسان إنما تهتم بجيبه، إنها فقط تحقق الفرد للمادة وليس المادة للفرد، وبعد أن تدفع الثمن غاليا لاقتناء تلك الحاجات نكتشف أن امتلاكها لن يطفئ نار حمى الاستهلاك[1] فيها وأراء مثل هذه الثقافة الاستهلاكية ينشا الخصام الثقافي، الذي تكون إحدى انكسارا ته ضياع الإبداع الثقافي والهوية الثقافية.

العولمة ببعدها الثقافي والذي يعني ثقافة بحدود ثقافية معينة من خلال انتشار الأفكار والمعتقدات والقيم والقناعات وأنماط الحياة والأذواق ذات الصبغة الغربية على الصعيد العالمي، عن طريق الانفتاح بين الثقافات العالمية بفعل وسائل الاتصال الحديثة، والانتقال الحر للأفكار والمعلومات. وبالتالي فهي أصل العولمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، لأن الثقافة هي التي تهيئ الأذهان والنفوس لقبول تلك الأنواع الأخرى، فالثقافة عنصر أساسي في حياة كل فرد وكل مجتمع، وهي تشمل العادات والتقاليد، والمعتقدات والقيم، وأنماط الحياة المختلفة، والفنون والآداب وحقوق الإنسان وللعولمة الثقافية وسائلها ومضامينها، فوسائلها هي الآلات والأدوات والأجهزة التكنولوجية أما مضامينها ومحتواها فهي البرامج الفكرية والتصورات الأدبية والفنية والمذاهب النقدية، والآراء الإيديولوجية، ووجهات النظر السياسية، ونمط الحياة، والتقاليد الاجتماعية في المأكل والملبس والمشرب والبرامج التمثيلية الغنائية والموسيقية وما شابه ذلك ومن هنا نجد

[1] راسل جاكوبي، **نهاية اليو توبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة**، ترجمة فاروق عبد القادر، الصادر عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ص 74.

أن العولمة ليست نظاما اقتصاديا فحسب بل ترتبط ارتباطا عضويا مع وسائل الاتصال الحديثة التي تنشر فكرا معينا وثقافة معينة.

فالعولمة الثقافية هي إشاعة النمط الثقافي والاجتماعي الرأسمالي في الملبس والمأكل "ويرى آخرون من بينهم عتريسي وغليون والسماك، بان العولمة هي نشر ثقافة فردية معادية تهدف إلى ضرب الروابط الجمعية وقبول الفوارق الاجتماعية والاستسلام للاستغلال، وهي ظاهرة مدعومة دعماً محكماً وكاملاً بالنفوذ السياسي والاقتصادي الذي يمارسه الطرف الأقوى في الساحة الدولية وللوقوف على الصورة الواضحة للأجواء التي تمارس العولمة الثقافية في ظل نفوذها على الشعوب والأمم نسوق فيما يلي باختصار وتركيز طائفة من المعلومات التي تنشر وتتداولها الصحافة العالمية المتخصصة والمواكبة لثورة المعلوماتية التي هي الأساس الراسخ للعولمة الثقافية والتي تشكل القوة الضاربة للنظام العالمي الجديد"[1]

فالعولمة التي تعني تعميم نموذج الحضارة الغربية – خاصة الأمريكية – وأنماطها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على العالم كله، يمكن اعتبار الجانب الثقافي أهم أثر من آثارها، ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى ظهور تيار العولمة الذي يريد جعل العالم قرية صغيرة، الأمر الذي أحدث اتصالا وتبادلا للثقافات بين الدول، وقد شكل هذا الاتصال تهديدا للهوية الثقافية وما يرتبط بها من أخلاق ومبادئ يشكل الدين، واللغة أساسا لها.

[1] عتريسي طلال،**العرب والعولمة**،"**بحوث ومناقشات الندوة الفكرية**" مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 1998، ص 44.

ولقد أشار الكاتب الأمريكي "صمويل هنتغتون Samuel Huntington " والمنظر للعولمة الأمريكية في كتابه (صراع الحضارات) إلى أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية الرمزية هي الحدود الثقافية بين الحضارات، وكل من ينتمي إلى هذه الهوية المكونة من الدين واللغة والتاريخ والتراث الثقافي فالنقاش حول الهوية قد أصبح سائدا في ساحات النقاش الفكري في العالم في الدول الضعيفة والقوية والمتقدمة.

الهوية لأي شعب أو أمة هي حصيلة الدين واللغة والفكر والتاريخ والفنون والآداب والتراث والقيم والعادات والأخلاق والوجدان ومعايير العقل والسلوك، وغيرها من مقومات التي تتمايز بها الأمم والشعوب والمجتمعات، وليست كل هذه المكونات ثابتة بل بعضها يتغير حسب المستجدات الإنسانية والحضارية. ومما لا شك فيه أن للعولمة أثرًا كبيرًا وواضحًا في الهوية الثقافية بشهادة الباحثين ورغم اختلافهم في تقدير هذا الأثر وخطورته، مما أبرز مواقف متعددة ومتباينة من العولمة فالمؤيدون لظاهرة العولمة يرون أنها تسهم في انتشار التكنولوجيا الحديثة من مركزها في العالم المتقدم اقتصاديًا إلى باقي أنحاء العالم، ومن ثم زيادة الإنتاج زيادة واضحة ويرون أن ذلك في حد ذاته يغفر للعولمة أي تأثير سلبي يمكن أن ينتج عنها في الهوية الثقافية بل يرى بعضهم أن هذا التأثير بسيط وبعضهم الآخر أكثر تفاؤلا حيث يرى أن الهوية الثقافية سوف تستفيد من العولمة بدلا من أن تتضرر، كما يرى أنصار هذا الرأي أن العولمة تسهم إسهامًا واضحًا في نقل المعلومات وتخزينها وتوفيرها لمن يريد الانتفاع بها، وفي سبيل ذلك تهون الهوية

الثقافية [1]. والواقع يشير إلى أن في أكثر من موطن وبلد في العالم عنده نوع من "هستيريا الهوية"ويتمثل ذلك في عدم اندماج الفرد بسهولة وبشكل طبيعي، كما كان الأمر في الأمس في علاقاته مع الأسرة والعمل مع الجماعة والأمة.

فمحاولة تنميط سلوكيات البشر وثقافتهم في المجتمعات كافة وإخضاعها لقيم وأنماط سلوك سائدة في ثقافات معولمة، أمر يحمل إمكانية تفجير أزمة هوية ثقافية التي أصبحت من المسائل الرئيسية التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، فأخطر التحديات هو ما قد تتعرض له المكونات الأساسية للهوية الثقافية متمثلة في الإسلام واللغة العربية والقيم الثقافية، فمن الثابت أن العولمة تعتمد على اللغة الانجليزية، كما أن صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي المهيمن على الساحة الدولية لا تعبر عن الواقع بالإضافة إلى أن الإعلام الغربي يتعامل مع العرب بحكم علاقات الاستعمار والتبعية.

قد تلعب ثورة الاتصالات دورا أساسيا في إحداث هذا التأثير الثقافي، فبدلا من الحدود الثقافية الوطنية والقومية تطرح إيديولوجيا العولمة حدودا أخرى غير مرئية ترسمها الشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية بفرض الهينة على الأذواق والفكر والسلوك، فأكثر ما يلفت الانتباه في ظواهر العولمة في المجال الثقافي هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم، فقد أصبحت الموسيقى

[1] كنعان أحمد، **العولمة والبحث العلمي واقعًا وطموحًا**، ندوة العولمة والتعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقدة بجامعة العلوم والتقنيات والطب، بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية 23/11/2000-، تونس، 2000، ص11 .

والبرامج التلفزيونية والمسلسلات، والأفلام السينمائية الأمريكية منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس، والأطعمة السريعة، والمشروبات، وغيرها من السلوكيات الاستهلاكية انتشرت على نطاق واسع، ويبدوا أنها تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها السياسية والعسكرية.

2/ الآثار الإيجابية للعولمة على الهوية الثقافية العربية

لا نستطيع أن ننكر أنَّ العالم قد أصبحَ اليوم قريةً كونيةً سريعةَ التغيّرِ والتّأثر ببعضها البعض، فالوقوفُ على طبيعة التحديات التي تواجهنا تمنحُنا معرفةً كافية عن واقعنا الحالي وكيف نتجه نحو المستقبل وما الذي تفرضه علينا معطيات العولمة من عبء التوجهات نحو تحصين أمتنا إذا استطعنا أن نسلحَهُا بالوعي والمعرفة والثقافةِ الكافية لمواجهة هذه التحديات، وقد عبّر أحد الباحثين عن ذلك بقوله" يمكنُ أن نقولَ إنَّ جيلَ الشبابِ هو أمضى أسلحة العالم العربي في صراعه المصيري من أجل خروجه منْ كهوف الظلام وصنعِ مستقبلٍ أفضل".

لقد غيرت تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة البيئة التي نعيش فيها عن تلك التي كانت منذ زمن، فإذا كانت هذه الوسائل غيرت من أسلوب حياتنا وانتقالنا ووقت فراغنا وعلاقاتنا مع الأسرة والأصدقاء فكيف سيكون للأجيال الجديدة التي ستعيش في بيئة من الوسائل المعلوماتية الأكثر تطورا بما لا يقاس بحاضرنا، وماذا سيحدث للخصوصيات والهويات المميزة بالصيغة التي نفكر فيها اليوم؟ .[1]

[1] سمير إبراهيم حسن، **الثورة المعلوماتية عواقبها وآفاقها**، مجلة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد1، 2002، دمشق، ص 212.

إن وجودنا التاريخي والحضاري مرهون بوجودنا الثقافي، في الوقت الذي أصبحت فيه المجتمعات الغربية تروج لثقافاتها وقيمها وأنماطها السلوكية المتناقضة مع ثقافاتنا المحلية والتي باتت تهدد الخصوصيات الثقافية والحضارية لبلداننا وأوطاننا التي أصبحت تعيش حالة تبعية ثقافية من خلال ما أفرزته العولمة والتكنولوجيا. وبما أن ثقافة الآخر ثقافة استهلاكية فإن مجتمعاتنا أمام تحديات المحافظة على هويتنا الثقافية وتحديد أين يقف فيها الثابت عن المتحول، ولعل هذه التحديات المتعلقة بالهوية الثقافية قد شغلت بال المفكرين والباحثين إذ برزت القضية منذ زمن ولكنها اليوم تبرز تحت تأثير عامل قوي لا تستطيع المجتمعات والدول إلا التأثر به، وهو ثورة العولمة. ويوجد بين مفهومي الهوية والعولمة علاقات جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم، إنهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد، وفي دائرة هذا التجاذب والتقاطب والتكامل يأخذ مفهوم الهوية على الغالب "دور الطريدة" بينما يأخذ مفهوم العولمة دور "الصياد" حسب تعبير علي وطفة .[1] وفي إطار هذه الإشكالية تسعى الدراسة الراهنة إلى طرح مجموعة من القضايا والتساؤلات المثارة بين المثقفين والمنشغلين بقضايا الهوية والشخصية في ظل تجليات العولمة الثقافية والاجتماعية وتأثيراتها الوافدة على تغريب الذات وتهميش الشخصية وتعميم نوع آخر من ثقافة الاستهلاك المفعم بالقيم النفعية والثقافة الشعبية الغربية وغيرها من الثقافات الأخرى التي تنتشر اليوم بصورة سريعة بين الفئات الاجتماعية

[1] علي وطفة، **تصدعات الهوية وهزائمها، قراءة في جدل الهوية والعولمة**، مقال، جريدة الاسبوع الادبي العدد 820، تاريخ 2002/8/17.

المختلفة، تسلبهم الهوية وقد يتحول الإنسان العربي إلى مواطن مغترب عن ذاته وعن وطنه وعن قيمه الأصيلة.

هيمنة العولمة بتعميم مخططات دول المركز بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا جعلت هذه المخططات لا تكتفي باختراق السيادة والاقتصاد الوطني والقطاع العام والأراضي والجيوش في دول الأطراف، والكل يعلم ما لهذا الاختراق من تداعيات على استقلال الدول وكرامة شعوبها، والشعوب لا تخلو من القوى الوطنية الحيّة، التي تبقى متمسكة بحريتها وبكرامتها وبأرضها، فتقف في وجه كل من يعاديها، تقاومه بكل الأساليب والوسائل المتاحة، إلى أن تحقق أهدافها التي لا تضيع، فما ضاع حق ومن ورائه طالب، هذا الذي تؤكده التجارب العديدة التي عرفتها الإنسانية عبر تاريخها الطويل وأثبته الواقع المعيش، لكن القوى المهيمنة على العالم باسم العولمة وغيرها لا تعي هذه الحقائق وتتجاهلها تماما، على الرغم من التجارب الحيّة التي عرفتها وعاشتها هذه القوى نفسها مع العديد من القوى الوطنية التحررية، التي كانت في قمّة الحرية والكرامة والعزة والسيادة والاستقلال والمجد، كان هذا في الجزائر مع الاستعمار الفرنسي، وفي الفيتنام مع الجيش الأمريكي وفي أفغانستان مع القوات العسكرية الروسية، وكان ولا يزال مع الحركة الصهيونية وإسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية والغرب الأوربي في فلسطين وفي لبنان وفي سوريا وفي غيرها، فالاختراق متواصل ومستمر ما دامت القوة المادية والعسكرية ومن وراء ذلك القوة العلمية والتكنولوجية في يد دول المركز، تحتكرها لنفسها وتقطع دابر أيّة محاولة أو أيّة تجربة هنا أوهناك فيها جدّية للحصول على أسباب القوّة والغلبة، هذا الاختراق اتجه ولازال يتجه بقوة وبسرعة نحو

الحياة الفكرية والثقافية والعقائدية للشعوب، خاصة الشعوب التاريخية التراثية الدينية، مثل شعوب العالم العربي والإسلامي وشعوب شبه القارة الهندية وغيرها، يعيش التراث ويحيا المعتقد الديني في وجدانها وفي ممارساتها اليومية، تراثها هو هويتها وذاتها، وهو ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لا تقبل عنه أي بديل مهما كان وكانت نتائجه، فالشعوب الإسلامية هي إسلامية بالإسلام وإذا تخلّت عن الإسلام لصالح معتقد ديني آخر أو أيّة إيديولوجية أخرى فذلك فناء وموت لها.

إنّ إيديولوجية التطرف الليبرالي في الغرب الأوربي وفي الولايات المتحدة الأمريكية تتجاهل حقيقة الدولة الوطنية ذات الهوية التاريخية الدينية، لأن الشعب فيها يدين بديانة واحدة أو أكثر، وأنّ الدين مقوّم من مقومات الدولة، على عكس ما هو سائد في الدولة اللائكية التي تفصل الدين والأخلاق عن الدولة والسياسة، فهي إيديولوجية تتجاهل كل ذلك وتنادي بالإصلاح الديني والتربوي قبل الإصلاح السياسي والاقتصادي، وبالتنوير وبغيرها من مبادئ الحداثة والليبرالية، وتضع الأديان، خاصة الإسلام في مرتبة واحدة مع النصرانية وأوضاع الكنيسة التي عرفتها أوربا في القرون الوسطى واستمرت إلى مرحلة ما قبل النهضة الأوربية، حيث رحلت الكنيسة من الحكم بفعل الإصلاح الديني والتربوي والسياسي، وهو الأمر الذي ينبغي أن يتحقق في المجتمعات المعاصرة التاريخية التراثية الدينية المتخلفة، لتنهض وتواكب الركب الحضاري الذي انطلق بعد ثورته في وجه كل قديم فكري وفلسفي وعلمي وديني وغيره، ولا يتسنى لأي جماعة بشرية تعيش على الماضي في الحاضر أن تتحرر من الانحطاط ما لم تأخذ بالسبيل الذي انتهجته أوربا قبيل النهضة، والانقلاب على التراث الثقافي والديني الذي كان ولا يزال العائق الأكبر أمام

النهضة والتطور والازدهار، لكن هذا المنظور يعي جيدا أنّ الظروف التي عرفتها أوربا قبيل نهضتها الحديثة تختلف تماما عن ظروف العالم العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، وهو على دراية كافية بأنّ الإسلام ليس هو النصرانية، لكن بدوافع سياسية واقتصادية وإيديولوجية وعقائدية لا حدّ لها يتجه المركز لاختراق غيره عقائديا باسم العولمة وغيرها، وساعده على ذلك انهيار المنظومة الاشتراكية والشيوعية وسقوط الاتحاد السوفيتي وبقائه في القطب الواحد، كما ساعده كذلك تطور وسائل الإعلام والاتصال، فأصبح حريصا على صهر الشعوب كاملة في بوتقة واحدة فكرية وثقافية وأخلاقية وعقائدية، لكي لا تكون للشعوب أصولها وثوابتها الثقافية والدينية، وهو ما ترفضه الثقافات المتأصلة والمتجذرة في التاريخ وفي الماضي في أهلها مثل الثقافة العربية والإسلامية وغيرها من الثقافات الأخرى.

لقد تمّ استخدام كل الوسائل المتاحة للنيل من ثقافة العرب والمسلمين بما في ذلك القوّة العسكرية، وربط الثقافة العربية والإسلامية بالتخلف الفكري وبالانحطاط الاجتماعي وبالتدهور الاقتصادي وبالاضطراب السياسي، وبالجهل وبالإرهاب وبغيره من المشكلات المستعصية، والغرض من ذلك هو تزييف الفكر العربي و الإسلامي القديم والحديث والمعاصر وتزييف خطابه، والطعن بصفة مباشرة وغير مباشرة في أصول ثقافته وفي رموزه ومقوماته، ولم تبق هذه المهمة حكرا على الأفراد كما كان سائدا من قبل، بل أصبحت تقوم بها مؤسسات وحكومات في بلدان المركز والأطراف معا، وتأثرت بذلك المناهج التربوية والتعليمية المُعوّل عليها كثيرا في تغيير الثقافة، فتأسست المناهج التربوية الرسمية على قيّم العولمة وتهميش المقومات الحضاري والتاريخية للثقافة العربية

والإسلامية والأخذ منها ما يلتقي مع الثقافات الأخرى في تحديد المفاهيم والنظرة إلى الحياة عامة، في تحديد مفهوم السلم والحرية والعدالة والمساواة والعمل وغيره وهذا حسب ما تروج له العولمة بعيدا كليا عن الأبعاد الثقافية لتلك المفاهيم، وفي هذا الجو سيطر الليبراليون والاشتراكيون على قطاع الإعلام الرسمي وضيّقوا الأمر على التيارات الثقافية العربية والإسلامية واعتمدوا المادة الإعلامية الفاسدة في الصورة والمحتوى، سواء في الفكر والأخلاق والممارسة، إلى جانب استغلال وسائل الإعلام لتحريف الخطاب العربي تمّ استغلال الهيئات والمنظمات الأممية السياسية والثقافية والاقتصادية للغرض ذاته، مثل ما تفعله هيئة الأمم المتحدة من تنظيم مؤتمرات وعقد ملتقيات الهدف منها التشويش على التيارات العربية والإسلامية من خلال الدعوة إلى تجديد تزييف الخطاب الثقافي العربي والإسلامي، وذلك عقد مؤتمرات وندوات تنعقد باسم الأمم المتحدة وتكريسا للعولمة التي تسعى إلى تغيير الثقافات والمعتقدات، فمرة مؤتمر للسكان ومرة للمرأة ومرة لحوار الأديان والثقافات ومرة للتسامح الفكري والديني، وفي كل مرة يأتي مؤتمر أو ندوة الهدف من ورائها ضرب الوعي الثقافي العربي والإسلامي أو غيره الذي من شأنه يصنع الوحدة الثقافية والعقائدية والاجتماعية التي تشكل خطرا على النظام العالمي وعلى العولمة.[1] وتتجلّى مظاهر تأثير العولمة في الثقافات بالتطور الهائل في تقنيات وسائل الاتصالات والمعلومات، كالفضائيات والإنترنت، وما رافق ذلك من سرعة انتشار المفاهيم والقيم والأفكار عبر القارات من دون قيود، والحرية الكاملة في انتقال المعلومات والأفراد .

[1] محمد شاكر الشريف، **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف**، دار أطلس الخضراء – الرياض الطبعة الأولى ، 1424 ص ص 96-97.

وانتشار الثقافة الاستهلاكية الماديةً، بحيث أصبح العالم مقبلاً على رموز الثقافة الاستهلاكية ومعطياتها، التي غدت رائجة في العالم وموجودة في كلّ مكان وفي كلّ المجتمعات.

يركز بعض الباحثين والكتاب العرب الذين تعرضوا للعولمة على المخاوف المتوقعة من غزو العولمة الثقافية وتهديد موجاتها المتدفقة للهوية العربية، هذا لا يعني فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية الأخرى، المتعددة والمتعايشة، عبر تاريخنا المديد داخل الوطن العربي الكبير.[1]

من جهة أخرى، فإن الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية تتميز بنوع من الثنائية، التي طبعتها منذ ما يقرب من قرنين، نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية، وهي ثنائية التقليدي والعصري التي كرست الازدواجية والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية،[2] وليست العولمة وحدها هي المسئولة عن نشر ثقافة دون أخرى في عالمنا العربي، وليست هي التي تقود معركة الغزو الثقافي، وذلك لأن جميع تكنولوجيات الاتصال في بيوتنا مفتوحة على العديد من محطات الإذاعة والقنوات الفضائية العالمية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وغيرها، ولم نعمل شيئاً في سبيل وقفها. وهذا يعني أن ما يسمى بالغزو الثقافي للعولمة لا يتضمن أي نوع من الاقتحام القسري بواسطة قوة خارجية تقوم بانتهاك خصوصيتنا أو الاعتداء عليها. وليس بالضرورة أن كلَ ما يهجم على هويتنا

[1] محمد عابد، الجابري، "**العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، في: "العرب والعولمة**"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت 1997م، تحرير أسامة أمين الخولي، ط2، بيروت، ص 304.

[2] محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 308.

العربية والإسلامية قادمٌ إلينا من الخارج، فإن الذين يتابعون منّا القنوات الفضائية الأجنبية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، والمجلات والجرائد والكتب الأجنبية الخليعة، لا يزالون قلَّة. ولكن الوسائل التي اخترقت كياننا وثقافتنا ووصلت إلى أبنائنا وبناتنا، صغاراً وكباراً، في بيوتنا ومؤسساتنا، هي من صنع أنفسنا. وتتمثل هذه الوسائل في بعض الإذاعات والقنوات الأرضية والفضائية العربية وعدد غير قليل من الصحف والمجلات التي تفاجئنا وتفجعنا بتقديم أكثر البرامج والكتابات والصور تهتّكاً وبُعداً عن قِيَمنا الإسلامية وثقافتنا العربية.[1] ومع ذلك فإنه يتعين علينا أن نوجِد لدى جماهيرنا الوعي بأن يختاروا من بين الصور والرسائل الإعلامية المختلفة ما يتفق مع قيمنا الدينية ومثلنا الأخلاقية ومعتقداتنا الاجتماعية وتوجهاتنا السياسية، وبمعنى أعم وأشمل، ما يتفق مع ثقافتنا القومية دون أن نغالي في الحديث عن مساوئ العولمة وآثارها الضارة المدمرة. وعلينا أن نوجِد آلية نتعامل من خلالها مع الجوانب السلبية للعولمة بالشكل الذي يحفظ للأمة العربية هويتها ويضمن لها مكانتها بين الأمم ويساعد على تحقيق آمالها، ويؤكد الحفاظ على حقوقها الكاملة في السيادة والتقدم والتعاون العادل المثمر بين الشعوب.

الأمة العربية والإسلامية لديها مقومات النهوض الثقافي والفكري، لكنها تحتاج إلى إرادة قوية تكون قادرة على تفعيل هذه المقومات، ويمكنها وضع الآليات التي تستطيع من خلالها تنفيذ استراتيجيتها حتى نحتل موقعاً يرضينا على الساحة العالمية.وإذا سَلَّمْنا بأن العولمة هي واقع قائم لا مفرّ منه، بسبب ما يشهده العالم من تغيرات متلاحقة وسريعة

[1] ناصر الدين، الأسد، **آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي**، في:أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتَّب عن العولمة؟، سلسلة "الدورات، الدورة الخريفية لسنة 2001م،12-14 نوفمبر 2001م، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ص ص 119-121.

في مجال الاتصال والتكنولوجيا، فإن الخيار الذي نأخذ به هو التعامل مع معطيات العولمة بصورة جدية وواقعية، وأن نحاول أن نأخذ موقعًا ملائماً في هذا العالم، دون أدنى تفريط في هويتنا وثوابتنا. ويجب أن نطرح جانباً– في هذه القضية – فكرة المؤامرة وأن الغرب يتآمر علينا، ويجب أن نعي أن لكل إنسان مصالحه الخاصة، فكما أن لدينا مصالحنا، فإن لدى الآخرين مصالحهم في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والإعلامية وغيرها، وهم يعملون جاهدين على تحقيقها. ولا نستطيع أن نوقف الآخرين عن تحقيق مصالحهم، ولكن ما نستطيع أن نفعله هو التصميم على مواكبة العصر، والأخذ بما تصل إليه أيدينا من تقدم علمي وتكنولوجي.

يركز بعض الباحثين والكتاب العرب الذين تعرضوا للعولمة على المخاوف المتوقعة من غزو العولمة الثقافية وتهديد موجاتها المتدفقة للهوية العربية، هذا لا يعني فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية الأخرى، المتعددة والمتعايشة، عبر تاريخنا المديد داخل الوطن العربي الكبير.[1] ويرى آخرون أن العولمة بمعنى التسليم للهيمنة الغربية، وفرض التبعية للغرب، والسير تحت لوائه، هو أمر مرفوض تماماً.[2] وهم يعتقدون أن العولمة بالمفاهيم الغربية، هي ضد الدين الإسلامي الذي يفضحها ولا يقبلها في أي أساس من أسسها، وهم يرون في هذه القضية نوعاً من التحدي: "فإما نكون أو لا نكون". ويرى أصحاب هذه النظرة أن الأمة إذا قبلت أسس العولمة الغربية تكون قد فرطت في

[1] محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، في: العرب والعولمة**، مرجع سابق، ص 304.

[2] المرسي كمال الدين عبد الغني، **العلمانية والعولمة والأزهر**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1999م، ص 178–182.

دينها، وإذا تمسكت بدينها فلا يجب أن تقبل شيئاً من هذه العولمة،[1] لما تجلبه من سلبيات وأخطار. وإذا كان الأمر كذلك، فما العمل إزاء سلبيات العولمة وأخطارها التي يرى فيها البعض تهديداً للهوية الثقافية العربية والإسلامية؟. يرى البعض أن التعامل مع الغرب لا يمكن أن يتم بالاختيار والانتقاء، فإما أن نأخذ عن الغرب كل شيء، فنصبح غربيين أو أشبه بالغربيين، أو أن ندير ظهرنا كلية للغرب حماية لأصالتنا ونقائنا،[2]. ومن الطبيعي أن تتفاوت وجهات النظر تجاه المواقف التي ينبغي تبنيها فيما يتعلق بالتعامل مع الغرب أو بالانفتاح على الآخر، وما ينجم عن ذلك من تأثيرات أجنبية تهدد هويتنا الثقافية. وهناك موقفان سائدان، هما:

1- موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي الذي يُوَجَّه إلى الذات.

2-موقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي، أي الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها.[3]

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نقلل، ولا نهوِّن من الخطورة التي يمكن أن تلحقها العولمة الثقافية بهويتنا بوجه خاص، وبالتنوع الثقافي بوجه عام، ولكننا في نفس الوقت، لا نميل إلى المبالغة في ذلك. وحتى لا نُصاب بالجمود، فنتخلف عن مواكبة هذا التطور العلمي المتسارع من حولنا، يجب أن نتقبل الجديد، ونسعى إليه، مع المحافظة على هويتنا الثقافية بعيداً عن التعصب والانغلاق. وإذا كانت ثقافتنا العربية تعاني اليوم من الثنائية

[1] عبد الحليم إبراهيم العزمي، **العولمة بين سماحة الإسلام وهيمنة الغرب**، مقال في مجلة الإسلام وطن، العدد 138، يونيو 1998، ص ص 36- 37.

[2] حازم، الببلاوي، **نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي؟**، مرجع سابق، ص 45-46

[3] محمد عابد، الجابري، **العولمة والهوية الثقافية**، مرجع سابق ص ص 305-306.

والانشطار، ومن الاختراق الثقافي بفعل العولمة، فإن ما يجب أن نفعله هو الانطلاق من الداخل، أي من داخل ثقافتنا العربية نفسها، ذلك لأنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية.

نود أن نشير إلى أن العولمة الثقافية ليست دائماً عدواناً مقصوداً مخططاً له، يُوَجَّه إلينا لاستلابنا حضارياً وثقافياً. ويجب ألا نتعامل مع العولمة الثقافية من موقف التوجس والرفض والعدوانية دائماً، لأننا بذلك نكون قد شجعنا التقوقع والتراجع إلى الذات دون أن نستفيد من التفاعل الحضاري الضروري لتطور الثقافات وتطور الحضارات. ولا بد أن نعي ونعترف أن في أوربا وأمريكا علماء ومفكرون اجتماعيون وسياسيون واقتصاديون، لهم مكانتهم وأثرهم في الفكر الإنساني وفي تطوير العلم والمعرفة، ولهم نتاج جدير بأن نطّلع عليه ونستفيد منه إذا أردنا لأنفسنا ولأمتنا أن نسير في ركب التقدم وأن نشارك في موكب الحضارة والعلم. وليست الحياة في الغرب على النحو الذي تنقله لنا القنوات الأرضية والفضائية من مظاهر العُرْي الفاضح، والتهتّك، وإنما فيها أيضاً من التستّر والاحتشام والتدين والعمل الجاد والسعي الدائب، بالقدر الذي أوصلهم إلى ما هم فيه الآن.[1] ولذلك، يجب علينا أن نوجِد الآلية التي نختار بها ما لا يتعارض مع عقيدتنا وهويتنا، وأن نُكَوِّن الفكر الذي نستطيع به التعامل مع الفكر الآخر، الفكر الناقد الذي يستطيع أن يختار ما يناسبه ويطرح بعيداً ما لا يناسبه.

[1] ناصر الدين، الأسد، "**آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي**"، **في:** "**أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتَّب عن العولمة؟** مرجع سابق، ص ص 115-120.

حاجتنا إلى تجديد ثقافتنا وإغناء هويتنا والدفاع عن خصوصيتنا ومقاومة الغزو الثقافي والإعلامي الكاسح، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الوسائل والأدوات التي لا بد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والتقانة كفاعلين مساهمين، ولكننا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا القومية وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع. إن نجاح أي بلد من البلدان في الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية، يتوقف إلى حد بعيد على عمق عملية التحديث الجارية في هذا البلد، وانخراطه الواعي، في عصر العلم والتقانة. وهذا لا يتحقق إلا بالاستغلال الأمثل للإمكانيات اللامحدودة التي توفرها العولمة نفسها، أعني الجوانب الإيجابية منها، وفي مقدمتها العلم والتقانة. وهذا ما نلمسه بوضوح في تخطيطات الدول الأوروبية التي تعتقد أن خطر "الغزو الثقافي الأمريكي" يهدد هويتها، ويؤثر في لغتها وسلوك أبنائها وتصوراتهم[1].

فإذا كان هذا هو شأن الدول الأوروبية واليابان وغيرها من الدول الأكثر منا تقدماً في أخذها بما تقدمه العولمة من إيجابيات، فإنه كان من الأولى على الدول التي توصف بأنها "نامية" أو "متنامية"، والتي ننتمي نحن إليها، أن تدرس وتخطط للاستفادة بما تقدمه العولمة من عِلْمٍ وتقانة، بسرعة ودون إبطاء. فهل من المعقول أن نرفض مكتسبات العلم الحديث في الغرب والشرق اكتفاء بنظريات علماء العرب والمسلمين القدامى؟ وهل

[1] محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، في:العرب والعولمة**، بيروت، مرجع سابق، ص 3.

من المعقول أن نتجاهل ما يحدث من تقدم في الطب والعلوم لأنه نتاج الجامعات الأمريكية والأوروبية ؟ [1].

عند إثارة المشكلات والتحولات الاجتماعية للعولمة لا يعني ذلك غياب التطور التكنولوجي الإيجابي. فمن إيجابيات العولمة نستطيع أن نذكر مايلي:

1 - إن **العولمة** تعمل على استقرار الحياة الإنسانية وازدهارها، كما تؤثر تأثيرا إيجابيا في حركة التاريخ، وتعمل على خلق نوع من التعاون في جميع المجالات.

2 - إيجاد نوع من الحوار المتبادل بين الأديان والثقافات والذي يؤدي بدوره إلى ترسيخ التعاون والتعايش بين الشعوب.

3 - إلغاء المسافات بين الدول وتوحيد المقاييس والمواصفات للمنتجات في مختلف بقاع العالم، وتحسين جودتها.

4 - إزالة التجزئة الاقتصادية، وتوفير الديمقراطية الاجتماعية.

5 - تتيح الفرص لمن لديه المهارة والقدرة للعمل والاستفادة من خبراته، كما تساعد الدول الفقيرة للخروج على أزماتها.

المطلب الثاني : ثقافة العولمة والتنوع الثقافي

لقد بدأ عصر العولمة بالفعل في بعض مظاهره على الأقل، وكثر الحديث عن "القرية الكونية،" وارتفعت صيحات التحذير من تخلف البعض عن اللحاق بالركب، ويصل

[1] فلاح كاظم، المحنه، **العولمة والجدل الدائر حولها**، عمان – الأردن، الوراق للنشر،2002م، ص 170.

الأمر إلى حد التهديد في حديث العالم الأمريكي توم فريدمان بأن "العولمة أمر واقع، وعلى اللاعبين العالميين إما الانسجام معه واستيعابه، أو الإصرار على العيش في الماضي وبالتالي خسارة كل شيء، ذلك أن الخيارات باتت اليوم أضيق منها في الزمن الماضي، وأنه لابد من قبول الأمر الواقع .[1]

الملاحظ في محيطنا العربي والإسلامي أنه بقدر السرعة في الاتفاق حول التجاوب مع المجال التكنولوجي منها، بقدر السرعة أيضا في الاتفاق حول الحذر من المجال الثقافي بعناصره المتنوعة، ولكن يبدو أن من الصعوبة بمكان فصل جوانب العولمة ومجالاتها بعضها عن بعض، فهي تيار متصل يتداخل فيه الاقتصادي مع السياسي مع الثقافي، وهذا يقتضي أن يتعامل كل مجتمع معه على أساس تضافر المجالات الثلاثة أيضا. وما دام حديثنا بالتخصيص عن الهوية الثقافية وعلاقتها بالعولمة، فإننا نشير إلى الجدل الدائر حول اصطلاح ثقافة العولمة، وإلى بعض وسائل التأثير الثقافي للعولمة على الثقافات المحلية، وكذلك إلى اختلاف وجهات النظر بشأن الموقف تجاه هذا التأثير.

تجمع الآراء على أن العولمة حقيقة قائمة في مظاهرها المختلفة وخاصة الاقتصادية منها، إلا أنها تختلف حول كيفية التعبير عنها ومدى استحقاقها لاصطلاح "ثقافة،" فمحمد عابد الجابري يؤكد أنه "ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من

[1] محمد الحبيب بلخوجة، "**إيجابيات العولمة وسلبياتها**،" ندوة العولمة والهوية، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م، ص 99.

المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت وستوجد ثقافات متعددة متنوعة،[1] . لأن الثقافة عنده لابد أن ترتبط بوجود أمة أو ما في معناها، وعلى الرغم من أن عبدالإله بلقزيز يؤيده في أن ما يطلق عليه اصطلاح "ثقافة العولمة إنما هو خارج حدود التعريف والماهية الطبيعية لمعنى الثقافة، [2] إلا أنه يستخدم هذا المصطلح ذاته للتعبير عن التأثير الثقافي للعولمة، وليس باعتبارها كيانا ثقافيا بذاته، ويتمثل هذا التأثير عنده في أن العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، أو هي ثقافة الصورة. ولا يشير السيد ياسين إلى العولمة باعتبارها "ثقافة" وإنما باعتبارها عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية [3]. ويشير إليها الدجاني على أنها ظاهرة تتداخل فيها أمور عديدة، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الدولية،[4] كما أن هناك إشارات أخرى إليها باعتبارها نظاما عالميا أو أيديولوجيا، وبوجه عام يميل كثير من الكتاب عنها إلى النظر إليها باعتبارها عدة عمليات في مجالات متنوعة ترتبط في أساسها بدول أو مجتمعات أو ثقافات بعينها لها ثقلها الواضح في ميزان القوى العالمي، وتغطي بأنشطتها وتأثيراتها الساحة الكونية كلها.

---

[1] محمد عابد الجابري، **لعولمة والهوية الثقافية**، تقييم نقدي، في العرب والعولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، ص 298.

[2] عبدالإله بلقزيز، **العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟**، في العرب والعولمة بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، ص 316.

[3] السيد ياسين، "مفهوم العولمة، مرجع سابق، ص 25.

[4] أحمد صدقي الدجاني، **تأملات في العولمة والهوية، نحو تعاون حضاري في عصر العولمة**، في ندوة العولمة والهوية الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م، ص 190.

يتفق كل المهتمين بهذا الموضوع على الدور الأساسي الذي تلعبه ثورة الاتصال كوسيلة رئيسة لنشر هذا التأثير؛ والمثال الواضح لذلك القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، وما نشهده من تقلص دور الكلمة المكتوبة لحساب الصورة المرئية، ولهذا الأمر أهميته البالغة، لأن الكتاب مثلا كان يخاطب النخبة في حين يتسع جمهور الصورة ليشمل مختلف الشرائح الاجتماعية، ولأن الكتاب كان يتوقف أحيانا عند حدود الدول، وقد لا يسمح له بالعبور لداخلها، في حين تتخطى الصورة التي يحملها الأثير الحدود السياسية والحواجز الجمركية. وتتفاوت الآراء في هذه الناحية بين باحث متشائم يرى أن الذاكرة التي كانت تنتعش دوما بفعل حفظ وتكرار الكلمة المكتوبة، وتساعد على تعميق الوعي، بدأت تخلي مكانها لتحتله المتابعة السريعة للصورة التي تعمل على تسطيح الوعي، وتأكيد دور الإنسان المشاهد،[1] في حين يرى باحث آخر يغلب عليه التفاؤل أن الدماغ والأعصاب ستكون هي أدوات الإنسان، وأن المعلومات هي مصدر سلطته، والمبادلات الإلكترونية طريقه في التعامل [2]. ومن الواضح أن التحولات الحاسمة في تاريخ البشرية تثير دائما ردود الأفعال المتباينة بين الحذر من الجديد، والتطلع في أمل نحو هذا الجديد ذاته. ومن مظاهر التأثير الثقافي التي لفتت أنظار كثير من الباحثين في موضوع العولمة هذا الانتشار السريع للثقافة الشعبية الأمريكية في مجالات الموسيقى والسينما والتلفزيون والأطعمة السريعة والملابس وغيرها، وبالأخص في أوساط الشباب. ويفسر بول سالم ذلك بإرجاعه إلى عوامل عدة منها هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي، وقوة شركات الإنتاج الفني واستغلالها لعصر ازدهار الأقمار الصناعية في ترويج مظاهر

[1] عبدالسلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مرجع سابق، ص 297.

[2] محمد الحبيب بلخوجة، "**إيجابيات العولمة وسلبياتها**، مرجع سابق، ص 99.

ثقافية نجحت بين الشباب الأمريكي، فتنقلها إلى الشرائح الشبابية في أنحاء العالم فيما يشبه "صناعة ثقافية خاصة بالشباب" تتوافر فيها كل عناصر الجذب والتشويق، وتشبع لديهم وهم مجاراة العصر والتشبه بالقرين الأمريكي. وإلى جانب الكسب العاجل من وراء هذا التسويق على المستوى العالمي، فإن الكسب الأهم يتمثل في أن شباب اليوم هم نخب المستقبل في بلادهم[1]. ويرى بوكسبرجر Boxbergr أن إحدى الكذبات التي شاعت بشأن العولمة هي قدرتها على إنتاج التنوع في كل مكان من العالم. فالذي يتحقق بالفعل هو تضييق مجالات هذا التنوع لصالح الشركات العالمية التي تفرض سطوتها على الأسواق من خلال المنافسة الحرة، وتسوق أنواعا محدودة من المنتجات على أعداد هائلة من البشر في شتى أنحاء العالم. ومن ثم ظهرت ما يسميه الباحث "ثقافة الأشياء" التي تعتمد من خلال الإعلانات المدروسة والمكثفة على إقناع المستهلك بأن ما تقدمه له الشركات المنتجة هو الذي يكفل له ما يتمناه من الحياة .[2]

من الطبيعي أن تتفاوت وجهات النظر تجاه المواقف التي ينبغي تبنيها بالنسبة للتأثيرات الثقافية الأجنبية، وهي تتمثل بوجه عام في موقفين رئيسين، أحدهما يدعو إلى تقبل الجديد مع المحافظة على الهوية الثقافية بشرط عدم التعصب والانغلاق، والثاني

[1] بول سالم، **الولايات المتحدة والعولمة، في العرب والعولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م، ص 222.

[2] جيرالد بوكسبرجر، وهارالد كليمنتا، **الكذبات العشر للعولمة** ، ترجمة عدنان سليمان، دمشق، دار الرضا للنشر، 1999م، ص 172.

يدعو إلى الحذر من تيار العولمة الثقافية لأن فيه تهديدا ولو على المدى الطويل لهذه الهوية، وللتنوع الثقافي بوجه عام.

1/ الموقف الأول يربط بين المظاهر المختلفة للعولمة باعتبارها منظومة واحدة، ويرى أن "إعطاء الثقافة هذا الدور وهذه الأهمية ليس سوى هروب من المواجهة في المجالات الأخرى، أي الاقتصاد والسياسة والعلم، وعندما نستنهض الثقافي فقط لمواجهة العولمة فإننا بذلك نتهرب من الشروط الضرورية الأخرى للمواجهة[1] . وتتلخص هذه الشروط الضرورية في تحقيق الارتباط "الناجح" بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، وأيضا بينها وبين الهوية الاقتصادية، ولا ترتبط الثقافة بالسياسة إلا إذا عبّرت الأخيرة عن تصورات الأولى وتطلعاتها، وعندئذ يلتحم الاثنان ليشكلا مقاومة فعالة لأية أخطار قريبة أم بعيدة، وعلينا في العالم العربي أن نحقق الاستفادة من "التراكم المعرفي" الخاص بهوياتنا الثقافية، إلى جانب الاستفادة من "الجديد المعرفي" الذي تحمله المتغيرات الحالية، لأن هذه المتغيرات تحمل اتجاهات فكرية ستترك بصماتها على كل تحليل أو تأويل سياسي مقبل[2]. ومن أنصار هذا الموقف أيضا من يذهب إلى أن العولمة تشير إلى أن الإنسانية تتجه نحو ثقافة عالمية ذات خصائص مشتركة، وأن الثقافات الخاصة تعمل على دمج العولمة ضمن مكوناتها وجعلها مناسبة لبيئاتها، بعد أن أكدت هذه العولمة قدرتها على تأسيس ضمير عالمي وأخلاق إنسانية عامة تقبلها جميع الثقافات، مقتنعة بأن في ذلك خيرها الخاص أيضا كالديمقراطية وحقوق الإنسان، "لذلك ليست هناك علاقة

[1] فهمية شرف الدين، **تعقيب، في العرب والعولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م، ص 321.

[2] فهمية شرف الدين، **تعقيب، في العرب والعولمة**، المرجع السابق، ص 324.

عكسية بين العولمة والهوية الثقافية، خاصة لو لبّت مفردات العولمة الثقافية احتياجات إنسانية حقيقية وغير مزيفة عند الآخرين[1].

2/ الموقف الثاني يرى أن تيار العولمة هدفه توحيد العالم وإخضاعه لقوانين مشتركة تضع حدا فيه لكل أنواع السيادة [2]. ويظهر ذلك جليا في المجال الاقتصادي من خلال الشركات متعددة الجنسيات، واتفاقية الجات، كما يظهر في المجال الثقافي عندما بدأت العناصر الثقافية تعامل معاملة السلع وتسوّق بدورها في ركاب التجارة الحرة. والمشكلة الأساسية في سوق العولمة أن عمليات التبادل والمنافسة التي تجري بين الأطراف المشاركة فيه غير متوازنة؛ فقوانين السوق تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القطب الأساسي الوحيد في عالم اليوم، وبالتالي يصبح اصطلاح العولمة هو الاسم الحركي لمعنى الأمركة [3]، أو يتساوى مع ما يطلق عليه الجابري "ثقافة الاختراق،[4] أو مع ما يسميه هانس بيتر مارتن "حضارة التنميط[5] .أو مع ما يسميه حجازي ثقافة الاستهلاك. وفي إطار هذا الموقف أيضا، يرى حجازي أن العولمة صياغة جديدة لإعادة المركزية الرأسمالية في ثوب جديد، وهي تتضمن "تشكيل قيادة عالمية تستحوذ على النفوذ والقوة، وتتكون من الصفوة الاقتصادية في العالم، وهي تتجاوز في ثقافتها ومصالحها وتطلعاتها كل العقائد والدول والحواجز

[1] حيدر إبراهيم، **العولمة وجدل الهوية الثقافية**، مجلة عالم الفكر، العدد 2، 1999م، ص 120.

[2] عبد الإله بلقزيز، **عولمة الثقافة**، مرجع سابق، ص 317.

[3] عبد الإله بلقزيز، **عولمة الثقافة**، مرجع سابق، ص 319.

[4] محمد عابد الجابري، **لعولمة والهوية الثقافية**، تقييم نقدي، مرجع سابق، ص 302.

[5] هانس بيتر مارتين وهارالد شوما، **فخ العولمة**، الكويت، عالم المعرفة، عدد 238، 1998م، ص 12.

الاجتماعية .[1] ولا ينفي الأمريكيون أنفسهم الدور القيادي لأمريكا في عالم اليوم بوجه عام وبالنسبة لعملية العولمة بوجه خاص. فمنذ مطلع التسعينيات، بدأ هنري كيسنجر كتابه "الدبلوماسية" عام 1994م بالقول "يبدو أن في كل قرن بلادا تنبري بقوتها وإرادتها وبفيضها الفكري والأخلاقي لتسوّي النظام الدولي بحسب قيمها الخاصة،[2] ويقول إنه إذا كانت فرنسا فعلت ذلك في القرن السابع عشر، وبريطانيا فعلته في القرن الثامن عشر، ثم تلتهما النمسا في القرن التاسع عشر، فإن دور الولايات المتحدة يأتي خلال القرن العشرين. ويؤكد كلينتون هذا المعنى في كتابه "بين الأمل والتاريخ: كيف تستعد أمريكا لتحديات القرن الواحد والعشرين" عام 1996م. فيرى أن على الولايات المتحدة الأمريكية "أن تواصل في القرن الواحد والعشرين قيادة العالم نحو السلم والحرية والازدهار، وهو ما يقتضي الوفاء الدائم للقيم الأمريكية حتى تبقى أمريكا دوما هي المنتصرة [3].

المطلب الثالث : الهوية الثقافة العربية بين الانغلاق والانفتاح العولمي

نود أن نفرق أولا بين مواجهة الهيمنة والاختراق الثقافي وبين مجابهة العولمة كواقع عصري، فهذه المجابهة لم تعد أمرا ممكنا لا بالنسبة للدول الضعيفة ولا الدول القوية

[1] أحمد مجدي حجازي، **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية**، مجلة عالم الفكر، عدد 2، 1999م، ص 133.

[2] عبدالسلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مرجع سابق، ص 140.

[3] عبدالسلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، مرجع سابق، ص 265.

على حد سواء، في حين تحاول الثقافات المختلفة في شتى أنحاء العالم إيجاد آليات تواجه من خلالها ما يهدد مقوماتها وخصوصياتها. وهذا حق مشروع لها، بل إنه سمة ملازمة لطبيعة أية ثقافة خلال عمليات التداخل والاحتكاك الثقافي. وتحفل دراسات العولمة بأمثلة عديدة على الآليات التي ظهرت ومازالت تظهر دفاعا عن الخصوصيات الثقافية للمجتمعات، ونجد من بينها -إلى جانب الدول النامية- دولا كبرى كفرنسا واليابان والنرويج، ويأخذ الأمر طابعه الرمزي في معارضة الرئيس شيراك إقامة مطعم لشركة "ماكدونالد" في برج إيفل "ليظل فضاؤه على الأقل منفردا بنمط العيش الفرنسي[1]. وبالنسبة لعالمنا العربي والإسلامي، ذهب عدد من الباحثين إلى القول بأن انشغاله الحالي بالدفاع عن هويته الثقافية في مواجهة العولمة هو رد فعل لأزماته وانكساراته في العقود الأخيرة، وهو قول مبالغ فيه لأن هذا الانشغال ليس وقفا على مجتمعاتنا. فالملاحظ أن الثقافات بطبيعتها مهما كانت مستوياتها في حالة استعداد دائم للدفاع عن هوياتها، ويرتفع هذا الاستعداد إلى درجة الاستنفار في فترات الأزمات بصفة خاصة. ويحدثنا التاريخ عن أمثلة عديدة تكشف عن تواصل المواجهات التي خاضتها هويتنا أمام الأخطار العديدة التي كانت تهددها خلال العصور المتوالية. ومن الطبيعي أن يمتد هذا التواصل حتى وقتنا الحاضر الذي تحاول فيه ثقافة الهيمنة فرض سيادتها على "الآخر". والجدير بالذكر أن الاتجاه الواضح لدى الباحثين العرب هو تأكيد الدعوة إلى الموقف الإيجابي من الجوانب المفيدة من تيار العولمة، ولا خوف على هويتنا من ذلك، لأن ثقافتنا الإسلامية قادرة على المحافظة على ثوابتها، وفي الوقت نفسه على التجاوب مع الجديد وتوظيفه ليخدم قيمها

[1] عبدالهادي بوطالب، **لابد من تكامل العولمة والهوية**، في العولمة والهوية، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م، ص 131.

ومصالحها [1].والمطلوب في عصر العولمة ألا نتطرف سواء نحو الانغلاق أو نحو التعلق بكل جديد، بل الانخراط في عصر العلم والتقنية كفاعلين مساهمين، مع حماية خصوصيتنا الثقافية من الاختراق[2]. ومن المحاولات البارزة في هذا المجال "الخطة الشاملة للثقافة العربية "التي صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1990م، التي صيغت على أساس أن "مجتمع الغد مليء بتحديات المعرفة المتزايدة بشكل كبير، وتحديات التقنية بشكل واسع[3]. ويوضح سليمان خلف أن مجتمعات الخليج تقدم نموذجا حيّا لإمكان التفاعل بين المحلية والعالمية، بحيث لا تظهر الحاجة للاختيار بين أي منهما، بل يمكن الوصول إلى ما يمكن تسميته محلية معولمة. وفي هذه الحالة تستخدم عملية العولمة كإطار نظري لفهم وتحليل العديد من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتشكلة في هذه المجتمعات، مثل الملامح الجديدة للمدن وغيرها، وتنوع أساليب الخطاب التنموي والعلمي والسياسي والتراثي، والتعامل مع الابتكارات التكنولوجية، وخاصة في مجال الإعلام والبث الفضائي، وإحياء عناصر التراث المؤكدة للخصوصيات الثقافية، "إن كل هذه الصور تكشف لنا أن المحلية من حيث هي أيديولوجيا وممارسة لديها القدرة

[1] أحمد كمال أبوالمجد، **العولمة والهوية ودور الأديان**،" في العولمة والهوية، الرباط، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، 1997م، ص 205.

[2] محمد عابد الجابري، **لعولمة والهوية الثقافية**، تقييم نقدي، مرجع سابق، ص 306.

[3] المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية 1985**، ورد في المسدي ، العولمة، ص 74.

على توطين بعض صيغ وأشكال العالمية عن طريق تغليفها في كسوة جديدة وإعادة إنتاجها وتوظيفها في تشكيلات متنوعة [1].

لقد أثار صمويل هنتنجتن جدلا واسعا حول نظريته عن صراع الحضارات عام 1993م .وكان أحد تنبؤاتها أن ثقافات الأمم سوف تذوب في نهاية الأمر في عالمية يسيطر عليها الغرب؛ ولكنه عاد فسجل رأيا جديدا عام 1996م في دراسة له بعنوان: الغرب متفرد وليس عالميا ذكر فيها "أن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية؛ فروح أية حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد... ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته في مواجهة حضارات العالم [2]. وهكذا يدفعه التزامه بنظرية الصراع إلى هذه النتيجة على الرغم من واقعيته في إدراك استحالة عملية التذويب الثقافي . إلا أن هناك وجه آخر للهيمنة الغربية يتصل هذه المرة بمجتمعات عريقة الحضارات في آسيا وأفريقيا، كانت بدورها هدفا لحركة المد الاستعماري، وكانت ومازالت حقلا واسعا لدراسات "الاستشراق." وقد أوضح إدوارد سعيد، إلى أن "كل أوروبي كان فيما يمكن أن يقوله عن

[1] سليمان نجم خلف، **العولمة والهوية الثقافية**، تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية،" المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، 16، عدد 61، 1998م، ص 90.

[2] عبدالعزيز بن عثمان التويجري، **الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي**، في العولمة والهوية، الرباط، مطبوعات أكاديمية، ص 167.

الشرق عنصريا، إمبرياليا، وإلى درجة كلية تقريبا عرقي التمركز،[1] هو يفسر ذلك من خلال تصنيفه لحركة الاستشراق إلى ظاهر وباطن. فالاستشراق الظاهر يمكن أن تختلف فيه آراء المستشرقين عند دراساتهم للمجتمعات الشرقية ولغاتها وآدابها وتاريخها وما إلى ذلك. أما الاستشراق الباطن، فإنه يعبر عن اللاوعي لديهم جميعا؛ بحيث يمكن القول إن "كل تغيير في المعرفة بالشرق مهما كان نوعه يحدث حصريا تقريبا في الاستشراق الظاهر. أما إجماعية الاستشراق الكامن واستقراره وقدرته على الاستمرار، فهي نوعا ما ثابتة لا تكاد تتغير[2].

هذا الثبات نتج عنه أمران مهمان، أولهما أن هذا الرصيد الكامن من المشاعر المتحيزة عرقيا سرعان ما يثيره لفظ "الشرق" أو "الشرقي"؛ بحيث لم يعد اللفظ يشير في ذهن الغربي إلى الشرق الحقيقي الواقعي، وإنما إلى ما يحيط به من معان ومضامين مترسبة لديه. " وهكذا فقد كان مجرد استخدام كاتب ما للفظة "شرقي" إشعارا كافيا لكي يحدد للقارئ هوية جسد معين من المعلومات حول الشرق[3] والأمر الثاني وهو الأخطر أن الغربيين "رأوا الشرق موضعا يتطلب العناية الغربية وإعادة البناء الغربي، بل وحتى الخلاص الغربي [4].

[1] إدوارد سعيد، **الاستشراق**، ترجمة كمال أبوديب، ط2، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984م، ص 215.

[2] المرجع نفسه ، ص 217.

[3] المرجع نفسه، ص 216.

[4] إدوارد سعيد، **الاستشراق**، نفس المرجع، ص 217.

ويلاحظ أن معظم الباحثين بمختلف اتجاهاتهم ركزوا على الهوية الثقافية للمجتمعات، وبرزت عدة اتجاهات مهمة في هذا الشأن منها :

الاتجاه المعرفي الذي أكد على أهمية دراسة الهوية الثقافية للمجتمع من زاوية تختلف عن الزوايا المعهودة، وهي محاولة اتخاذ اللغة المحلية مدخلا للنفاذ إلى مكونات البناء المعرفي الكامن في عقول الأفراد المنتمين إليه؛ فالفهم السليم لثقافة أي مجتمع ينبغي أن يتم على أساس كونها نسقا معرفيا متميزا، وأن أفرادها يتشرّبون عناصر هذا النسق خلال نشأتهم، فيصبح لهم طابع خاص، سواء في كيفية اكتسابهم لخبراتهم عن العالم المادي والاجتماعي المحيط بهم، أو في كيفية تفسيرهم للوقائع والأحداث التي تمر بهم، واتخاذهم التصرفات المناسبة تجاهها، أو في تشكيل نسقهم القيمي الذي يحكم سلوكهم في شتى المواقف، ومن ثم ظهرت اصطلاحات تعبر عن هذه المعاني مثل "الخرائط المعرفية،" أي الترجمة الثقافية لمعالم البيئة المادية والاجتماعية، والتي ترشد الفرد في تعامله معها طوال اليوم، ومثل "الأساليب المعرفية،" وهي الطرق التي تحمل معنى الثبات في أداء أفراد مجتمع ما لأنشطتهم المعرفية، وحل المشكلات خلال تعاملهم مع العالم الخارجي.

كما عالج الاتجاه السيكولوجي الهوية الثقافية للمجتمعات من حيث الخصائص النفسية والسلوكية والتنشئة الاجتماعية، وكما عالجها الاتجاه المعرفي من حيث بنائها العقلي وخصائصها اللغوية، فإن الاتجاه الإيكولوجي اهتم بعلاقتها بالوسط البيئي، وربط بين خصائص الثقافة، ونوعية البيئة المحيطة بها، والسمات الشخصية للأفراد المنتمين إليها، وأكد تمتلك الهوية الثقافة العربية الإسلامية مجموعة من العناصر التي تجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الأخرى، بل لا تتوفر هذه العناصر لهويات أخرى، ومن

أبرز تلك العناصر اللغة، والدين، والتاريخ، ولكن تعرضت الهوية الثقافية العربية لأزمة، ومما ساعد علي اتساع هذه الأزمة جمود الثقافات لدي الشعوب العربية، وفقدان حيويتها وفعاليتها، وتجاهل المجتمعات العربية ضرورة تجديد ثقافتها، وتأهلها للحوار والتفاعل مع الثقافات الأخرى، بالإضافة إلي أن الثورة المعلوماتية اختصت بمجتمعات بعينها، وعند انتقال تأثيرات هذه الثورة إلي المجتمعات العربية انتقلت معها ثقافة مجتمعاتها وأنماط معيشتها وسلوكياتهم، الأمر الذي نتج عنه تبعية ثقافية وسياسية واقتصادية، نظرا لعدم التكافؤ بين المجتمعات القوية وبين المجتمعات الضعيفة [1].

هذا ما جعلنا نشعر بأزمة الثقافة في مجتمعاتنا العربية وكبر حجمها لواقع الحال الذي طغت فيه العولمة على كل مناحي حياة الإنسان فدفعته بقوة للبحث عن ذاته أولا ثم عن جذوره، سواء الجذور الثقافية أو الاجتماعية أو العرقية، رغم إن ثوب العولمة الخارجي يتحدث عن صهر البشرية كلها في إطار منظومة واحدة من القيم الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية [2].

هذا هو حال الأمم الضعيفة التي لا تملك حاضرا موصولا بماضيها، وهنا تسلك أحد طريقين : إما أن تفزع نحو ماضيها متمسكة به، وداعية إلي ممارسة الحياة علي أساس منه، وإما استعارة حاضر غيرها وممارسة الحياة علي أساس منه، وعندئذ يبدأ

---

[1] سمير عبد الوهاب الخويت، **طفل واحد وثقافات متعددة : أثر وسائل الإعلام والعمالة الأجنبية علي ثقافة الطفل الخليجي** – دراسة تحليلية – ميدانية، مجلة التربية، مجلد 3، ع 1، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، يونيو 2000 ، ص 148 – 149.

[2] عبد الرشيد عبد الحافظ، **الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها**، مكتبه مد بولي، 2005،عبد العزيز التو يجري، **العالم الإسلامي في عصر العولمة** ، دار الشروق ،200

الصراع بين القديم وبين الجديد، بل سيحاول البعض البحث عن سند للجديد من القديم، وهذا التوفيق قد يخفف من حدة الصراع، ولكن لن يكسب الأمة حاضرا تصنعه هي، بل ستظل تستعير حاضر غيرها وتبني له أساسا واهيا من تراثها، وهذا هو مركز الأزمة التي تعانيها الهوية الثقافية العربية[1]. وقد أشار " محمد حسنين هيكل " إلى واقع أزمة الهوية حين قال : إن " العالم العربي فقد الإحساس بهويته، وملكته نزعات القبائل المتحاربة، ونتيجة ذلك فقد ضاع منه جامعه المشترك، ومواقفه المشتركة، وهدفه المشترك"،[2] الأمر الذي أدى إلي ما نراه اليوم من تفكك وضعف وتخلف في المجتمعات العربية، لدرجة أنها لم تعد تتخذ قرارا واحدا فيه اتفاق إلا على ألا يتفقوا؛ مما جعلهم مطعما للآخرين، ولم يعد لهم تأثير يذكر علي الساحة الدولية، هذا ما نراه واضحا في كثير من القضايا التي تهم العرب والمسلمين، ومن أبرز هذه القضايا قضية فلسطين، والحصار المستمر، والعدوان المستمر على الفلسطينيين دون أن يتحرك العرب أو الأمم المتحدة، لا لشئ إلا لأن العرب لا وزن لهم على الساحة الدولية، ولذلك لابد من ملاحظة أن سؤال الهوية يطرح نفسه بشدة مع النقلة النوعية للمجتمع الإنساني صوب المعلومات والمعرفة، وبالنسبة لنا كعرب يجب تناول الهوية لا بدافع سلمي من منطلق رد الفعل، بل كمطلب أساس لكل المجتمعات العربية للحاق بالركب المعلوماتي[3] .

---

[1] **عبد الودود مكروم**، مرجع سابق، ص 1388.

[2] محمد حسنين هيكل، **العرب علي أعتاب القرن**، 21، **مجلة المستقبل العربي**، ع 12، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 ص ص 5، 25.

[3] جورج قرم، **مشكلة الهوية والانتماء القومي عند العرب** ، مجلة العربي، ع 537، الكويت، وزارة الإعلام، أغسطس 2003، ص ص 30، 34

الفصل الرابع

التكيف مع العولمة

في

إطار الخصوصية الثقافية العربية

الفصل الرابع : التكيف مع العولمة في إطار الخصوصية الثقافية العربية

مدخل:

ذهب مالك بن نبي إلى أن من كون الثقافة "أسلوب الحياة في مجتمع معين... تخص السلوك الجماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع"[1]، بل هي "حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا"[2] فداخل مجتمع متحرك تتم "عملية تركيب ثقافته بصورة تلقائية تنحصر في تنظيم المقومات الثقافية في وحدة متجانسة تمثل ثقافته"، "فأساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص. وهو تأليف يحدث طبقا لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفية أخلاقية. وإذا فالأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية هي أولى المقومات في الخطة التربوية لأية ثقافة".[3] ثم إن "الفرد المنعزل... لا يمكن أن يستقبل الثقافة ولا أن يرسل إشعاعها" و"الأفكار والأشياء لا يمكن أن تتحول إلى عناصر ثقافية إلا إذا تألفت أجزاؤها فأصبحت تركيبا فليس للشيء المنعزل أو الفكرة المنعزلة معنى أبدا".[4]

---

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الرابعة، 1406هـ/1986م، ص50.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] المرجع نفسه، ص ص 26-63.

[4] المرجع نفسه، ص64.

إن الثقافة، حسب ابن نبي دائما، "نظرية في السلوك أكثر مما هي نظرية في المعرفة" وبهذا تكون الثقافة أعم من التعليم نفسه وأعم من المعرفة والأفكار وأوثق صلة بالشخص. فهي عموما "مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه... هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته".[1]

وعند محمد عابد الجابري، أن الثقافة هي "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء... إن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان، ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل ومالا ينبغي أن يأمل..".[2]

وعند برهان غليون "لكل ثقافة خاصة كما لكل مؤسسة روحها؛ أي نظام عملها وردود أفعالها وتوجهاتها التي تكون لديها ما يمكن أن نسميه المناعة الذاتية ضد كل نوع من أنواع التغيير الخطيرة التي تهدد انسجامها الداخلي وقيامها بوظائفها.... والواقع أن

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مرجع سابق، ص ص 73-74.

[2] محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية.. عشر أطروحات**، مجلة المستقبل العربي، ع،228 – 1998/2، ص 14.

الثقافة الحية لا تقبل بضم خبرات جديدة إلى مخزونها المعرفي أو الخيالي، إلا إذا لم تكن هذه الخبرات تتعارض مع خبرات سابقة وراسخة تضمن توازناتها الكبرى".[1]

وهذا، كما هو واضح، بنسب عالية في الثقافات الحية الناهضة والفاعلة، التي تشكل أنظمة وأنساقا مستعصية على الاختراق والذوبان، تحفظ وتؤمن الفرد والجماعة داخلها وتجعلهما في الوقت نفسه منفتحينعلى العالم الخارجي. وتقوم بعملية فرز داخلية للمنقول الوافد فتعمد إلى دمجه واستيعابه أو طرحه وإبعاده. لكن الأمر يكون مختلفا تماما بالنسبة للثقافات التي أصابها الوهن وارتخت خيوط الفاعلية والمقاومة فيها، كما هو شأن كثير من ثقافات "الجنوب"؛ إذ نسبة المؤثرات الخارجية فيها قوي وبالغ الأثر، وثقافتنا العربية الإسلامية أصيبت أيضا بهذا الداء بعدما كانت تتحرك بوثيرة وفاعلية كبيرة وقوية جعلتها تعمم مبادئ وقيم ومفاهيم الرسالة الجديدة.

وبما أن الثقافة تأليف وتركيب ودمج لعناصر ومكونات تصوغ في النهاية الفلسفة الأخلاقية لأية جماعة، فإنها قابلة لأن تتنوع وتتعدد وتغتني في تجلياتها ومظاهرها، كما هي قابلة أيضا لأن تنفعل وتتأثر وتتفكك.. فالهوية الثقافية كيان يصير، يتطور، إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم.. وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع

[1] برهان غليون، **اغتيال العقل، منحة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1987 ص335.

ما.."[1] أما على المستوى الكوني فليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وإنما توجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة..[2] وبقدر ما تملك ثقافة ما قدرة ذاتية على الانفتاح والحوار بقدر ما تساهم في عملية التثاقف الإيجابي مع الثقافات الأخرى.

إذن، فالاقتدار الذاتي، والفاعلية، والحركية.. شروط لابد منها للحياة والوجود، والثقافة التي تتوحد عند أصولها المرجعية وتنفتح في تجلياتها لتستوعب كافة أشكال ومظاهر الحياة، ولتحاور الآخر وتتفاعل معه، هي التي بإمكانها أن تعيش وتؤثر وتساهم في التقويم المحلي والكوني. ومن غير هذه الشروط فمن السهل جدا أن تبتلعها ثقافات أقوى منها في ظل قانون العولمة الآخذ في الهيمنة والتوسع. وليس صحيحا ما يذهب إليه البعض مثلا من كون "العولمة الثقافية لا تنتج ثقافة عالمية ولكنها تنتج بالأحرى كوكبا تختلط فيه الثقافات وتتعايش أو تتصارع، ففي كل مكان تقريبا حيث يذهب المرء من السهل عليه أن يعثر على مطعم صيني أو مكسيكي أو هندي، وعلى بائع السمك والبطاطا أو الهامبورغر الأمريكي. لكننا بعيدون جدا عن عالم تقدم فيه كل المطاعم وجبة واحدة.."[3]. فهذه ليست مؤشرات عميقة على التعدد الثقافي بقدر ما هي مظاهر سطحية

---

[1] محمد عابد الجابري، **المسألة الثقافية**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1994، ص15.

[2] محمد عابد الجابري، المصدر نفسه، ص14.

[3] ميشيل كلوغ، **أربع أطروحات حول عولمة أمريكا**، مجلة الثقافة العالمية، عدد 85، نونمبر– ديسمبر 1996، رجب– شعبان 1418، ص57.

وشكلية لا يمكن أن تعكس كل أبعاده وتجلياته، وإن كانت تصلح كنموذج لتفسير بعض من تلك الأبعاد متعلق بنظام أو "ثقافة الأكل". ومثل هذا أيضا كثير من الإسقاطات التي تختزل مفهوم الثقافة إلى نوع من "الفن" المستهتر، أو الرياضات الطائشة.. فأيما فصل بين الأصول المرجعية الكبرى المحددة لهوية الثقافة ووحدتها وبين مظاهرها وتجلياتها الممثلة لغناها وتنوعها.. هو تحريف خطير يمارس على هذه الثقافة. ولا يخفى الآن أن الآلة الضخمة الموجهة والمتحكمة بعملية العولمة هي الإعلام القائم على أداء الصورة وإيحاءاتها. وأخطر تحريف يمارسه إعلام الصورة على ثقافة المشاهد هو تحويل هذه الثقافة عن أساسها الفكري التربوي التكويني العميق إلى أسس سطحية إلحاقية، تلقن مبادئ التبعية والاستهلاك والإشباع المادي، وتقتل الروح المعنوية والفكر الحر المستقل. إنه باختصار يغتال في الإنسان ثقافته.

ولو التمسنا بدايات لاختزال مفهوم الثقافة وقص أطرافها في الفكر الحديث خصوصا، لوجدنا ذلك مع تنامي نفوذ العامل الاقتصادي وهيمنته على توجيه الحياة بمنطقه في الربح وقيمه في الاستهلاك كان هذا لدى الدول العظمى السباقة إلى تطوير اقتصادياتها سواء بفعل الكشوفات الجغرافية أو الثورات الصناعية أو امتصاص خيرات المستعمرات.. أو غير ذلك، الشيء الذي جعل الاقتصاد لديها يحقق نوعا من "الاستقلال" الثقافي. وانتقل هذا بحكم التبعية والتقليد إلى البلدان المتخلفة من غير أن تعرف بنياتها التحتية الاقتصادية تلك التحولات الجذرية، أو أن تكون إفرازا طبيعيا لها. فتجد تلك البلدان، وعلى رأسها كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي، وهي المقصودة لدينا

بالدرجة الأولى، تتلمس طريق التحديث على النموذج الغربي، تتملص تدريجيا من ثقافتها التاريخية وتتنكر تدريجيا كذلك لأصولها المرجعية.

ولئن كان الغرب الذي أنتج تطوره الاقتصادي على حساب القيم والأخلاق، ثقافة عبر عنها كثير من نقاده، من أبنائه خصوصا، بالثقافة المصنعة أو "الثقافة الآلية" أو "الثقافة الرقمية" أو "ثقافة الاستهلاك".. إلخ، قادرا بحكم قوة بنياته التحتية على امتصاص مضاعفات هذا المنتوج السلبية ولو إلى حين، وخاصة المضاعفات الاجتماعية "الحريات الفردية والأسرية والجماعية.."، والبيئية "دمار التلوث والتسلح والحروب وجنون التصنيع والعبث العلمي.".. فإن البلدان الأخرى عاجزة كل العجز عن ذلك، مما يعرضها إلى أزمات وكوارث مضاعفة لا تجد حلا لها إلا في المزيد من الارتماء في أحضان الغرب. بمنطق تحليلي آخر، إن الغرب لا يهيمن ويستعبد في عولمته بالقوة والضغط والتفوق.. وحسب، ولكن أيضا وبقدر كبير بتصدير الأزمات والأوبئة وأشكال الميوعة والانحلال التي تطال الإنسان والحيوان والجماد.. وهذه الكائنات جميعها لا يمكن أن تجد أمنها الذاتي إلا في ثقافة تؤطرها وتقنن أشكال العلاقة والتسخير فيما بينها نحو قيم الخير والعدل والصلاح.

الثقافة تشكل وتصوغ عمق المجتمع والإنسان وتغذيه وتزوده في الوقت ذاته بكل القيم والمبادئ والمعاني والرموز.. الدينية والتاريخية والعرفية.. مما يشكل إطار خصوصيته وتميزه ويعكس هويته. فإنها إذ تفعل ذلك، تفتح أمامه أيضا بالضرورة آفاقا للتواصل والتفاعل مع مكونات ثقافية مختلفة ومغايرة لا يملك إزاءها إلا أن يكون أداؤه سلبيا منفعلا متلقيا أو إيجابيا فاعلا مساهما. ومعنى الانفتاح الإيجابي هذا، نجد تعبيرا

بليغا عنه في القرآن الكريم بصيغ مختلفة: ﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأَرض﴾[1] ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾،[2] ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم..﴾ ،[3] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾،[4] ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾،[5] ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.[6] إنه التدافع والتعارف والحوار بين الناس والمقربين منهم، أهل الكتاب. القائم على أسس مرجعية ومنهجية لا تعدم أية ثقافة متى كانت إنسانية أو ربانية تحترم الآخر، أصولا له هي دعامة ومستند هذا الانفتاح المتبادل. وقد قدمت الحضارة الإسلامية أرقى نموذج له في عالميتها الأولى، إذ جعلت من أقطارها المفتوحة مهما نأت مراكز وأقطاب فاق بعضها في إنجازه العلمي والحضاري مراكز الخلافة ذاتها. فليس التحصن دائما انكفاء على الذات وانطواء عليها وإمعانا في الانعزال والتفرد. بل يكون، وبدرجة أقوى، بالتعرف على الآخر ومدافعته والإسهام في العطاء الحضاري العام والمشترك الإنساني انطلاقا من تلك الخصوصية.

---

[1] سورة البقرة، الآية 249.

[2] سورة الحجرات، الآية 13.

[3] سورة آل عمران، الآية 63.

[4] سورة العنكبوت، الآية 46.

[5] سورة النحل، الآية 125.

[6] سورة البقرة، الآية 20.

المبحث الأول : مفهوم الخصوصية الثقافية وعناصرها

المطلب الأول : مفهوم الخصوصية الثقافية

فالخصوصية تعني التمايز عن الآخر والاتصاف بملامح ذاتية تختلف عنه، وعلى المستوى القيمي فإنها تعني الوعي بالذات وحقيقتها الوجودية وإدراك لتميزها ولحدودها الزمانية والمكانية لرسالتها الأخلاقية وما يرتبط بها من دلالات سياسية واقتصادية واجتماعية. وهي بهذا المعنى مزيج بين موقف وجداني وعقلاني في نفس الوقت، فالخصوصية بهذا المعنى ليس مفهوما محليا بل إن المفهوم نفسه عالمي، فكل جماعة مثقفة لها رؤيتها الذاتية لخصوصيتها.

وبهذا المعنى فإن مفهوم "الخصوصية الثقافية" ظل أسيرا للاستخدامات المسيسة والأيديولوجية التي تجعله جزء من منظومة الدفاع عن واحدة من الثنائيات التي عادة ما تطرح كبدائل مثل المحلية والعالمية، النسبية والإطلاق، المشترك والمختلف، الأصالة والمعاصرة، التقليد والإبداع، العزلة والتفاعل.

ويقدم كل ذي مشروع فكري فهمه للخصوصية على أساس أن ما يتبناه من هذه الثنائيات بتغليب إحداها على الأخرى أو التوفيق بينهما.

وبمراجعة الأدبيات التي تناولت مفهوم الخصوصية الثقافية تبين الملاحظات التالية:

هذا المفهوم نخبوي بالأساس، يشيع صراحة أو ضمنا بين أصحاب الفلسفات والأيديولوجيات السياسية، في حين أنه ليس بنفس الدرجة من الشيوع في الكتابات الأكاديمية: فهو ليس مثل مصطلح الثقافة السياسية مثلا، وإن كان يمكن أن يفهم في إطاره، على أساس أنه يعبر عن محاولة خلق أو توظيف الثقافة السياسية السائدة على نحو يزيد من التمايز مع غيرها من الثقافات.

هذا المفهوم له قدرة تحليلية من منظورين متناقضين وإن كانا يؤديان إلى نفس النتيجة فـ"القرية العالمية تحتم قيام عادات وتقاليد عالمية" .كما أن الدولة الواحدة أصبحت تحمل أقليات أكثر ميلا للاعتداد بثقافتها ولغتها ودينها وأقل استعدادا للذوبان في الثقافات الأكبر. "الناس اليوم أكثر تحركا والحدود تجتاز بسهولة، وتعد البلدان أحادية العرق أصعب في البقاء، وعلى هذا فهناك عمليات ثلاث تحدث في نفس الوقت: ضغط العولمة نحو قيم عالمية، ومحاولات تمايز الثقافات غير الغربية عنها بالتأكيد على خصوصيتها الثقافية، ومحاولات تمايز الثقافات الفرعية داخل الثقافات غير الغربية أيضا بالتأكيد على خصوصيتها هي الأخرى.

فالشائع عند المتحدثين عن تفرد ثقافة بذاتها أن يتوقف أمامها على أنها المعيار وعلى أن الصحيح فيها هو الأصل وأن "ما ينبغي أن يكون" هو العنوان أما الممارسات الخارجة عنه فهو خروج عن الطبيعي .

وعلى هذا فالحديث عن الخصوصية هو دائما انتقائي لأن القيم الحاكمة للذات الخاصة لا بد أن تكون قيما ايجابية تدفع إلى الأمام دفعا. فالمعتد بثقافته يتحدث عنها بصيغة ما ينبغي أن يكون ويتحدث عن ثقافة الآخر بصيغة ما هو كائن ويكون تصور

العربي المعتز بثقافته عن الغرب أنه الغرب الدموي الاستعماري الذي أنتج الحروب الصليبية ما هو كائن ويكون تصور العربي لذاته أنه حامل رسالة أخلاقية، موئل الديانات السماوية وموضع تعايشها، وأن لغته هي لغة أهل الجنة (ما ينبغي أن يكون)... إلخ.

المطلب الثاني : عناصر الخصوصية الثقافية العربية

مفهوم الخصوصية أو النسبية الثقافية، وهو المفهوم الأكثر ارتباطا بقضايا الهوية والتنوع الثقافي والعقيدة. فلا شك أن الشعور بالهوية مثل "التنوع"، هو أمر واقع، فالجماعات والأفراد دائما ما تعبر عن هوية أو هويات عدة تنتمى إليها، كأن تكون قومية أو إثنية، أو جنسية إلخ. ولا يمكن الزعم بأن الخصوصية الثقافية هي الوجه الآخر للتعددية الثقافية، ولكن ما يمكن قوله أن التعددية الثقافية توفر المناخ الأيديولوجى والسياسي الّذي تنتعش فيه مطالب الخصوصية او النسبية الثقافية. وتعنى الخصوصية أو النسبية الثقافية في أكثر تعريفاتها رواجا أن القيم والأخلاق وغيرها من المنتجات الثقافية هي أمور نسبية لكل مجتمع، فما يصلح هناك قد لا يصلح هنا والعكس صحيح .وبالتالى فإننا لا نستطيع أن نقول ببساطة أن بعض أنماط السلوك صحيحة أو خاطئة، فهي كذلك فقط بالنسبة لسياق ثقافي معين. فما يعد خاطئا بالنسبة لمنظومة ثقافية ما، قد يكون مقبولا وصحيحا في منظومة ثقافية أخرى. وهكذا تنتفي فكرة المعايير الكونية، وتبقى فكرة المعايير النسبية الّتي تتعلق بكل منظومة ثقافية.

الهوية العربية هي أهم عنصر تتميز به الخصوصية الثقافة العربية، التي تتكون من ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى[1].

وأهم عناصر الهوية **الدين** حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين[2].

اللغة العربية بوصفها المادة التي نتج عنها المنتوج الفكري العربي والوعاء الذي افرغ فيه هذا المنتوج فشكلته وقولبته وفقا لعبقريتها الخاصة.

الدين الإسلامي بوصفه المرجعية التي تستند إليها التشريعات المنظمة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية للمجتمعات العربية والتي تنطلق منها منظومتها القيمية وسلمها المعياري.

الموروث المعرفي الذي تكون عبر العصور نتيجة لتطور العلوم الدينية واللغوية وتشعب المعارف انطلاقا من استقراء واستيعاب وتعميق الموروث الفكري اليوناني والهندي والسرياني والعبري والفارسي... من طرف العلماء والباحثين العرب.

[1] محمود سمير المنير، **العولمة وعالم بلا هوية**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م، ص 146.

[2] صامويل هنتجتون، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب، الطبعة الثانية، 1999م، ص118.

وهذا الموروث العربي الذي هو نتيجة لتراكمات تكونت عبر العصور كان له ارتباط جدلي وثيق بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها الفضاء العربي عبر الأحقاب.

فقد عرف هذا الفضاء طفرة باهرة دامت من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر ميلادي في كل من المشرق والأندلس بحيث ازدهرت الآداب والفلسفة والعلوم والرياضيات والطب والمعمار والفنون والموسيقى والرقص وكل مظاهر المدنية والتحضر.

ولقد شكل الرصيد المعرفي والحضاري الناجم عن تلك الطفرة الأرضية التي انطلقت منها النهضة الأوربية خلال القرن الخامس عشر عبر ترجمة كل ألوان التراث العربي إلى اللغة اللاتينية من طرف الطلبة والدارسين الذين كانوا يترددون على الجامعات الأندلسية وخاصة جامعتي قرطبة وطليطلة.

وبعد ذلك عرف التراث الثقافي العربي انكماشا تدريجيا وركودا مضطردا اعتبارا من القرن الثاني عشر ميلادي، نتيجة لتضافر عوامل شتى، منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

ولعل من أهم هذه العوامل، الهجمات الصليبية المتتالية، واجتياح المغول لبلاد العرب وتقويض الخلافة العباسية في الشرق وبسط السيطرة التركية على العالم العربي ثم سقوط الأندلس ومجيء الاستعمار الأوربي.

كل هذه العوامل أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في تحديد ملامح الخصوصية الثقافية العربية والتأثير في طبيعة العناصر المكونة لها.

كما قد أثرت النهضة الثقافية التي عرفها بدرجات متفاوتة الفضاء العربي على أثر حملة نابليون في بداية القرن التاسع عشر وتبعا لقيام الدول الوطنية عقب انزياح الاستعمار الأوربي خلال القرن المنصرم، اثر كل ذلك في جوهر الخصوصية الثقافية العربية ومضامينها ومرتكزاتها الاديولوجية والمرجعيات الحضارية.

المطلب الثالث : مميزات الخصوصية الثقافة العربية

تمثل الثقافة العربية "إطاراً أنتجه الإنسان العربى بناءً على فهمه واستيعابه لعقيدته وتراثه الدينى، وتفاعلاته المتعددة داخل بنيته المجتمعية فى كل مرحلة تاريخية، وعبرالمراحل المتعاقبة التى عايشتها هذه البيئة. بهذا المعنى، فإن للثقافة العربية– شأنها فى ذلك شأن غيرها من الثقافات– ركائز خاصة ومتنوعة، أكسبتها، وعلى مر العصور، خصوصيتها وذاتيتها، كما أتاحت لها أيضا إمكانيات البقاء والاستمرارية والتواصل، إضافة إلى قدرة فائقة على التكيف مع ضغوط الثقافات الوافدة وتعريبها وصهرها فى البوتقة الثقافية العربية، فكان أن تمكنت تلك الثقافة ودوما من الاحتفاظ بأصالة هويتها العربية، وخصوصيتها الذاتية. من بين هذه الركائز ما هو بطبيعته ثابت، ومنها أيضا ما هو متغير. الركائز المتغيرة للثقافة العربية تنتُجُ، وبطبيعة الأمور، عما قد يكون هناك من تباينات قطرية بين شعوب الأمة العربية وداخل كل منها فتمثل انعكاساً لتنوعاتها الديموجرافية ومستوياتها الحضرية، بدوية كانت أو ريفية وحضرية. إضافة إلى ذلك، فإن تلك الركائز المتغيرة للثقافة العربية إنماُ تعدُ أيضا تعبيراً عن انفعال تلك الثقافة وتفاعلها مع كل مرحلة من مراحل تطورها التاريخية، وتمثل فى الوقت ذاته نتيجة لما تطرحه هذه

المرحلة أو تلك. وعلى الجانب الآخر، فإن الثقافة العربية قد اكتسبت بفضل الركائز الثابتة كثيراً من خصوصيتها، لاسيما أنها– أى تلك الركائز– تقوم على، وتتضمن كلا من: 1) الدين الإسلامى وتراثه الروحى والفكرى؛ 2) اللغة العربية كأساس للتواصل والتفاعل والتفكير والتعبير؛ 3) التاريخ والمستقبل.

على ضوء ما سبق، تتضح أبعاد الخصوصية الذاتية للثقافة العربية وما تفرضه من فهم ديناميكي ومتطور. فمن جانب، فالثقافة العربية هى ثقافة تتمثل وُتعاشُ كياناً حياً ينمو ويتطور عن طريق ما نصنعه وننجزه، متأثرة ومؤثرة فى مواجهة محيطنا الخارجى العالمى، فهى تنمو وتتطور وتتعدل عبر الزمان والمكان، كما تنعكس فيما تنجزه وتحققه خلال مسيرتها الحياتية حين نضع الطريق المستهدف السير فيه، من هنا يصبح مطلوبا ومرغوبا أيضا تنمية الخصوصية لا مجرد الحفاظ عليها، وتطويرها وإثرائها لا جمودها وإفقارها، وتحديدها لا مجرد تمجيدها، وتشجيع إبداعاتها لا القناعة باجترار راهنها.[1] ومن جانب آخر، فإن تلك الثقافة كانت دائما، وما تزال، قادرة على إيجاد مساحة لنفسها، ومجال لعملها بعيدا عن السياسة بمعناها المباشر ودروبها الملتوية، وكان لها فى الوقت ذاته حضورها وتأثيرها فى السياسة خاصة عندما يتعلق الأمر بمصير المجتمع وهويته. كما أن هناك من جانب ثالث حقيقتين هامتين ومتناقضتين فى نفس الوقت. تتعلق أولهما بأصالة الثقافة العربية الضاربة بجذورها فى عمق التاريخ، وتأثيرها الفعال والمهيمن فى الحياة العربية. من هنا، فهى تمثل أساس تكون الأمة العربية والحفاظ على هويتها التى قد

[1] عبد الباسط عبد المعطى،"**التبعية الثقافية فى الوطن العربى، فى الآليات والمجالات والتفسير**، مستقبل العالم الإسلامى، عدد 16، خريف 1995، ص ص 21–73.

تختلف من قطر إلى آخر، لكن مقوماتها العامة تظل ثابتة وموحدة أو على الأقل متقاربة. فهى – أى الثقافة العربية – لم تصل بعد إلى "مرحلة الهزيمة الكاملة أو الانسحاق لثقافة الآخر، سواء كان ذلك فى سنوات الاحتلال الغربى للبلاد العربية، أو حتى فى مواجهة المشروع الصهيونى."[1] وعليه، فإن مفهوم الخصوصية في إطاره الأيديولوجي يطرح كثيرا على أنه مفهوم استعدائي أي يقدم في إطار رفض الأنا للآخر.

إن مرحلة العولمة تتميز بانهيار الكثير من المعايير السياسية والإيديولوجية والمذاهبية، وعودة المكبوت الديني، والنزعات اللاعقلانية التي تدفع في اتجاه إبقاء وضع التبعية للغرب على ما هو عليه وتعطيل دور العقل النقدي كضرورة لتأمل نظرية العولمة وما تختزنها من شعارات من قبيل الحوار الحضاري وكونية العقل الغربي ونهاية الأدلجة والصراع. هنا يكتسب الكلام عن هوية ثقافية بديلة من أجل تجاوز الكثير من الإكراهات السيكولوجية والمعرفية التي عملت الفلسفة اللبرالية الجديدة على تكريسها وشرعنتها باسم العولمي والانفتاح والتعايش. هنا لا يكون الكلام عن الهوية الثقافية إلا إرادة لفهم العوائق الذاتية التي حكمت "العقل العربي"، وإخفاقات المثقف واهتزازات الكثير من الحركات السياسية. ويمكن القول بأن التفكير العلمي–الفلسفي في قضية الهوية الثقافية يبقى مرتبكا في الأصل باستيعاب تجربة الحداثة الغربية في أفق نقد نظرية العولمة، لصالح بناء مشروع ثقافي يكرس هوية ثقافية نقدية وعقلانية متفاعلة مع إيجابيات التحولات الكونية بعيدا عن منطق خصوصي ضيق لن يجد أمامه سوى الدفاع عن الأصل والأصالة

[1] عبد الرحمن الحبيب، **التنمية الاقتصادية ألعربية الإمكانات والتحديات**"، ندوة "إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، بيروت، 1997، ص ص 105–130.

والهوية دون أدنى مقاربة تاريخية لإشكالية العولمة، أو فهم علمي لوضعية شعوب تابعة تبحث عن هوية ثقافية في ظل معاناتها عملية التدمير الذاتي نتيجة عوائق ذاتية حكمت وجودها الاجتماعي والتاريخي، ومحصلة هيمنة شبه مطلقة لغرب رأسمالي يتعامل بمباديء قائمة على التمايز والاختلاف. وهنا ينهار كل طرح ينتقد العولمة بمعايير متعالية وتراثية قد لا تزيد إلا في إقرار مركزية شرقية مقابل مركزية الغرب. وهذه الخصوصية القاتلة ستهدر كل إمكانية بناء نقدي لهوية ثقافية بديلة قادرة على تجاوز أحكام القيمة التي حكمت تصورنا لوضعنا التاريخي وللغرب كصيرورة معرفية وتاريخية أنتجت العولمة. فما هي أسس خطاب العولمة؟ .

المبحث الثاني :التكيف الإيجابي للثقافة العربية مع العولمة

للعولمة تاريخ محكوم بتحولات عميقة قد ترجع إلى التحولات العميقة التي عرفتها رأسمالية القرن التاسع عشر. وإذا كانت فلسفة الأنوار دافعت عن كونية العقل والإنسان ومبدأ التقدم فإن وضعية أوغست كونت Auguste Comte على الرغم من ثورتها الإبستمولوجية، قد بدأت ترتب أوراق فلسفة جديدة مبنية على فرض نموذج واحد للمعرفة والتطور وواضعة للتاريخ نهاية محددة متمثلة في الهيمنة البورجوازية، هذه الأدلجة الجديدة للفلسفة لصالح هيمنة محددة، شكلت منطلقا خطيرا على الصعيد المعرفي والتاريخي تمثل في وضع حد فاصل بين شعوب متقدمة، عقلانية، وأخرى بدائية ما زالت تعيش المرحلة الميتافيزيقية حسب نظرية المراحل الثلاث الشهيرة لدى كونت، ويمكن القول إن ليفي بريل Levy Brill هو خير معبر عن هذا المنطق في كتابه الشهير "العقل البدائي" والذي يمكن

اعتباره إنجيلا لكل التصورات المدافعة عن عولمة قسرية لا ترى أمامها إلا نظام السوق وقيمة الربح.[1]

إن خطاب العولمة الآن يجد سنده الكبير في الأنثروبولوجيا الاستعمارية المتمركزة حول العرق وحول ثنائية شعوب بدائية وشعوب عقلانية متحضرة، كما أن فلسفة هيجل باتت تشكل المنطلق الأساسي لأغلب منظري العولمة، وذلك استنادا إلى أطروحة "نهاية التاريخ". وبالفعل، فكونية المطلق الهيجلي سقطت بمجرد وضعه ذاك التمايز الشهير بين الغرب، العقلاني والحر، وما أسماه بالعالم الشرقي المؤسس على أرضية الاستبداد، وكان هذا الفيلسوف العظيم ممهدا لأخطر تصور استشراقي استفادت منه الكثير من النظريات الكليانية والعرقية ضدا على الجدل الهيجلي ذاته. وبهذا يمكن القول إن فلسفة هيجل التاريخية، في ارتباط بأطروحة العولمة ليست سوى تبرير نظري لمشروعية هيمنة السيد العقلاني على الإنسان الشرقي الغارق في ضلالات الوهم والتعصب وذلك هو المجتمع التعصبي، والمشكل هو أن علاقة السيد بالعبد، وفق المنظور الغربي لن تحل بالعقل والحوار، بل بالعنف، فكانت المرحلة الاستعمارية إيذانا بسقوط آخر للإنسانية البورجوازية، وتمركزا أكثر حدة حول العرق ولذة الرأسمال. ولم تعد دعوة كانط لإنسانية كونية إلا خيالا يخترق اللاعقل الغربي المتمحور حول مفهوم إرادة القوة لنيتشه، أو أنثروبولوجيا الرغبة لدى ألكسندر كوجيف والذي لخص "فينومنولوجيا الروح" لهيجل

[1] ليفي برول، **العقلية البدائية**، ترجمة محمود القصاص، مكتبة مصر، د.ت، ص ص 31- 32- 210- 289 .

على أساس مقولتي: الرغبة والاعتراف، وهو القائل في قولة شهيرة له بـ"أن تاريخ البشر هو تاريخ الرغبات التي تنصب على بعضها البعض" [1] وهو الأمر الذي دفع بعض المفكرين إلى نعته بأنه يقدم تأويلا دمويا للتاريخ. إن أطروحة نهاية التاريخ والعلاقة الدموية بين العبد والسيد والصدام الحضاري تشكل الخلفية الفلسفية لكل دعاة العولمة.

حاول صامويل هانتغتون أن يخفي العلاقة السببية بين نظام العولمة وظهور أشكال صراع جديدة في البلدان التابعة رغم إقراره بأن "العالم معرض لأزمة هوية شاملة، حيث كل الشعوب والأمم تسعى للإجابة على السؤال: من نحن؟ ويجيبون بالرجوع إلى كل ما هو عزيز عليهم، أجدادهم، دينهم، لغتهم، تاريخهم، قيمهم، عاداتهم، مؤسساتهم، وبالتحامهم في جماعات ثقافية على شكل عشيرة، مجموعة إثنية، مجموعة دينية، أمة وأخيرا على شكل حضارة"[2]. لم يكن هذا المفكر سوى فاتحا لفهم غربي مؤسس على الرغبة في استغلال كل التمايزات العرقية والثقافية والدينية لصالح نظام العولمة وذاك بإذكاء الحروب الأهلية والتطاحن الديني وهو الأمر الذي يبين أن نظام العولمة يريد إقرار هيمنة مطلقة للغرب الرأسمالي وفرض نمط أحادي الجانب في المعرفة والوجود وهو ما تسعى إليه بكل قوة الليبرالية المتوحشة. لقد بات من الواضح أن نظرية العولمة مازالت في حاجة إلى الوضع الأنثروبولوجي الذي تعيشه الشعوب التابعة، من أجل تأييد عملية الاستغلال

---

[1] Hegel, Phénoménologie de l'esprit, Paris Aubier Montaigne 1947, Préface p 12

الترجمة العربية هيغل، علم ظهور العقل، ترجمة مصطفى صفوان، الطليعة، بيروت ،الطبعة الثالثة، 2001، ص 26.

[2] صمويل هانتغتون :**الغرب وصدام الحضارات**، جريدة أنوال المغربية، ترجمة محمد سعدي، عدد 10 يوليوز، ص 10.

والاستلاب، وهو الأمر الذي يتطلب ضرورة التفكير في كل إمكانيات التحرر بعيدا عن الخصوصية الضيقة التي لن تبرر إلا سيكولوجيا الخضوع والاضطهاد. فماذا إذن عن علاقة الخصوصية بالهوية الثقافية كمشروع ثقافي بديل يراد له أن يخترق إرادة خطاب العولمة في الهيمنة؟إشكال هيمنة واستبداد الثقافة الغربية بقيمها ونزعاتها المادية المدعومة بأنماط التحديث العلمانية.. الغرب الذي يصر على أن يكون دائما وأبدا مركزا وقطبا ومحورا، والباقي يدور في فلكه وحواشيه أطرافا وملحقات وهوامش. المنطق الذي يحدد كل صور وأشكال التعامل معها ثقافيا، سياسيا، اقتصاديا، عسكريا، إعلاميا.. إلخ، بما يضمن ويؤمن زعامته، وبما يضمن تبعيتها وخضوعها دون السماح لها أن تتحول في وقت من الأوقات إلى أقطاب أو مراكز. لأن الأمر يعني، بنفس المنطق، نهاية السيادة والاستفراد بالنسبة له.

فالمتأثرين بأنماط التحديث الغربي، بما في ذلك النخب ذات المصالح والامتيازات والتي تمارس التجهيل والتزييف على بلدانها وشعوبها، لا يدركون أن تلك الأنماط لا يمكن أن تجعل منهم في النهاية إلا مقلدا ممتازا وتابعا من الدرجة الأولى أو الثانية. مسلوب الإرادة مشلول القرار عاجزا عن الحسم في أخص أموره. وحتى إن أدرك، فإنه لا يملك من أمر نفسه شيئا بعد أن رهن نفسه لرمز استعباده وقهره وجعله نموذجا له يحذو حذوه في الصغيرة والكبيرة، إلا أن يحدث في نفسه انقلابا جذريا أو ثورة شاملة تنقله من حال إلى حال. إنه المنطق الاستعماري عندما يخترق مبادئ الثقافة فيحولها عن مهام التعارف والتدافع الإيجابي إلى مهام التبرير والتسويغ للنهب والسلب والاستغلال. الأمر الذي استهجنه نقاد غربيون أنفسهم ووصموه بـ"الثقافة الاستعمارية" التي استطاعت أن تسخر

لأغراضها أضخم المؤسسات "العلمية" كمؤسسة "الاستشراق" ومؤسسة "التبشير" وكثير من مراكز وخلايا البحث "العلمي".

كيف يمكن إذن أن تتم عملية التثاقف بمنهج التعارف والتدافع والتحاور.. في ظل وضع محكوم بمنطق الاستعلاء والاستفراد والهيمنة لثقافات ضد أخرى؟؟ علما بأن العملية بحد ذاتها مطلوبة وضرورية خاصة بالنسبة للثقافات ذات النزوع العالمي كثقافتنا الإسلامية التي تعتبر العالمية إحدى فروضها الدينية والدعوية والحضارية.

لننظر أولا إلى ما تقدمه الساحة الفكرية في معالجة هذا الإشكال من خلال تسليط مزيد من الضوء على عملية التثاقف ذاتها والآليات التي تحكمها، أو تلك التي ينبغي أن تحكمها. يذهب س. لاتوش إلى أن كلمة تثاقف تستخدم "للدلالة على تفاعل إيجابي عند الاحتكاك بين الثقافات. وعندما تدخل ثقافتان في اتصال، فإذا كانت السمات الثقافية التي يجري تبادلها تتوازن وتحافظ كل منهما على هويتها وديناميتها الخاصتين بعد إدماج واستيعاب العناصر الأجنبية، يمكن الحديث عن تثاقف ناجح. وعندما، لا يتجسد الاتصال في تبادل متوازن، بل في تدفق في اتجاه واحد مصمت، تغدو الثقافة المتلقية مغزوة ومهددة في وجودها ذاته. ويمكن اعتبارها ضحية عدوان حقيقي. وإذا كان العدوان فوق ذلك ماديا فهذا هو الزوال لا أقل ولا أكثر، أو الإبادة الجماعية. أما إذا كان العدوان رمزيا، فإن الإبادة الجماعية تغدو ثقافية وحسب، أي إبادة إثنية. إن الإبادة الإثنية هي أعلى مراحل محو الثقافة.

المطلب الأول : الإستفادة من الثورة المعلوماتية والإنجازات التكنولوجية

ظاهرة العولمة تعتبر ظاهرة حتمية حتمت علينا التعامل معها للاستفادة من الثورة المعلوماتية والإنجازات التكنولوجية غير المسبوقة، فضلا عن ثورة الاتصال بما تتضمنه من أقمار صناعية وشبكة الإنترنت التي جعلت من عالمنا قرية كونية واحدة ، يسود بينها التواصل والتفاعل في الأنشطة الإنسانية من اقتصادية وتكنولوجية وثقافية وسياسية بشكل يتعدى الحدود التقليدية للدول ، وحتى نستطيع الاستفادة من ظاهرة العولمة وتقليل سلبياتها ، علينا إعادة النظر في الكثير من مفاهيمنا وقيمنا الثقافية وأنظمتنا الاقتصادية والسياسية بشكل يدعم القيم الإيجابية ، ويهتم بجودة الإنتاج حسب معايير الجودة الشاملة وتدعيم القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان ، فضلا عن تكثيف استخدام تقنيات تعليمية متطورة تتماشى مع احتياجات سوق العمل ، ومتطلبات تقنيات المعلومات وقنوات الاتصال والتكنولوجيا الحديثة ، بما يمكنها من اللحاق بركب العولمة المتسارع الخطي ، وبما يجنبها خطر الانغلاق والتهميش في المستقبل .

فلقد أصبحت المعرفة أكثر من مجرد مصدر للسلطة، و لم تعد المعرفة مكملا لسلطة النقد أو مجرد السلطة المادية، و إنما أصبحت جوهر السلطة .[1]

ففي عصرنا هذا تعتبر المعلوماتية هي مصدر النزاعات الدولية، علينا استغلال التقنيات الحديثة من أجل مسايرة الركب الحضاري، و دلك بإرساء شبكة اتصال عالمية

[1] Alvin Toffler ,**Les nouveaux pouvoirs :savoir, richesse et violence a la veille du 21 eme siècle** – Fayard 1991,p, 36.

لتبادل المعلومات على نطاق كوني بطريقة بسيطة وسريعة عبر أجهزة صغيرة وفعالة، وأبرز هذه الشبكات هي شبكة الانترنيت.[1]

ففي كتاب صدر بعنوان "الطريق إلى الأمام " يتحدث BILL GATES عن الآفاق التي دشنها عصر الانترنت، الذي سيقضي الى تغيير جذري في شكل العالم ....[2]

لقد كرست خدمة الانترنت مقولة "القرية الإلكترونية الشاملة"، فحطمت حواجز التواصل المتنوعة، وقلصت عوائق ونقائص وسائل الإعلام و النشر.[3]

أما الإعلام الفضائي فقد أخذ جانبا أساسيا من معالم الثورة الاتصالية المعاصرة، وذلك بفضل تقنيات البث بالأقمار الصناعية، التي تتطور بسرعة مذهلة.

هذا الإطار انتهى إليه المفكر الفرنسي "رجيس دوبريه Régis Debray "، حيث يقول : إننا نعيش في حقبة التوحيد الكوني للأنظار، وذلك عندما تحولت الصورة إلى وضع مائع، وغدت تدفقا مستمرا فاقدا لأية مرجعية، غير مرتبطة بأي خلفية دينية ورمزية فهي :" الحاضر الأزلي المهووس بالسرعة في مقابل الكتابة المقدسة والفن البطيء. [4]

التطور في مجال الاتصالات والإعلام يشكل تحولا جذريا في الفضاء الثقافي والمجتمعي ستكون له لآثار إيجابية يمكن النظر إليها كمؤشر بارز من مؤشرات المناخ التعددي الصحي على مجتمعنا، مما يتعين علينا، خاصة في المجال الإعلامي أن نخطو

---

[1] السيد ولد أباه ، **اتجاهات العولمة، إشكالية الألفية الجديدة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001، ص، 9.

[2] Christain Huitema, **Et dieu créa l'internet,** EYROLLES , PARIS ,1995,p 68.

[3] السيد ولد أباه ، **اتجاهات العولمة ، إشكالية الألفية الجديدة** ، مصدر سابق ، ص ، 10.

[4] Régis Debray**, cours de médiologie générale ,** Gallimard Paris 1991, p 87.

خطوات واسعة نحو التأقلم مع معطيات هذه الثورة، التي تقتحم المجال التواصلي البشري وتسهم في تكييفه وصياغته [1]

إن القوى العولمية تسعى إلى ترسيخ نوع آخر من منظومة القيم الثقافية التي تنحاز إلى القوى العملاقة التي تتشكل على مستوى العالم، قوى متعددة الجنسيات لها السيطرة والتحكم، والنفوذ والاحتكار، تتحكم في أهم أدوات التغيير المطلوبة، و تكون قادرة على توجيه عمليات التحول الاجتماعي و الثقافي.

ساعد على ذلك النظام الثقافي المسيطر – في حقبة العولمة – النظام السمعي البصري، المتمثل في الإمبراطوريات الإعلامية الضاربة التي يستقبلها مئات الملايين من المتلقين في سائر أنحاء المعمورة .

على هذا فإن نظام العولمة الثقافية الجديد ليس مجرد تقنية للمتلقين فحسب بل هو كيفية جديدة لوعي العالم وأي أنه ليس مجرد وسيلة بل هو طريقة معينة لإدراك العالم والتعبير عنه، إضافة إلى هذا فإن البعد الثقافي يشير إلى بروز الثقافة كسلعة عالمية مما أدى إلى بروز وعي وإدراك مفاهيم وقناعات ورموز ووسائل ثقافة عالمية الطابع .

أخيرا فإن كل الآثار الثقافية التي نجمت عن العولمة رغم عدم اكتمالها بعد، قد خيبت الآمال التي عقدت عليها أسكتت الأصوات المتفاعلة، إذ أدى التطور التكنولوجي في مجال الاتصال والمعلومات إلى زيادة الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية، كما أدى إلى إيجاد ثنائية جديدة في النظام الإعلامي الدولي أي هيمنة من جانب و تبعية من جانب آخر.

[1] السيد ولد أباه، **اتجاهات العولمة، إشكالية الألفية الجديدة**، مصدر سابق، ص، 21.

المطلب الثاني : **ضرورة اتصال وتفاعل الثقافة العربية بالثقافات الأخرى**

إن التلاقي والاختلاط الثقافي لصالح ثقافتنا وليس ضدها، ذلك أن الثقافات الغربية تتميز حالياً بجانبها العقلي في ميادين العلم والتكنولوجيا، وقدم لأصحاب هذه الثقافات منجزات سهلت عليهم الكثير من أمور حياتهم وقد اتجهت أمم كثيرة للانفتاح علي الغرب وحافظت مع ذلك على خصوصيتها الثقافية وأقرب مثال علي ذلك اليابان والصين والهند .

إن التحديات المصيرية التي أصبحت تشغل الإنسان المعاصر تهم ركيزتين أساسيتين لاستمرار الحياة، التنوع البيولوجي والتعدد الثقافي، فالتجانس الثقافي هو بمثابة إبادة وانقراض للإنسان ثقافيا، الأمر الذي لا يقل خطورة عن احتلال التوازنات(البيئية) والبيولوجية في العالم. لذلك فإن التعددية الثقافية تعتبر ثروة كبيرة يجب على الإنسانية الحفاظ عليها، وتعدد الحضارات هو أفضل ضمانة لقدرة الإنسان على إبداء أجوبة مناسبة للتحديات المختلفة. [1]

المحافظة على التنوع الثقافي يمثل ضرورة من ضرورات الحياة يجب المحافظة عليها، حيث نجدها اليوم أكثر بروزا في ظل العولمة، يكون فيها الإنتاج الثقافي و احتكار الرموز والقيم هما أبرز ما يطبع النظام العالمي الراهن على مستوى إنتاج و

[1] محمد سعيد ، تقرير عن الندوة الدولية، **إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق و الغرب** ، مجلة المستقبل العربي، العدد، 233 ،1998، ص ص57 .

توزيع الثقافة . فالنظام الرأسمالي انتقل من طور تعميم القيم والعلاقات الإنتاجية الى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي. وفي ضوء هذه الحقيقة ينبغي علينا عندما نستعير عنصرا ثقافيا من ثقافة خارجية أن يكون هذا العنصر متمشيا مع ثقافتنا وأن نوظفه لخدمة ثقافتنا بشكل يجنبنا أي اضطرابات خطيرة في ثقافتنا، ولهذا ينبغي علينا أن نشارك في الفكر العالمي كله أيما كان مصدره، ندرسه و نتعمقه و ننفذ الى صحيحه و نتمثله.

فإذا نبذنا شيئاً ننبذه عن علم عميق وإيمان يقين، وإذا أخذنا شيئاً نأخذه عن وعى كامل ونقد فاحص وتمثل صحيح، ويعني ذلك أن نأخذ ما يتفق وثقافتنا ونترك ما يضرنا ويؤثر على هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا الأصلية.[1] ومع ما تبديه معظم المجتمعات غير الغربية من انتقادات وتحفظ إزاء القيم وأساليب الفكر الغربي إلا أنها مع ذلك لا تتردد في اقتباس كثير من عناصر الحضارة الأمريكية والأوربية،وعلي هذا فإن الإنماء الثقافي والاتصال الثقافي فرض واجب علي الإنسان اليوم ، ومن هنا يجب أن نعمل على إحياء الثقافة العربية وتطهيرها من الشوائب والتشوهات التي طرأت عليها والاستناد عليها لتدعيم المقاومة المحلية ضد الغزو الثقافي ، فهذه المقاومة هي السبيل الوحيد لاستعادة وعي العرب الأصيل بذاتهم وهي السبيل الوحيد لاستيعاب الحضارة الحديثة لا باعتبارها تقليداً أعمي للغرب وإنما بعد انتزاعها من إطارها القيمي وتكيفها مع القيم العربية ، وهكذا يتسنى للمجتمع المصري أن يساير العصر ويحتفظ بهويته في الوقت ذاته .

[1] باسم علي خريسان، **العولمة و التحدي الثقافي**، مرجع سابق،2001، ص ص 141-142 .

1- الحفاظ على الهوية الثقافية العربية

نقف اليوم أمام تيار كاسح جارف مندفع، لا نملك إزاءه إلاّ التعامل معه بحكمة ويقظة، لأننا لانمتلك شروط المواجهة معه، ولكننا نتوفر على شروط موضوعية لمواكبته، والاندماج فيه، وللإسهام من موقعنا الثقافي والحضاري، في بناء عالم جديد قوامه العدل والسلام، والتعايش والتسامح، والتعاون الإنساني في إطار القانون الدولي، بهذا الأسلوب العملي نتوقى مخاطر العولمة، ونتغلب على الصعاب والتحدّيات الناتجة عنها، والحفاظ على خصوصياتنا الثقافية والحضارية.

المنهج الذي ندعو إلى اعتماده في معالجة المشكلات الناتجة عن اكتساح نظام العولمة للهوية والثقافة العربية في هذه المرحلة الدقيقة، يقوم على قاعدة التكامل في البحث عن الحلول للأزمات الحضارية والمشكلات الثقافية، وينطلق من الرؤية الشمولية إلى الواقع المعيش، بحيث لايمكن بأي حال، الفصل بين الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية، وبين الأوضاع الثقافية والفكرية والإعلامية، لأنه لاسبيل إلى تقوية الذات بتحصين الهوية والثقافة العربية والحفاظ عليهما، في ظل أوضاع غير منسجمة مع طموح الأمة، وفي ظروف ليست مواتية، من نواحي كافة.

وضع الثقافة العربية اليوم محكوم بظروف صعبة على جميع الأصعدة، ولا مجال للحديث عن الحفاظ على الهوية والثقافة العربية في ظلّ هذه الأوضاع، فالمجتمعات الضعيفة المتخلفة عن ركب التقدم الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي، لا تقوى على الدفاع

عن خصوصياتها الثقافية وموروثها الحضاري، ولا تملك القدرة على صد الغارات الثقافية والإعلامية التي تواجهها من كل حدب وصوب، ولن تستطيع أن تقف صامدةً في معترك السياسة الدولية بأمواجها المتلاطمة، حفاظاً على مصالحها الحيوية، ولذلك نرى أن السبل التي يتعيّن على الأمة العربية والاسلامية أن تسلكها للحفاظ على هويتها وثقافتها، إصلاح الأوضاع العامة إصلاحاً رشيداً شاملاً، خلال الرؤية الشاملة إلى الواقع في جوانبه المتعدّدة، من أجل اكتساب المناعة ضد الضعف العام الذي يحدّ من حيوية الأمة ويشلّ حركتها الفاعلة والمؤثرة.

لقد كانت الثقافة دائما المرجع الأساسي لفهم سلوكيات الشعوب حاضرا ومستقبلا. لكن الثقافة اليوم أصبحت قضية استراتيجية على الصعيد العالمي، مثلها مثل الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية والأمنية، وذلك بسبب ظهور الثقافة الإلكترونية التي يحملها طوفان الإعلام الوافد، فتحول الحديث من الغزو الثقافي إلى طوفان الثقافة الكونية[1].

ثم إن خطر التلاشي في نظم المعولِمين الكبار، إنما يتوقف على مدى اعتمادنا على قوة الهوية العربية الإسلامية، التى تشكل العمود الفقري للكيانات القومية والوطنية، وإرادة تفعيلها. وإلا فليس هناك عاصم لأي كيان من كياناتنا الوطنية الصغيرة من خطر التلاشي .إن الاستجابة النشطة المرتكزة إلى تدعيم النواة الذاتية وتفعيلها هي نقطة

[1] السيد ياسين، **الكونية والمستقبلية**، في أوراق ثقافية، جريدة الاهرام : 94/1/10 مصر.

الانطلاق إلى الانفتاح على العالم، وهي أبرز ضمانات التحول إلى القدرة الفاعلة في الاشتراك في صنع المستقبل العالمي [1].

الثقافة العربية الإسلامية بكل ما تحمله من فرص إثراء غير مسبوقة في التاريخ البشري، تمثل جهدا متماسكا متناسقا لقولبة الناشئة والشباب وتنميطهم كونيا من خلال توحيد المرجعيات، والرموز، والأبطال، وتشكيل الأذواق، وبناء الرؤى الشاملة للكون والإنسان والحياة .

تنقية الثقافة العربية الإسلامية، وتفعيل إيجابياتها بصفة عامة، وتفعيل مضامينها المستقبلية بصفة خاصة، يجعلها من القوة والأهمية الحضارية، بحيث تمثل رصيدا استراتيجيا ومعْبراً لنقلة حضارية هائلة إلى عالم القرن الجديد.

ذلك هو الضمانه للمجتمع كي ينفتح على العالم من موقع القدرة على إدارة الاعتماد المتبادل بأفضل الشروط بالنسبة له .

كان من الطبيعي أن تسعى القوي الرأسمالية التقليدية إلى تحويل الثقافة إلى واحدة من أهم الصناعات الاستراتيجية التي تحكم موازين القوى عالميا، إن لم تكن أهمها على الإطلاق.[2]

الصراع الحضاري الذي يجتهد أطرافه في تقديم تفسير للماضي، وتأويل للحاضر، وتشريف للمستقبل في ضوء رؤى معينة للكون والإنسان والحياة، يستخدم الآن الاختراق

---

[1] مصطفى حجازي، "**إعداد الطالب الجامعي من أجل شراكة عالمية مستقبلية**، في وقائع المؤتمر العلمي الثاني لقسم أصول التربية، جامعة الكويت، 17 – 20 أبريل، 1994م، ص416.

[2] احمد درويش، **تحديات الهوية العربية بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، مؤتمر جامعة السلطان قابوس عن العولمة والثقافة، أكتوبر 1999، ص 3.

الثقافي، الذي يستهدف الإرادة والعقل والنفس، كأسلوب للسيطرة على الإدراك ووسيلة لإعادة تشكيل الوعي أو تزييفه [1] لدى البلاد المعولَمة.

هناك إجماع لدى العلماء الموضوعيين أنه إذا كان على الدول العربية أن تقوم بإسهام أصيل في صناعة المستقبل العالمي، فإنه يجب على أنظمة التربية فيها أن تضع الأساس لتعبئة الموارد الثقافية العربية. ولا يمكن ضمان ذلك إلا من خلال السياسات القائمة على المشاركة، التي تؤكد الهوية الثقافية من خلال استخدام اللغة العربية في برامج التعليم والتدريب[2].

المنطق المقبول عالميا الآن هو أن التنمية الذاتية تحتم تشجيع الهوية الثقافية، إذ لا يمكن أن تقوم تنمية ذاتية على أنماط ثقافية وأساليب حياة مستمدة من ثقافة خارجية.

إن التقصير في حسن تعلم الغة العربية ومكوناتها الحضارية والثقافية، يعطل مفاتيح الفكر إلى حد كبير، ويضعف الرابطة العضوية بين أبناء الوطن العربي وبين حضارتهم العربية الإسلامية، ويعرّض مشاعر الارتباط القومي للوهن، ويغلق أمام باب التفاعل الحي الأصيل مع العلوم والتقانة الأجنبية، وكثيرا ما يوقع في تبعية، وفي انسلاخ أبناء الأمة العربية عن جلدتهم، وتعرضهم بالتالي لشتى أنواع النهب التكنولوجي والاغتيال الثقافي.[3]

---

[1] نبيل على، **صورة الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في الإنترنت**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999، ص 22.

[2] عبدالعزيز بلقيز، **العولمة والهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربي، مارس 1998، ص 12.

[3] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تقرير مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية 1997، تونس، ص 148.

الإنسان منذ خلق يعيش حياة ثلاثية الأبعاد: ماض يرمز إليه بالتراث، وحاضر يمثل معطيات الواقع، ومستقبل يمثل الرؤى والتصورات والاحتمالات المتوقعة. والمعرفة التي يوصف بها عصرنا الحاضر تعتمد على الدراسات المستقبلية التي تعتمد أساساً على معطيات المستقبل. وهي وإن كانت لا تنسى الماضي أو الحاضر إلا أنها ليست امتدادا خطيا لهما؛ لأن الثقافة في المستقبل ستكون شديدة التغير والاختلاف. ولكن يجب ألا تدهمنا المتغيرات وتنسينا الثوابت التي هي الأساس في فهم المتغيرات، وتكييفها والتكيف معها والاختيار من بينها، بل وصناعتها. وهذه هي الضمانة لجعل مستقبلنا مختلفا عن ماضينا وحاضرنا، ولكنه في نفس الوقت ليس منقطعا عنهما، ولا متصارعا معهما.

2 – تكيف الثقافة العربية من خلال الانفتاح الثقافي

التكيف الثقافي هو أحد شعارات مرحلة النظام العالمي الجديد ولكي يتحقق هذا التكيف الثقافي ينبغي أن يكون مستوي التقدم في نتاج ثقافتنا يرقي على الأقل إلى نظيره في تلك الثقافات، ويتطلب الارتقاء بنتاج ثقافتنا تربية عقول مفكرة متفتحة وجادة من الأجيال الصاعدة في مجتمعنا يمكنها أن تستفيد من تجارب الثقافات الأخرى ولديها القدرة علي تطويرها والإضافة إليها . ولهذا أصبح الانفتاح الثقافي أمر ضروري لا مفر منه وإغفاله يؤدي إلى عزلة عن الثقافات الأخرى في وقت يعتبر فيه التكاتف والتعاون بين الدول أمراً مصيريا ومطلبا حياتيا لابد من تحقيقه .

العولمة تتوفر على إمكانيات تقنية واعلامية كبيرة جدا تساعد على تحقيق التماثل الثقافي [1]، وبهذا نرى نرى أن ثقافة دول الجنوب التي تتعرض إلى هذه المعضلة، فالثقافات الأخرى جميعا تعاني من تأثير ثقافة العولمة الغربية و تعيش في نفس الوضع ، وهذا يعني أن ثمة أزمة ثقافية عالمية تريد القضاء على التنوع الثقافي في سبيل نمطية ثقافية واحدة.

إن التمايز الحضاري هو موقف مختلف عن الانغلاق أو العداء الحضاري، فرفض الانفتاح علي الحضارات الأخرى هو موقف ضار فعلا، فضلا عن أنه غير ممكن في ظروف ثورة أجهزة الاتصال والتواصل التي تزداد فعاليتها في العصر الذي نعيش فيه ، ويمكن للانفتاح من خلال وسائل الإعلام علي الثقافات الأخرى أن يمثل عامل تحفيز وعامل زعزعة للاستقرار في أن واحد ، فكثير من الناس يشعرون بالقلق من أن تؤدي الصور المنقولة بوسائل الإعلام إلى تقوية الروح الاستهلاكية في المجتمعات المنقولة إليها. ومن ثم فإن الشمولية الحديثة للحضارة المعاصرة والانفتاح المنضبط تجاهها أمر ضروري للتبادل الحضاري الصحيح، لأن هذا الفهم هو الذي يمكن من الانتقاء والاستفادة العلمية والفنية الصحيحة دون مساس بالقيم والعقائد والمبادئ والهوية، ولهذا يجب الحذر من فهم الانفتاح والاقتباس الحضاري علي أنه دعوة إلى الانفتاح والتسيب المطلق أو أنه ذوبان ومتابعة لا حدود لها، إنه انفتاح وتعامل واع خبير مستقل.

الباحث المتعمق يجد أن المسلمين حين انفتحوا علي الحضارة اليونانية اخذوا منها ما يتفق مع خصوصياتهم الحضارية، ويشير واقعنا الثقافي في أكثر من مجال إلى

[1] المنصف وناس، **مضامين العولمة الاتصالية والثقافة**، مجلة الإذاعات العربية، العدد، 2، 1998، ص،10 .

أن تحقيق الخصوصية الثقافية لا يتم إلا بالانفتاح علي الحضارات الأخرى، وعلي هذا فان الانفتاح المنضبط تجاه الحضارة المعاصرة أمر ضروري للتبادل الثقافي. [1]

كثيرا ما يقول القائلون إن الثقافة لا تعرف الحدود، فقد تركت مصر في مراحل تاريخها الطويل أبوابها ونوافذها مفتوحة علي مصراعيها أمام المؤثرات والتيارات الثقافية.

- ضرورة التبادل الثقافي :

تقوم العلاقات الثقافية بين الشعوب على أساس من الفهم المتبادل تجاه بعضهم البعض، ففي المجتمع الحديث نجد وسائل الاتصال تلعب دورا مهما في عملية التبادل الثقافي عن طريق طرحها كما هائلا من الثقافات المتنوعة على المشاهد والمستمع والقارئ، وبذلك تفتح مجالات عديدة أمام المبدعين وتساعد على تنمية الثقافية الذاتية للفرد والتي بدورها تلعب دورا مهما في الثقافة الوطنية أو بالأحرى تصبح جزء من الثقافة الوطنية .

لا خوف على الإطلاق مما يوصف بأنه غزو ثقافي أو اختراق إعلامي، ما دمنا نحصن أنفسنا بالتعليم والتثقيف ونحرر برامجنا الإعلامية ونتوسع فيها ونيسر توصيلنا إلى الجميع ولكن ليس معنى ذلك أن نصم آذاننا عن الثقافات الوافدة، بل لابد أن يكون لنا موقف منها حينما نرى أنها تؤثر في ذاتيتنا الثقافية الإعلامية التي نتعرض لها من خلال

[1] **الخطة الشاملة للثقافة العربية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1997، ص 130.

وسائل الإعلام، ومن صم يكون هدفا أساسيا استراتيجيا في السياسة الثقافية و الإعلامية للإنسان.

العودة إلى الذات وبعث المشروع الحضاري والثقافي هو الخيار الوحيد أمامنا لمواجهة التبشير العولمي بحتمية العولمة وأنها قطار الحضارة الوحيد، وكذلك من أجل إنقاذ البشرية من خطرها الداهم الذي يجتاح الإنسانية ويخدرها بأفيون الشعارات الكاذبة مع مصادرة حقوقها و نفيها إن أمكن.

المطلب الثالث : استثمار المعرفة والسيطرة على آلياتها

في البداية لابد من التفريق بين البيانات، والمعلومات، والمعرفة. فالبيانات أخبار وأرقام وجزئيات وإحصائيات، ومواد خام، لا قيمة لها في ذاتها، وإنما قيمتها في ضرورة توافرها بسرعة وفي الوقت المناسب . أما المعلومات فهي نتيجة ضم البيانات والأخبار والأرقام والإحصائيات إلى بعضها البعض بطريقة منطقية، وإيجاد العلاقات والارتباطات فيما بينها بطريقة علمية .. وهنا تتحول المواد الخام إلى معلومات. وعندما تدرس المعلومات وتحلل وتفسر في ضوء معطيات الماضي والحاضر وتوقعات المستقبل، وتتحول إلى نظريات، ومنهجيات، وتقنيات، فتلك هي المعرفة.

حضارة القرن الواحد والعشرين هي حضارة المعرفة فالمجتمعات القوية في هذا القرن هي المجتمعات التي تستوعب المعرفة، وتنمو على أساسها؛ حيث الأدمغة العارفة هي الطاقة المستقبلية ، والثروة البديلة. والضرورة الملحة في مجتمعاتنا الآن "هي ضرورة التحول من مستوى التعامل مع البيانات والمعلومات إلى مستوى بناء المعرفة، وصولا إلى

مستوى القدرة على اتخاذ المواقف في مختلف القضايا. فالشائع عندنا هو التعامل مع مرحلة البيانات الخام والشغل عليها لتحويلها إلى معلومات – فذلك ما يتوقف عنده البحث الوصفي في جامعاتنا . فتبقى المعلومات مكدسة دون تشييد لنظم معرفية ذات معنى وقابلية للاستخدام الوظيفي والنمو "[1]

بناء الاقتدار المعرفي هو المدخل الوحيد الذي لا يمكن أن تحل إمكانات شراء الخبرة محله، ولا قيمة للموارد المالية مهما عظمت، في ضمان التنمية وحق الشراكة العالمية، إلا بمقدار ما توظف في بناء الاقتدار المعرفي . وبناء الاقتدار المعرفي يتطلب[2] التحول من تعلم المعلومات والمهارات مرة واحدة إلى منهجيات التعليم الذاتي وتعلم كيف نتعلم، والتعلم المستمر، والتعلم مدى الحياة، فالتدفق المعرفي المتزايد، والتغيرات المتسارعة في الخريطة المهنية تتطلب ذلك،كما يتطلب كذلك تجاوز الاقتصار على التذكر والاسترجاع والاستيعاب إلى العمليات العقلية العليا؛ كالتفكير المنطقي، والتفكير النقدي، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات، وبناء العقلية العلمية القادرة على المقاربة العقلانية والمنهجية لقضايا العلم، والعمل والحياة، بالإضافة إلى التحول من العزل والفصل، وتفتيت المعلومات، وإقامة الحدود بين المعارف، إلى التكامل، وتنظيم المعلومات في نظم معرفية دينامية مفتوحة ونامية.

---

[1] مصطفى حجازي، **إعداد الطالب الجامعي من أجل شراكة عالمية مستقبلية**، مرجع سابق، ص 475.

[2] مصطفى حجازي، **إعداد الطالب الجامعي من أجل شراكة عالمية مستقبلية**، مرجع سابق، ص ص 474 – 476 .

1/ التطور العلمي والتكنولوجي

التحول من مجرد كوننا رواة لتاريخ العلم وإنجازاته إلى صناعة العلم والابتكار والإبداع فيه. وهذا يتطلب التحول النوعي من تربية التبعية والتلقين، وعقلية التكرار وإعادة الإنتاج، إلى تربية الإبداع، ومحو الأمية الإبداعية كشرط لازم لولوج حلبة التنافس الإبداعي في الحال والاستقبال ؛ فالمبدعون وحدهم هم الذين يصنعون الحاضر والمستقبل، ثم تقديم الدراسات المستقبلية.

فمن المنظور المعلوماتي .كما يقول نبيل على إنه إنه " يصعب تصور إمكان لحاقنا، بعصر المعلومات، عصر اقتصاد المعرفة وانفجارها، دون ترسيخ العلم في وجدان الإنسان العربي وعقله بلغته الأم [1].

السيطرة على تكنولوجيا المعلومات تشكل أبرز مقومات بناء الاقتدار المعرفي لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين. وهذه السيطرة لا تعني مجرد تشغيل الآلات التكنولوجية بل الوصول إلى قلبها، ومعرفة منطق بنائها، والوصول إلى إنتاجها. وهذا يعنى التمكن من الفكر التكنولوجي، والقدرة على تحويل المعرفة العلمية المتقدمة إلى تكنولوجيا[2]، كما سبق القول.

---

[1] نبيل علي، **اللغة العربية والحاسوب**، دار تعريب للتشر، 1988، ص 18.

[2] حمدى أبو النجا، **الثقافة المناسبة والتنمية العربية**، مجلة المستقبل العربي، عدد 175، بيروت، 1993، ص 33.

إذا كان يجب الوصول إلى المرحلة التي تمكننا من الاختيار من بين البدائل التكنولوجية المطروحة، فلا نختار إلا ما يلبي المطالب الاجتماعية الحقيقية، ولا يجور على المطالب الإنسانية، أو يحط من قيمة الإنسان في سبيل مزيد من المادة، أو مزيد من التكنولوجيا. وتجدر الإشارة إلى ما تتيحه تكنولوجيا المعلومات حاليا من بدائل وإمكانيات تجعل "الخيار التكنولوجي" مهمة ممكنة، بل واجبة في نفس الوقت .

2- الإبداع الحضاري

تؤكد عملية رصد سريعة للحراك الثقافي العالميّ أنّ دولاً كثيرة وضعت خططًا غايتها الحدُّ من زحف العولمة على التراث القوميّ والحضاريّ والفكريّ والثقافيّ، فكان العمل على تعزيز فاعلية التراث وعلى حماية دور اللغة القوميّة بوصفها المحرّض على التفكير السليم الضامن لخصائص الإبداع الحقيقيّ، وعلى حفظ مقومات الهوية القوميّة وخصائصها الذاتية والمعنويّة.

مما لا شكّ فيه أنّ للعولمة إيجابيات، وأنّ شعوب العالم تستفيد منها وتتواصل بفضل نعمها، ولكنّ هذه الإيجابيات لم تلغِ الأهداف السلبيّة التي تشكّل المقصد والغاية والهدف. فكان من نتائجها استهداف الثقافة العربيّة ومحاصرتها بأنساق جاهزة مستوردة باسم العالمية والحضارة الكونيّة، فأساءت هذه الأنساق المسبقة الصنع إلى الثقافة العربيّة المنتجة بلغة عربيّة قوميّة صارت غريبة عن أبنائها. وبغربة الإنسان العربيّ عن لغته القوميّة تزداد الهوة بين الفرد وانتمائه القوميّ وربّما يتشوّه البعد الحضاريّ للهوية العربيّة.

يرى الباحثون أنّ العولمة، وفق ما يروّج لها إعلاميًّا، شكلٌ من أشكال التدويل الهادف إلى الاحتواء الشموليّ وإخضاع الدول إلى نظام عالميّ واحد، فيتحقّق الانتشار والتمدّد والانفتاح والدعوة إلى تبادل معرفي على الصعيد العالميّ، وهذا الانتشار والاحتواء يعكسه واقعٌ عربيّ يجسّد الشكل الأكثر تعبيرًا عن أشكال الهيمنة والسيطرة على مظاهر الحياة المعاصرة، فالمجتمعات العربيّة تخضع، بشكل غير مباشر، لاستعمار اجتماعيّ وفكريّ وثقافيّ، وللاستبداد الروحيّ، وهذا الاستبداد ظاهرٌ في سلطة العولمة على الحياة اليوميّة من خلال تكنولوجيا تغتال الوقت والتفكير، وتلغي الخصوصيّة، وتحرّض على تواصل سطحيّ قلّما تكون له نتائج إيجابيّة.

حظ العرب من التكنولوجيا الحديثة متوقف على الشكل والظاهر، ولا دور لهم في تفعيل أيّ تواصل معرفيّ، فالمجتمع العربيّ مجتمع يستهلك أدوات التكنولوجيا، ولا يسعى إلى التشجيع على الإبداع والابتكار، وربّما مارست سلطاته القمع وفرضت على الأفراد نسقًا فكريًّا مسبق الصنع. وهذا ما تؤكّده توصيفات المناهج في المدارس والمعاهد والجامعات التي وصفت بالحديثة. فما الذي أضافته هذه المناهج لتتلاقى مع روح المناهج غير العربيّة، وذلك إذا استثنينا الأسماء والمصطلحات الخالية من المفاهيم الأساس، لأنّ التحديث كان تغييرًا في الشكل مع الإساءة إلى الجوهر المعرفيّ.

تهدف مخططات العولمة، إذًن، إلى السيطرة والهيمنة وسيادة نموذج واحد صاغته الدول الأقوى اقتصاديًّا وعسكريًّا وتكنولوجيًّا بما يتوافق وطموحاتها الاستعماريّة الجديدة، ويحقّق طموحاتها الثقافيّة الهادفة إلى سيادة ثقافة واحدة، وإلى تبعية في أساليب التفكير وأنماط السلوك والتعامل، وفي المفاهيم الاجتماعيّة والسياسيّة وأشكال التذوق الفنيّ

وكذلك في أساليب التعليم والتربيّة والنظرة إلى الحياة والكون. فلا حقيقة إلاّ مايراه الآخر القويّ حقيقة، ولا قيمة لمنتج فكريّ لايوحي بمحاباة وتبعية تتناقضان والأعراف والقيم الموروثة المتعارف عليها في المجتمعات المنتسبة إلى إرث معرفيّ وثقافيّ وعلميّ وحضاريّ، وهذه الأهداف والغايات يعكسها واقع عربيّ يعيش حالة من الضياع والتبعيّة.

للعولمة أهدافًا اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة، وأنّ ناتج الأهداف الثقافيّة أكثر ضررًا على حياة الأمم، وهذا ما ظهر في سعي العولمة إلى نشر مصطلحات جديدة ومفاهيم تنقض الأصول المرتبطة بحياة الأمم وبشخصيتها المعنويّة وهويتها، وإلى ابتكار أساليب جديدة تؤدي إلى إلغاء الخصوصيّة القوميّة وإلى خلق قطيعة بين الشعوب وتراثها.

إنّ تشويه روح التراث ينتج واقعًا جديدًا لا علاقة له بالأصل، وهذا ما تؤكده قراءة دقيقة لمعنى المصطلح في أصل الوضع اللغويّ، لأنّ مصطلح التراث، وفق ما يرى اللغويون، يدلّ على الموروث الماديّ والاجتماعيّ والثقافيّ، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغويّ وغير اللغويّ الذي وصل من الماضي البعيد والقريب، وهذا التراث يفيض بالقيم الاجتماعيّة والإنسانيّة والحضاريّة التي تخبر عن كينونة الأمم، وتكشف حضورها القيمي، لكون تراث الأمم هو مجمل ما بقي حيًّا من تاريخها المادي والمعنويّ، والحياة لا تكون إلاّ للعناصر القويّة القابلة للديمومة والاستمرار والتفاعل.

تركّز أهداف العولمة على تشويه العلاقة بالتراث، لأنّ التراث هو ذاكرة الأمّة التاريخيّة والثقافيّة والعلميّة والفنيّة، وهذه الذاكرة تصنعها الأجيال وفق ما تؤمن به من قيم وعادات وتقاليد وتصوّرات ورؤى يؤرخ بها لنبض شعوب حيّة تجعل من تراثها هويّة ثقافيّة

تتمايز بثقل نوعيّ، وهذا الثقل النوعي يمنح الأمم وجودها وثباتها ويحميها من التحوّل إلى ورقة تقذف بها المؤثرات الخارجيّة إلى حيث شاءت.

يأخذ مفهوم التراث مكانه المميز في نسق المفاهيم التي ترتبط بحياة الناس وتاريخهم ومؤثرات وجودهم، ويشكل هذا المفهوم عاملاً رئيسًا في الحفاظ على الهوية الثقافية عند الشعوب والجماعات والأمم، ولذلك يسعى الباحثون والمفكرون العرب إلى تكريس التراث والموروث الشعبي قضيّة قوميّة تتقاطع مع القضايا القوميّة، فشهدت الساحات الثقافيّة والأدبيّة والفكريّة فيضًا من الدراسات التي أظهر بعضُها القبول والتبعيّة، وأظهر بعضها الآخر الرفض والدعوة إلى محاربة مظاهر العولمة.

يرتبط تفعيل الثقافة العربيّة بالدعوة إلى تحفيز الوسط المخبريّ للتجربة الإبداعية هذه التجربة الممهورة بالمنهجية العقلية وبالتخطيط العلميّ وبالحركة والصيرورة، وبتفعيل دور التراث من أجل خلق نهضة ثقافية أدواتها لغة عربيّة تحرّض على تعزيز هوية الانتماء إلى فضاء قوميّ له وجوده الذاتي المستقل ، من جهة، ويتكامل مع فضاءات إنسانيّة، من جهة ثانية، من دون أن يخسر شخصيته المعنوية.

تظهر الدراسات أنّ لكلّ أمّة تراثًا يختزل تجاربها وحراكها وتصوّراتها وأحلامها ورؤاها ومنتجاتها وفنونها، وهذا ما يشير إليه مصطلح التراث، في أصل الوضع والتداول، فالكلمة تدلّ على الميراث الماديّ والمعنويّ، والميراث الماديّ قابل للزوال، أمّا المعنويّ فهو الروح النابضة في وجدان الأمة، وهو الكمون المحرّض على الخلق والتجديد لكونه يحضن مكوّنات ثقافيّة ومعرفيّة وتاريخيّة يتوارثها أبناء المجتمع ويبقون قيمها ومقوماتها فاعلة في حاضر يستولد من هذا التراث تراثًا جديدًا قابلاً للتوليد، فالتراث، إذًا طاقة توليد تحرّض

الأجيال المؤمنة بانتمائها على ابتكار أنساق فكريّة أكثر جدة وتعبيرًا عن حركيّة الحياة، وهذه الطاقة أفاد منها الفكر الأوربيّ الذي يجعل من تراثه ركيزة ينطلق منها نحو التطوّر والتحدبث. ولذلك تسعى الأمم الحديثة، باسم العولمة والحداثة إلى ربط حضورها التاريخيّ بتراث قوامه معارف وثقافات ومبادئ وأصول وعادات وتقاليد ولّدتها استجابة الأفراد إلى مفاهيم استقرت في وجدان الجماعة، وحرّضت على توثيق الروابط والعلاقات بين الأفراد والوحدات الاجتماعية، فجاء التراث تعبيرًا صادقًا عن روح الشخصية الجماعية المتنوعة في انتماءاتها[1].مما لاشكّ فيه أنّ التراث العربيّ يختزن طاقة لو فعلت في نفوس الأجيال المتعاقبة لغيّرت وجه المنطقة، ولكنّ المشكلة تكمن في هذه القطيعة بين التراث والأجيال المتعاقبة، ولا قيامة حقيقيّة إلاّ بوعي عربيّ يعزز الانتماء والاعتزاز بالتراث العربيّ القابل للتفاعل والتوليد، فالمسؤوليّة القوميّة تقتضي تعزيز الشعور بالانتماء، وتدعيم مقومّات التراث الثقافيّ الذي يحفظ الهوية ويختزل العادات والتقاليد، وينطق بدور التراث في تشكيل حركيّة الفكر الإنسانيّ الذي يشكّل مرجعيّة أساسًا للابتكار والتجديد والتطوير والتحديث، فلا أمام من دون وراء ثابت وأصيل قابل للتفاعل والتوليد.

استنادًا إلى ما سبق يمكن القول أنّ الفعل الحداثيّ هو القادر، وحده، على إنتاج تراث جديد يرتبط بالتراث بقدر ما يتجاوزه، وهذا التجاوز يحمل جينات الماضي ويرسم الحاضر ويستشرف المستقبل بلغة عربيّة قادرة على التصوير واحتضان فيض الفكر

[1] مها خيربك ناصر، **تحديّات العولمة وعلاقتها بالتراث والحداثة**، مقال، المجلة الإلكترونية، تحولات نحو مجتمع جديد، http://www.tahawolat.net/MagazineArticle ، تاريخ زيارة الموقع 2015/07/03.

الإبداعيّ، من دون وكان التراث الشعبيّ الأكثر ارتباطًا بوجدان الأفراد والجماعات.همال للتراث الشعبيّ الذي يعكس وجدان المجتمعات وقيمها الدينيّة والسياسيّة والأخرقيّة والإجتماعيّة، وهو الأكثر تعبيرًا عن رؤية الأفراد والجماعات للعلاقات وللأحداث وللكون والحياة.

تكشف قراءة التراث الشعبي عن عناوين ومفاتيح ودلالات ورموز تساعد المتلقي على اكتساب المفاهيم والأعراف التي تخوّله الانتماء إلى مجموعة بشريّة يشاركها في صناعة الحاضر، وفي التأسيس للمستقبل، كون هذا التراث الشعبيّ أنتجته تعاليم وأفكار ومبادئ فرضتها قيم الجماعات، فأرخّوا بها تجاربهم وأساليب تفكيرهم وأنساق نظرتهم إلى طبيعة العلاقات الإنسانيّة عبر حركية كونيّة موسومة بالصيرورة والتحول.

تمايز نتاج التجارب الإنسانيّة بفاعلية الوسط المحفّز، وبتفاوت طاقات العناصر، وبتباين إمكانيات الإدراك والفهم؛ ولكن مهما تنوعت قيمة المنتج وتباينت مستويات الإدراك والفهم بين أبناء البشر، فلا بدّ من وجود نقطة مركزيّة تتلاقى عندها رؤية الإنسان للأشياء والحياة والكون، وتختزل، في الوقت عينه، تطلعات النفس البشرية وآمالها وآلامها وأحلامها غير المتناقضة في طبيعة الجوهر، وذلك في المجتمعات البشريّة جميعها.

خاتمة

العولمة كظاهرة قديمة ولكن ظهورها كمصطلح حديث، لها جانبها الإيجابي كما لها جانبها السلبي، تهدف إلى بناء مجتمع واحد يسهل قيادته من خلال الشركات الاقتصادية والثقافة الموجهة التي ترغب في تذويب الخصوصيات الثقافية من خلال طروحاتها الداعية إلى إقامة اقتصاد عالمي واحد، وإعلام موحد، وعلوم وفكر وثقافة مشتركة...، وهذه الحقيقة تنبئ بأن نظام المؤسسات المعولمة سيقلص فاعلية التجربة الذاتية، فتتراجع عن الخوض في ميادين الأداء الفعلي، لأن التحكم الحقيقي في مصير الحركة العالمية الجديدة حكر على أشخاص ودول وأمم يقبضون على العالم اقتصاديا وسياسيا وإعلاميا، ومن ثم ثقافيا وفكريا. إنهم أسياد العالم من دون منازع، فحيث توجد القوة المادية توجد السلطة، ورأس المال هو الحاكم الرئيس في واقعنا المعاصر.

كما تنبئ العولمة أيضا، بتحكم قلة في احتياجات شعوب الالم، وبانتقال السلطة اليهم سوف يستخدمون قدراتهم لتحويل الالم إلى أشكال اجتماعية، وسياسية وفكرية وثقافية تتوافق مع متطلعاتهم، ومعها سوف تتوقف المجتمعات في سكونية حركية تلهث وراء لقمة العيش، وتختزل طموحاتهافي المحافظة على المكان، الذي صار الحصول عليه هدفا وجوديا، وبانعدام الحركة الهادفة تتقزم فاعلية أبناء المجتمعات في استقرار سكوني سلبي، وتتوقف رغبات الأفراد في السعي إلى التحسين والتطوير وتنقطع صلتهم بالماضي.

إن الشعور بالخوف، من فقدان المكان يلغي فاعلية الزمن، وينحصر وجود الانسان في مكان واحد، وفي زمن متوقف عند عند لحظة قلق تحوله إلى متلق سلبي مقيد بقبول سطحي يضمن له السلامة الآنية، وبالقبول المفرغ من المضمون يتخلى عن مقومات وجوده، وعن هويته الذاتية، ويصير رقما سقط من حسابات رؤوس الأموال بعد

أن أهمل وجوده تحت تراكمات مادية تصخرت معها الأحاسيس والمشاعر، وأدت إلى اغتيال الفكر، وإبادة صرح الثقافة واغتيال فاعلية التراث.

يعتقد البعض أن العولمة تحاول محاصرة الثقافة وقنص تراث الأمم، وإلغاء الفعل الثقافي والفكري، واغتيال العدل الحداثي الإبداعي، ومن ثم فرض أحادية ثقافية تلغي الخصوصيات الثقافية . والظاهرة الأكثر خطورة هي سيطرة الثقافة، وفرض الهيمنة غير المرئية على العقل الانساني، والمجتمعات لا تموت ولا تتلاشى إلا بخسارة قدرات أبنائها الفكرية، لأن تفريغ الأمة من مقومات وجودها الثقافي، يفقدها مبرر وجودها ويؤدي إلى خسارة هويتها الذاتية، لتتحول إلى مجهول تابع في المعادلة الجديدة. لكن الواقع يثبت العولمة هي نتاج التقدم العلمي والتكنولوجي، خاصة في مجال المواصلات والاتصالات والنشر والثورة المعلوماتية، وتداخل مصالح الشعوب وتشابكها واختلاطها مع بعضها البعض. وهي قدر محتوم لا يمكن مقاومتها. والمطلوب من الشعوب العربية والإسلامية، بدلاً من مقاومة العولمة، الاندماج فيها والعمل على الاستفادة منها إلى أقصى حد وذلك لمواكبة التطور بالتكيف معها وتطوير ثقافاتها ومواقفها السياسية والاجتماعية وجعلها تتلاءم وتنسجم مع ما يجري في العالم من تطور، لكي تتخلص من تأخرها وتخلفها، ولا تبقى خارج السرب. والعولمة ليست ضد التعددية والثقافات الوطنية ومصالح الشعوب كما يعتقد البعض من المنتمين للمواقف المتطرفة، بل كل ما هو مطلوب التخلي عن معاداة ثقافات الآخرين والقبول بالتعايش والتكيف مع مختلف الثقافات الأخرى بروح من التسامح والعالمية، بدلاً من روح التعالي والعنجهية وإلغاء الآخر، وتساهم الثقافة العربية والإسلامية في المشروع الإنساني المشترك بدلاً من العزف على الوتر الانغلاقي.

هذا لا يعني أن كل ما تحمله العولمة مرحب به، بل من المؤكد أنها تحمل ثقافة وفكر يختلف في الأصل عن انتمائنا الحضاري والثقافي للأمة العربية والاسلامية، يمكن أن يهدد هويتنا.

ضمن هذه المعادلة الصعبة تبقى الثقافة العربية، قادرة على الوقوف في وجه مخططات العولمة السلبية، فالتحصين الثقافي الذاتي لكل أمة ضرورة حتمية يضمن بقاءها بفضل قدراتها الابداعية. والتحصين الثقافي مرتبط بقوة الهوية الثقافية، والفاعلية لا تنفصل عن الأصالة والقدرة على التطور والارتقاء. والأصالة تتجدد بحداثة يدعو بعضهم إلى نفيها وهم يجهلون تاريخ ميلادها الفعلي.

الثقافة العربية تواجه اليوم تحديات العولمة ككل الثقافات، ومن منطلق أنها ثقافة تملك من الامكانات وعوامل القوة ما يجعلها قادرة على أن تخوض تجربة العولمة دون أن تخشى على هويتها من الاقتلاع والتمزق، ودون تعرض أبنائها لخطر التبعية الثقافية.

الثقافة العربية اليوم تواجه سلبيات العولمة خاصة في بعدها الثقافي، ونود هنا أن نفرق بين مواجهة الهيمنة والاختراق الثقافي، وبين مجابهة العولمة كواقع عصري، ففي الوقت الذي تحاول فيه الثقافات المختلفة أن تجد الآليات والوسائل التي تمكنها من مواجهة ما يهدد هويتها وخصوصيتها، يبقى الصراع مستمرا بين العولمة والثقافة.

وتعتبر العولمة من أخطر القضايا المطروحة أمام الوعي العربي المعاصر، سواءً على المستوى الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي، وهذا ما تؤكده الكثير من المؤتمرات التي عُقدت مؤخرا لمناقشة تداعياتها وأبعادها . حيث إن المجتمع العربي يحتاج في ظل العولمة إلى وعي وإرادة فاعلة ومستقلة لبناء مشروعه الحضاري، المتميزثقافيًا

واجتماعياً وسياسياً، من خلال المشاركًة الفعليًّة في المجهود الحضاري الإنساني وطرح الافكار التي تحافظ على هوية المجتمع بكل صفاته وانتماءاته .

وخلاصة القول، إن للعولمة تأثيراً واضحاً وجلياً، وأهم الجوانب التي تؤثر فيها العولمة الجوانب المتصلة بانفتاح الثقافات على بعضها البعض، لأن الثقافة الأقوى تسيطر على بقية الثقافات، وكذلك هناك تحديات اقتصادية وسياسية سوف تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على القرار السياسي، يكون لها التأثير القوي على الثقافة العربية.

ونود هنا أن نؤكد على ضرورة الأخذ بما هو إيجابي في ألعولمة ولا خوف على هويتنا من ذلك، لأن ثقافتنا قادرة على المحافظة على ثوابتها وخصوصيتها، والمطلوب في عصر العولمة أن لا نتطرف سواء نحو الانغلاق أو نحو التعلق بكل ما هو جديد، بل الواجب هو الانخراط في عصر العلم والتقنية كفاعلين مساهمين، مع حماية خصوصيتنا الثقافية من الاختراق، ولا بد من الوقوف على الأسباب التي تجعلنا عرضة للوقوع في فخ العولمة الثقافية حتى نعمل على معالجتها. ومما لا شك فيه أن العولمة الثقافية بكافة أشكالها قد سببت ردة فعل متشددة عند الشعوب التي تشعر بضرورة الحفاظ على الذات والتراث والعودة إلى الأصول.

ففي مقابل هجمة العولمة تقوم الحركات المدافعة عن الهوية والخصوصية الثقافية، بعملية تحصين ذاتية عن طريق تنمية قواها واختيار التقانة الملائمة لمواردها وحاجاتها، ويتخذ الصراع منحى قوميا حينا، ودينيا أحيانا، واقتصاديا في كل حين.

يبدو أن الثقافة العربية تتجه تحت ضغط العولمة الزاحفة إلى التمسك أكثر من أي وقت مضى بخصوصيتها الثقافية وتقاليدها وأصولها.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية

المصادر والمراجع باللغة العربية

1. إياد شاكر البكري، **عام 2000: حرب المحطات الفضائية**، دار الشروق، عمان، ط1، 1999.

2. أحمد مجدي حجازي، **العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية**، وهو بحث ألقي في المؤتمر العلمي الرابع، الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية، المنعقد بجامعة فيلادلفيا في الأردن في مايو 1998م.

3. السيد ولد أباه، **اتجاهات العولمة - إشكالات الألفية الجديدة**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1 ،2001 .

4. إبراهيم أبراش، **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، دار بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1999.

5. إبراهيم أبراش، **تاريخ الفكر السياسي**، دار بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1999.

6. السيد يسين ،**العالمية والعولمة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2002.

7. أسامة أمين الخولي، **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ديسمبر 1998م .

8. ألفن توفلر، **تحول السلطة بين العنف والثروة و المعرفة** ، ومراجعة، فتحي بن شتوان ونبيل عثمان، مكتبة طرابلس العلمية، ليبيا ، ط 2،1997 .

9. السيد ياسين، **حوار الحضارات: نحو خطة قومية للحوار مع الثقافات الأخرى**، في كتاب **الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي**، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1994.

10. السيد ياسين، **نحو خطة قومية للحوار مع الثقافات الأخرى**، المنظمة العربية للتربية والعلوم، تونس، 1994.

11. السيد ياسين،"**في مفهوم العولمة**،"**العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، بيروت.

12. السيد ولد أباه، **اتجاهات العولمة، إشكالية الألفية الجديدة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001.

13. الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، سلسلة فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهدى، الطبعة الأولى، بغداد، العراق، 2006 م.

14. الطاهر لبيب، **سوسيولوجية الثقافة**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1987.

15. أنيس فتحى، **الإمارات إلى أين ..استشراف التحديات والمخاطر على مدى 25 عاماً**، أبو ظبى، مركز الإمارات للدراسات والإعلام، 2005.

16. عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، طبعة 1967 م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

17. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية**، تونس، دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1997.

18. أحمد المهدي عبد الحليم، **شتات مجتمعات في التربية والتنمية**، دار الفكر العربي، القاهرة.

19. احمد مجدي محمود حجازي، **الثقافة العربية في زمن العولمة**، دار قباء 2001.

20. المرسي كمال الدين عبد الغني، **العلمانية والعولمة والأزهر**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999م.

21. أحمد كمال أبوالمجد، **العولمة والهوية ودور الأديان**،" **في العولمة والهوية**، الرباط، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، 1997م.

22. إدوارد سعيد، **الاستشراق**، ترجمة كمال أبوديب، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984م.

23. بول هيرست، وجراهام طوبسون، **ما العولمة** ؟ ترجمة: فالح عبد الجبار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001م،.

24. باسم علي خريسان، **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى، 2001.

25. برهان غليون، **اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990 م .

26. برهان غليون، وأمين سمير، **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، دار الفكر، دمشق، 1999.

27. بول سالم، **الولايات المتحدة والعولمة، في العرب والعولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م.

28. تركي الحمد، **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.

29. جيرالد بوكسبرغر، هارالد كليمنتا، **الكذبات العشر للعولمة**، ترجمة: عدنان سليمان، دار الرضا للنشر، دمشق، 1999م.

30. حسن نافعة، **دور الأمم المتحدة في تحقيق السلم والأمن الدوليين في ظل التحولات الراهنة**.

31. جميل مطر وعلي الدين هلال، **الإصلاح بعد نصف قرن**، وجهة نظر عربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

32. حسن حنفي، والعظم، صادق جلال، 1999، **ما العولمة** ؟ دار الفكر، دمشق.

33. حازم، الببلاوي، **نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي** ؟، القاهرة، دار الشروق، 1999م.

34. الإمام الخامنئي، **الغزو الثقافي .. المقدمات والخلفيات التاريخية**، مؤسسة دار الولاية، بيروت.

35. دوني كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة، قاسم المقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، سنة 2002.

36. رشدي أحمد طعيمة، **الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس**، القاهرة، دار الفكر العربي .

37. راسل جاكوبي، **نهاية اليو توبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة**، ترجمة فاروق عبد القادر، الصادر عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية.

38. زكي ميلاد، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة:** دراسة تحليلية ونقدية، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1998م.

39. سمير أمين، **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، دار الفكر المعاصر، القاهرة، 1421هـ، 2000 م.

40. سهير لطفي، محررة، **ندوة الهوية والتراث**، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق، بيروت، دار الكلمة، 1984 م.

41. سعيد إسماعيل علي، **ثقافة البعد الواحد** ، القاهرة، عالم الكتب، 2003.

42. صالح الرقب، **أتعرف على العولمة**، دار البحار للطباعة والنشر.

43. صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب وتقديم، صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م.

44. صالح، السنوسي، 2000، **العرب من الحداثة إلى العولمة**، دار المستقبل العربي، بيروت.

45. طلال، عتريسي، **العرب والعولمة**، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1998.

46. ليفي برول، **العقلية البدائية**، ترجمة محمود القصاص، مكتبة مصر، د.ت.

47. عبد السلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، (كتاب سطور) ، القاهرة، 1988.

48. عبد العزيز بن عثمان التويجري، **حوار من اجل التعايش**؛ دار الشروق القاهرة، 1998. طلال، عتريسي، **العرب والعولمة**،"**بحوث ومناقشات الندوة الفكرية**" مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1998.

49. عبد العزيز بن عثمان التويجري، **تأملات في قضايا العولمة**، 2002 م، دار الشروق، القاهرة.

50. عبد العزيز بن عثمان التو يجري، **العالم الإسلامي في عصر العولمة** ، دار الشروق، 2000.

51. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، **الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي**، في العولمة والهوية، الرباط، مطبوعات أكاديمية ، د.ت.

52. عزيز العظمة، **الشرق أوسطية والتكامل الثقافي للعولمة المستأنفة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1997.

53. عبد الله عثمان القوم، عبد الرؤوف محمد آدم، **العولمة:** دراسة تحليلية نقدية، دار الوراق، لندن، 1999م.

54. عطا خضر أبو كف ومأمون صالح الساكت، **الثقافة الإسلامية**، دار صفا، عمّان، 2002.عن: الزمخشري، **أسس البلاغة**، مادة (ث ق ف). ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس، مادة ثقف.

55. عزمي طه السيد، **الثقافة والثقافة الإسلامية**، منشورات أمانة عمّان الكبرى، 2007.

56. عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.

57. عباس محمود العقاد، **دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية**، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت.

58. عبد الرشيد عبد الحافظ، **الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها**، مكتبه مد بولي، 2005.

59. عبدالهادي بوطالب، لابد من تكامل العولمة والهوية، في العولمة والهوية، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.

60. عبدالسلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة، القاهرة، د.ن، كتاب سطور (6)، 1999م.

61. عبدالإله بلقزيز، **العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟**، في العرب والعولمة بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م.

62. عبدالكريم غلاب، **ندوة العولمة والهوية**، الرياط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.

63. غسان العزي، **سياسة القوة**، مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق, بيروت 2000.

64. فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط 01، د.ت.

65. فلاح كاظم، المحنه، **العولمة والجدل الدائر حولها**، عمان – الأردن، الوراق للنشر،2002م.

66. فهمية شرف الدين، **تعقيب، في العرب والعولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، د.ت.

67. محمد علي حوات، **العرب والعولمة.. شجون الحاضر وغموض المستقبل**، مكتبة مدبولي، القاهرة،2002.

68. محمد عابد الجابري، **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998م.

69. **محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، سنة 1994.**

70. محمد عابد، الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م، بيروت.

71. محمد عابد الجابري، **مسألة الهوية – العروبة والإسلام والغرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، بيروت.

72. محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية، تقييم نقدي، في العرب والعولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م.

73. محمد سعيد أبو زعرور، **العولمة**، دار البيارق– عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1418هـ– 1998م.

74. محمد إبراهيم المبروك وآخرون، **الإسلام والعولمة**، الدار القومية العربية، القاهرة 1999م.

75. محسن أحمد الخضيري، **العولمة الاجتياحية**، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2001م.

76. محمد حسنين هيكل، **باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين**، دار الشروق، القاهرة، 1995 .

77. محمد سعيد بن سهو أبو عزوز، **العولمة ماهيتها، نشأتها، أهدافها، الخيار البديل**، عمان، دار البيارق، 1998.

78. مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عمر سقادي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1969، بيروت.

79. **مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، الطبعة الرابعة، 2000، دمشق، سوريا، سنة.**

80. محمود الخالدي، **الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية**، ج1، ط1، دارالفكر للنشروالتوزيع، عمان، 1983م.

81. محي محمد مسعد، **ظاهرة العولمة : الأوهام والحقائق**، الطبعة الأولى، مكتبة الإشعاع، 1999م، مصر.

82. محمد، الأطرش، **العرب والعولمة، ما العمل؟ في العرب والعولمة**، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2000م .

83. محمود أمين العالم، **الفكر العربي بين الخصوصية والكونية**، دار المستقبل العربي، 1996، القاهرة.

84. محمد شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، 1424 ، الرياض.

85. محمد الحبيب بلخوجة، "**إيجابيات العولمة وسلبياتها**،" **ندوة العولمة والهوية**، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.

86. نعيمة شومان، **العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة** – ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1418هـ- 1998م .

87. نايف علي عبيد، العولمة: مشاهدة وتساؤلات،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2001م .

88. ناهد طلاس العجَّة، العولمة: محاولة في فهمها وتجسيدها، ترجمة: هشام حداد، دار طلاس، دمشق، 1999م.

89. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، دار تعريب للتشر، 1988.

90. نبيل على، **صورة الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في الإنترنت**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999.

91. هامن نحليون وسمير أمين، **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، بيروت دار الفكر، 1999.

92. هيغل، علم ظهور العقل، ترجمة مصطفى صفوان، الطليعة، بيروت ،الطبعة الثالثة، 2001

93. يحيى اليحياوي، العولمة: أية عولمة؟، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.

94. الشريف الجرجاني، **التعريفات**، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م، ص 314.

95. محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص 6.

96. محمود سمير المنير، **العولمة وعالم بلا هوية**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص 146.

97. **علي وطفة، تصدعات الهوية وهزائمها، قراءة في جدل الهوية والعولمة، مقال**، جريدة الاسبوع الأدبي العدد 820، تاريخ 2002/8/17.

المراجع باللغة الأجنبية

المراجع باللغة الأجنبية

1. Abramson Paul & Ingel Hart, 1995, **Values Change Change in global perspective**, -30 University of Michigan Press.
2. Alvin Toffler ,**Les nouveaux pouvoirs :savoir, richesse et violence a la veille du 21 eme siècle** – Fayard 1991.
3. Bernardo M . Ferdma , **Literacy and culture Identity, in : Masahiro Minami & Bruce** P . Kennedy (Editors) "Language Issues in Literacy and 4.
4. Bilingual Multicultural Education **,** Harvard Educational Review , (U S A) , 1998 .
5. Christain Huitema, **Et dieu créa l'internet,** EYROLLES , PARIS ,1995.
6. DENYS Cuche,la notion de culture dans les sciences sociales, édition Casbah, Alger 1998, P.7.
7. Encyclopédie Microsoft Encarta 98 c 1993-1997. Microsoft Corporation
8. feather , n . T : " values, national identification and favoritism towards the in – group ", **British journal of social psychology** , no 33, 1994, p 467
9. Gerard O'Donnell,Mastering Sociology, 2nd edt., Macmillan Press Ltd, London, 1988.
10. Gustave Massiah, **Division international du travail et alliance**, in Samir Amine et Autres, **la crise de l'impérialisme**, éd. Minuit, Paris 1975.
11. Hegel, **Phénoménologie de l'esprit**, Paris Aubier Montaigne 1947, Préface
12. Howkins , Joyce M . & Allen , Rubert , the oxford Encyclopedia , **English Dictionary** , oxford ,ALLEN CLAR EUDON PRESS , 1991 , P 707
13. Jean-François Lyotard , **La Condition postmoderne,** Rapport sur le savoir 1979 Collection « Critique » Les Editions de Minuit, Paris.p.11

14. LEVI-STRAUSS Claude« **Race et culture** », *Revue internationale des sciences sociales*, n^0 4, 1971, p. 647-666.
15. Med nouiga, **la conduit par la qualité dans un contexte socioculturelle**, Essai de mondialisation systémique et application à l'entreprise marocain, thèse de doctorat en génie industrielle dirigé par: P- TRUCHOT ENSAM paris, 2003.
16. Marshall Mc Luhan and Quentin Fiore, War and Peace in the Global Village: An Inventory of Some of the Current Spastic Situations That Could Be Eliminated. By More feed forward, New York; 1969
17. Régis Debray**, cours de médiologie générale ,** Gallimard Paris 1991.
18. Stephan Dahl : **Communications and Culture Transformation** , available in : http:// www.Stephweb.com /capstone/1html2015/02/12 تاريخ زيارة الموقع
19. WEBSTER, new collegiate dictionary, 1991, P 521.

المجلات، الصحف والدوريات

المجلات، الصحف والدوريات

1. إبراهيم محمود، **العولمة، هل هي انفجار الهوية ؟** مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، بيروت، العدد،92 ، 1998.

2. إبراهيم ناصر الناصر، **العولمة : مقاومة واستثمار**، مجلة البيان، رجب 1420هـ، العدد 167، السنة 18.

3. أحمد ثابت، **العولمة والخيارات المستقلة**، مجلة المستقبل العربي، العدد 248، تشرين الأول / أكتوبر 1999م.

4. أحمد صدقي الدجاني، **مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة**، جريدة القدس، 2/6 /1998م.

5. أحمد حمد فرج، **عوامل القوة وآفاق المستقبل**، مجلة السياسة الدولية، العدد 111، 1993.

6. السيد ياسين، **أطروحات العولمة**، جريدة الاتحاد الإماراتية، العدد 8563، 1998.

7. السيد ياسين، **الكونية والمستقبلية** ، في أوراق ثقافية ، جريدة الاهرام، 94/1/10 مصر.

8. أحمد مجدي حجازي، **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية**، مجلة عالم الفكر، عدد 2، 1999م.

9. المنصف وناس، **مضامين العولمة الاتصالية والثقافة**، مجلة الإذاعات العربية، العدد، 2، 1998.

10. تيسير صبحي، **تساؤلات حول التفاعل الثقافي في القرية الإلكترونية**، مجلة فيلاديفيا الثقافية، الأردن، السنة الأولى،العدد 1، 1998.

11. جلال أمين، **العولمة والدولة**، مجلة المستقبل الغربي، عدد 228، لبنان، فبراير 1998م.

12. جمال الدين عطية، **العولمة**، مجلة المسلم المعاصر، العدد 90، السنة الثالثة والعشرون، رجب، شعبان، رمضان 1419هـ نوفمبر، ديسمبر 1999م.

13. جورج قرم، **مشكلة الهوية والانتماء القومي عند العرب**، مجلة العربي، ع 537، الكويت، وزارة الإعلام، أغسطس 2003.

14. حسن أوريد، **الإسلام والغرب والعولمة**، منشورات جريدة الزمن، الدار البيضاء، 1999م ص33.

15. حمدي حسن عبد الحميد المحروقي، **دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة علي الهوية الثقافية**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، ع 7، أكتوبر 2004، القاهرة، مركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس.

16. حازم الببلاوي، **النظام الاقتصادي الدولي المعاصر**، عالم المعرفة ص198-199 العدد 257.

17. حسن محمد طوالته، **العولمة جذورها، مضامينها أثارها رؤية قومية في العولمة**. مجلة دراسات دولية ع12/ ت/ 2001م .

18. حيدر إبراهيم، العولمة وجدل الهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر، العدد 2، 1999م.

19. حمدى أبو النجا، **الثقافة المناسبة والتنمية العربية**، في مجلة المستقبل العربي، عدد 175، بيروت، 1993.

20. خالد أبو الفتوح، **العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة**، مجلة البيان، ذو الحجة 1419هـ .

21. خلف الجراد، **العلاقة الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر**، المستقبل العربي، ع 175، 1993.

22. سالم توفيق النجفي، **مسألة الرأسمالية، رؤية للقرن الحادي والعشرين**، مجلة المستقبل العربي، العدد 238، 1998.

23. سالم، بول، **الولايات المتحدة والعولمة**، مجلة المستقبل العربي، العدد 20، 1998.

24. سليمان نجم خلف، **العولمة والهوية الثقافية**، تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، 16، عدد 61، 1998م، ص 90.

25. سعاد زاهر، **محاورة الراهن، جريدة الثورة، يومية سياسية، عدد 2013/11/25، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر . دمشق . سوريا.**

26. سعيد إسماعيل علي، **التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين،** المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان **اتجاهات التربية وتحديات المستقبل،** في الفترة 7 – 10 ديسمبر 1997.

27. سمير عبد الوهاب الخويت، **طفل واحد وثقافات متعددة، أثر وسائل الإعلام والعمالة الأجنبية علي ثقافة الطفل الخليجي** – دراسة تحليلية – ميدانية، مجلة التربية، مجلد 3، ع 1، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، يونيو 2000 .

28. سهيلة زين العابدين حماد، **المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة،** مجلة المنهل . الإصدار السنوي الخاص ،شوال، ذو القعدة 1420هـ يناير، فبراير 2000م.

29. صمويل هانتنغتون، **الغرب وصدام الحضارات،** جريدة أنوال المغربية، ترجمة محمد سعدي، عدد 10 يوليوز.

30. عبد القادر تومي، **العولمة فلسفتها، مظاهرها، تأثيراتها،** مجلة كنوز الحكمة، دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2009.

31. عبد الباسط عبد المعطى، **التبعية الثقافية فى الوطن العربى، فى الآليات والمجالات والتفسير،** مستقبل العالم الإسلامى، عدد 16 خريف 1995، ص 21–73.

32. عبد الرحمن يسري، **نحو سياسة اقتصادية موحدة للعالم الإسلامي في مواجهة العولمة**، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد 217، ربيع الآخر 1420هـ. يوليو 1999م.

33. عمرو الجو يلي، **العلاقات الدولية في عصر المعلومات**، مقدمة نظرية، مجلة السياسة الدولية، العدد 123، 1999.

34. عبد الله عبد الدائم، **في سبيل ثقافة عربية مستقبلية: العالم ومستقبل الثقافة العربية**، مجلة شؤون عربية، العدد 89، آذار 1998.

35. عبدالإله بلقزيز، **العولمة والهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربي، مارس 1998.

36. عبد الحليم إبراهيم العزمي، **العولمة بين سماحة الإسلام وهيمنة الغرب**، مقال في مجلة الإسلام وطن، العدد 138، يونيو 1998.

37. عبد الجليل الوالي، **العولمة بين الأخيار والرفض**، المستقبل العربي ع 1 سنة 2000 .

38. عبد الإله بلقريز، العولمة والمانعة دراسات في المسالة الثقافية المعروفة للمجتمع، سلسلة شهرية، ع 4 فبراير 1999 .

39. محمود فهمي حجازي، مجلة الهلال، عدد مارس 2001، القاهرة .

40. محمد عبد الشفيع عيسى، **التنمية وأوهام خمسة، مجلة السياسة الدولية**، العدد 133 ، 2002.

41. محمود محي الدين رشا عبد، **الإقليمية الجديدة والعمل العربي المشترك**، مجلة السياسة الدولية، العدد 131، 1998.

42. ممدوح محمود مصطفى، **مفهوم النظام الدولي بين العلمية والنمطية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، سلسلة دراسات إستراتيجية العدد 17، 1998 .

43. ممدوح محمود مصطفى، **مفهوم النظام الدولي بين العلمية والنمطية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، سلسلة دراسات إستراتيجية العدد 17، 1998.

44. محمد خالد، **موقع الوطن العربي ضمن تقسيم العمل الدولي**، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، 1983.

45. محمد نبيل نوفل، **رؤي المستقبل : المجتمع والتعليم في القرن الحادي والعشرين، المنظور العالمي والمنظور العربي**، المجلة العربية للتربية، المجلد 17، العدد 1، يونيو 1997.

46. محمد عمارة، **مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية**، سلسلة في التنوير الإسلامي ع 32 ، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.

47. محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001.

48. محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**، سلسلة " في التنوير الإسلامي، ع 32، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.

49. محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001.

50. محمد أحمد محمد إسماعيل، **برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية لمواجهة التحديثات الحضارية بمراكز إعلام محافظة قناة السويس**، مجلة كلية تربية عين شمس، ع 30، ج 3، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2006.

51. محمد عابد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربي، ع 228، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير 1998م.

52. محمد إبراهيم عيد، **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، خريف 2001.

53. محمد إبراهيم المنوفي وياسر مصطفي الجندي، **التربية وتنمية الهوية الثقافية في ضوء العولمة**، مجلة كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، ع 43، 2003.

54. محمد أحمد محمد إسماعيل، **برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية لمواجهة التحديثات الحضارية بمراكز إعلام محافظة قناة السويس**، مجلة كلية تربية عين شمس، ع 30، ج 3، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

55. محمد أحمد السامرائي، **العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي**، الفكر السياسي،عدد 14 .

56. محمد سعيد، تقرير عن الندوة الدولية، **إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق و الغرب**، مجلة المستقبل العربي، العدد، 233 ،1998، ص،57 .

57. مصطفى مجدي الجمال، **تأملات في إيديولوجيا التدخل الإنساني الدولي،** مجلة دراسات استراتيجية، العدد الثاني، 2001، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، جامعة دمشق .

58. محمد حسنين هيكل، **العرب علي أعتاب القرن، 21**، مجلة المستقبل العربي، ع 12، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 .

59. نبيل علي، **العقل العربي وسط إعصار المعلومات**، مجلة العربي، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 494، يناير 2000.

60. نيفين عبد الخالق، **فكر نتنياهو السياسي وأزمة السلام العربية– الاسرائيلية،** مجلة المستقبل العربي،العدد 238، 1998/12.

61. نور الدين زمام، **عولمة الثقافة** (المستحيل والممكن)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، 2001.

62. هانس بيتر مارتن هارالد شومان، **فخ العولمة**، ترجمة،عدنان عباس علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 238، 1998 .

63. هانس بيتر مارتين وهارالد شوما، **فخ العولمة**، الكويت، عالم المعرفة، عدد 238، 1998م.

64. ياسر عبد الجواد، **مقاربتان عربيتان للعوامة**، المستقبل العربي عدد 252 شباط 2000م.

المؤتمرات والندوات

المؤتمرات والندوات

1. أحمد صدقي الدجاني، **تأملات في العولمة والهوية، نحو تعاون حضاري في عصر العولمة**، في ندوة **العولمة والهوية**، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.
2. أحمد المهدي عبد الحليم، **تفعيل الجامعات العربية أداة لتأصيل هوية الأمة وتجديدها**، ندوة : **تفعيل التعليم العالي في خدمة المجتمع**، في الفترة 9– 10 افريل 2001م، المملكة المغربية،أغادير، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
3. احمد درويش، **تحديات الهوية العربية بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**، مؤتمر جامعة السلطان قابوس عن العولمة والثقافة، أكتوبر 1999 .
4. إسماعيل الفقي، **إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء (** دراسة امبريقية)، المؤتمر القومي السنوي الحادي والعشرون للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس بعنوان " العولمة ومناهج التعليم " ديسمبر 1999 .
5. السيد عبد العزيز البهواشي، **التعليم وإشكالية الهوية الثقافية في ظل العولمة**، المؤتمر السنوي الثامن للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية بالاشتراك

مع مركز تطوير التعليم الجامعي، **التربية والتعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة**، في الفترة 27– 29 يناير 2000م، القاهرة، دار الفكر العربي.

6. حسن حنفي، **الثاقفة العربية بين العولمة والخصوصية**، في ندوة **العولمة والهوية الثقافية**، أوراق المؤتمر العالمي الرابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلاديفيا، عمان، 1999م .

7. سعيد إسماعيل علي، **التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين**، المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان " اتجاهات التربية وتحديات المستقبل، في الفترة 7 – 10 ديسمبر 1997.

8. صالح أبو ضلع، **العولمة والهوية**، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 5– 04/6/ 1998م، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م.

9. عبد الله تركماني، منتدى الفكر المعاصر، ورقة حول، **دور المؤسسات العلمية والمجتمع المدني في الحوار المتعدد الثقافات والتبادل المعرفي الأورو– مغاربي**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس، في الفترة ما بين 6 – 8 ديسمبر 2007.

10. عبد الودود مكروم، **قيم هوية وثقافة الإنماء مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية**، المؤتمر العلمي العشرون، مناهج التعليم والهوية الثقافية، "المنعقد في الفترة 30 – 31 يوليو2008، بدار ضيافة جامعة عين شمس، مجلد 4، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس.

11. عبد الرحمن عمر الماحي، **العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم**، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة 27-30 مارس 2007.

12. عبد الرحمن الحبيب، **التنمية الاقتصادية العربية الإمكانات والتحديات**، ندوة إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، بيروت، 1997.

13. غالب احمد عطايا، ورقة عمل مقدمة الى الملتقى التربوي الأول في امارة الفجيرة، **العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي**، 29-30 /2002/4 م.

14. فتح الله ولعلو، **تحديات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا في الدول العربية**، منتدى الفكر العربي، عمان، 1996.

15. فوزية العشماوي، **مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية (اللغة والتعليم، والتاريخ)**، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في الفترة 27- 30 مارس 2007.

16. كلينتون، خطاب ألقاه في المنتدى الاقتصادي بدافوس في يناير 2000م .

17. محمد علي نصر، **إعداد عضو هيئة التدريس للتعليم والبحث العلمي لمواجهة بعض تحديات عصر المعلوماتية**، مؤتمر **(التنمية المهنية لأستاذ الجامعة في عصر المعلوماتية)**، في الفترة من 23 – 24 نوفمبر 1999، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس.

18. محمد علي نصر، **إعداد عضو هيئة التدريس للتعليم والبحث العلمي لمواجهة بعض تحديات عصر المعلوماتية**، مؤتمر التنمية المهنية لأستاذ الجامعة في عصر

المعلوماتية، من 23 – 24 نوفمبر 1999، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مصر.

19. محمود أمين العالم، **الهوية مفهوم في طور التشكيل**، مؤتمر" **العولمة والهوية الثقافية**، في الفترة 12 – 16 أفريل 1998م، سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

20. محمود أمين العالم، **الهوية مفهوم في طور التشكيل**، مؤتمر" العولمة والهوية الثقافية، في الفترة 12 – 16 أفريل 1998م، سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

21. محمد عابد، الجابري، "**العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، في: "العرب والعولمة**"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت 1997م، تحرير أسامة أمين الخولي، الطبعة الثانية، بيروت.

22. مصطفى حجازي، "**إعداد الطالب الجامعي من أجل شراكة عالمية مستقبلية**، في وقائع المؤتمر العلمي الثاني لقسم أصول التربية، جامعة الكويت، 17 – 20 أفريل، 1994م.

23. ناصر الدين، الأسد، **آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي، في:أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتَّب عن العولمة؟**، سلسلة "الدورات، الدورة الخريفية لسنة 2001م،12–14 نوفمبر 2001م، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

24. كنعان أحمد، **العولمة والبحث العلمي واقعًا وطموحًا**، ندوة العولمة والتعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقدة بجامعة العلوم والتقنيات والطب، بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية 23/11/2000-، تونس، 2000.

25. **الهوية العربية عبر حقب التاريخ**، يومي 25-1997/6/26م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة.

المعاجم والقواميس

المعاجم والقواميس

1. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، المنوفية، مكتبة الصحوة، د .ت، 1039
2. ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، 2003م.

الرسائل الجامعية

الرسائل الجامعية

1. أبو لبدة، وفاء، **أثر العولمة على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي.** رسالة ماجستير،(2005)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
2. فرحان، الشراري، 2001 م، اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية نحو العولمة وعملياتها وأثارها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
3. مولود زايد الطيب، العولمة والتماسك المحبة من الوطن العربي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب– جامعة بغداد قسم الاجتماع– 2001م .

المواقع الإلكترونية

المواقع الإلكترونية

1. المحور، قراءات في عالم الكتب والمطبوعات، www.ahewar.org زيارة الموقع 2014/02/13.
2. علي وطفة، تصدعات الهوية وهزائمها، موقع اتحاد الكتاب العرب، www.arab-ewriters.over-blog.net/article ، تم تصفح الموقع يوم:2014/10/23. **العولمة والتكتلات الاقتصادية**، موقع الشبكة الإسلامية على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) www.islam4africa.net، تاريخ زيارة الموقع 2015/02/16.
3. عبد العزيز بن عثمان التويجري، **العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة–أيسيسكو– الرياض. وهو موجود على موقع أيسيسكو– شبكة المعلومات الدولية. www.isesco.org.ma تاريخ زيارة الموقع 2015/06/12.
4. محمد قدور، نورس، **الثقافة: التفسير الأنثروبولوجي**، المجلة الالكترونية، الحوار المتمدن–العدد: 2436، 2008/10/16، www.ahewar.org/debat/show.art ، تاريخ زيارة الموقع 2015/02/17.

5. مها خيربك ناصر، **تحديّات العولمة وعلاقتها بالتراث والحداثة**، مقال، المجلة الإلكترونية، تحولات www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails، تاريخ زيارة الموقع 2015/07/03.

ملحق الأعلام

ملحق الأعلام

1/ فرنسيس فوكوياما Francis Fukuyama:

(نهاية التاريخ والإنسان الأخير)

ولد **يوشيرو فرانسيس فوكوياما** في 27 أكتوبر 1952 في حي هايد بارك بمدينة شيكاغو لكل من يوشيو فوكوياما وتوشيكو كواتا. هرب جد فوكوياما من الحرب الروسية اليابانية عام 1905 وافتتح متجراً في لوس أنجلوس كاليفورنيا قبل الاعتقال الادراي للأميركيين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية .والده كان أوفر حظاً من جده وتفادى الاعتقال لأنه حصل على بعثة دراسية في جامعة نبراسكا .هذه التجربة التي مرت بها عائلة فوكوياما جعلته ناقداً لما يسمى بالإسلاموفوبيا.

والده يوشيو فوكوياما كان أميركيا يابانيا من الجيل الثاني، حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو حيث قام بتدريس الدراسات الدينية، والدته توشيكو كواتا ولدت في كيوتو باليابان وهي إبنه شيرو كواتا، مؤسس قسم الاقتصاد بجامعة كيوتو وأول رئيس لجامعة مدينة أوساكا .قدمت إلى الولايات المتحدة حيث التقت زوجها للدراسة الجامعية. انتقلت عائلة فرانسيس إلى مانهاتن بمدينة نيويورك حيث عاش سنينه الأولى قبل الانتقال إلى بنسلفانيا عام 1967.

كتاب صدر عام 1992 من تأليف فرانسيس فوكوياما، وهو توسيع لمقالة شهيرة كتبها عام 1989 بعنوان "نهاية التاريخ؟"، نشرت في مجلة ناشيونال إنترست .في الكتاب، يقول فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية قد تشير إلى نقطة النهاية في التطور الاجتماعي والثقافي

للإنسانية، شارحاً نظريته بالقول إن ما شهده العالم بانهيار الإتحاد السوفييتي ليس نهاية للحرب الباردة أو مرور فترة معينة لمرحلة ما بعد الحرب، وإنما نهاية للتاريخ، ب معنة نهاية التوجه الانساني نحو الديمقراطية الليبرالية .أثبتت الديمقراطية الليبرالية في تجارب متكررة منذ الثورة الفرنسية وحتى الفترة المعاصرة، أنها أفضل النظم التي عرفها الإنسان أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً. ولا يقصد فوكوياما أن نهاية أحداث الظلم والاضطهاد في التاريخ قد انتهت، وإنما اتجاه التاريخ هو الذي انتهى، حتى وإن عادت نظم استبدادية للحكم في مكان ما، فإن الديمقراطية كنظام وفلسفة ستقوى أكثر مما قبل.

صدر المقال عام1989 بعد سلسلة إحتجاجات مؤيدة للديمقراطية اجتاحت دول الإتحاد السوفييتي ولكن فوكوياما كان حريصاً على التأكيد بأنه لا يقترح نهاية الأحداث الكبيرة في العالم، أو أنه لن يكون هناك دول لا تتوافق مع النموذج الديمقراطي الليبرالي .قال في كتابه، ليس من الضروري أن تصبح كل مجتمعات العالم ليبرالية ناجحة ولكن الذرائع الأيديولوجية الخاصة بها والتي تدعي امتلاكها لنظام مختلف وأرقى من الديمقراطية الليبرالية، ستنتهي.

تعد أطروحة نهاية التاريخ والإنسان الأخير التي نشرها في مجلة ناشيونال إنترست عام 1989 قبل أن يتوسع فيها ويؤلف الكتاب، من أشهر أطروحات فوكوياما والتي جادل فيها بأن تطور التاريخ البشري كصراع بين الأيديولوجيات إنتهى إلى حد كبير، مع إستقرار العالم على الديمقراطية الليبرالية بعد الحرب الباردة وسقوط جدار برلين عام 1989، وتوقع فوكوياما انتصار الليبرالية السياسية والاقتصادية في نهاية المطاف. فوكوياما يقصد نهاية التاريخ كاتجاه وليس كأحداث، الديمقراطية الليبرالية هي تتويج التطور الأيديولوجي للإنسان، وعدم وجود بديل غير بربري وخطير يعني أن الحجج الآيديولوجية للآخرين لا ترقى لمقارعة الديمقراطية الليبرالية، مثل

هيغل وماركس، لا يعتقد فوكوياما أن تطور المجتمعات البشرية بلا نهاية، لكنه يكتمل عندما تجد البشرية التنظيم الاجتماعي الذي يشبع احتياجاتها الطبيعية والأساسية:

2/ صامويل فيليبس هنتنجتون Samuel Phillips Huntington:

(صراع الحضارات).

ولد **صاموئيل فيليبس هاننغتون** في 18أبريل 1927 في مدينة نيويورك لكل من دوروثي سانبورن وريتشارد توماس هاننغتون. تخرج بامتياز من جامعة ييل في سن الـ 18، وخدم في الجيش الأمريكي، حصل على درجة الماجستير من جامعة شيكاغو، وعلى الدكتوراه من جامعة هارفارد حيث بدأ التدريس فيها ولم يتجاوز عمره الـ 23 .وكان عضوا في قسم هارفارد للحكومة من عام 1950 حتى حرم من امتياز الحيازة، وفي عام 1959 عمل أستاذا مشاركا في الحكومة بجامعة كولومبيا حيث كان نائب مدير معهد دراسات الحرب والسلام. دعي هنتنغتون للعودة إلى هارفارد مع الحيازة في عام 1963 وبقي هناك حتى وفاته. انتخب زميلا للأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم في عام 1965. شارك هنتنغتون في تأسيس مجلة فورين بوليسي واستمر بتحريرها حتى العام 1977 .

أول كتاب كبير له كان "الجندي والدولة : نظرية وسياسة العلاقات المدنية العسكرية"، الصادر عام 1957، أثار الكتاب جدلا عند نشره، ولكنه اليوم يعتبر أحد أكثر الكتب تأثيرا عن العلاقات المدنية العسكرية الأمريكية . برز أكثر عقب تأليف كتابه "النظام السياسي في مجتمعات متغيرة" الصادر عام 1968، وهو العمل الذي تحدى النظرة التقليدية لمنظري التحديث، بأن التقدم الاقتصادي والاجتماعي من شأنه أن ينتج الديمقراطيات المستقرة في البلدان

التي تحلصت من الاستعمار في الآونة الأخيرة. عمل مستشارا لوزارة الخارجية الأمريكية، وفي 1968 كتب مادة مؤثرة في مجلة فورين آفيرز Foreign Affairs ، حيث دعا إلى تركيز سكان الريف في جنوب فيتنام كوسيلة لعزل الفيت كونغ [1].كان أيضا مؤلف مشارك في "أزمة الديمقراطية: حول الحكم الجيد للديمقراطيات"، وهو تقرير مقدم إلى اللجنة الثلاثية في عام 1976 . وخلال أعوام 1977 و1978 في إدارة جيمي كارتر، كان منسق البيت الأبيض للتخطيط الأمني في مجلس الأمن القومي. توفي في 24 ديسمبر 2008 في مارثاز فينيارد بماساتشوستس عن عمر ناهز الـ 81 عاماً.

3/ روجي غارودي Roger Garaudy :

معاداة الصهيونية (الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل)

روجيه جارودي أو رجاء جارورديولد في 17 يوليو 1913 و توفي في 13 يونيو 2012 ولد في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد. اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، درس في كل من جامعة مرسيليا Marseille وجامعة إيكس أون بروفانس Aix en Provence وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام 1937 عين أستاذا للفلسفة في المدرسة الثانوية في ألبي .l'École lycée d'Albi .

[1] **الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام** المعروفة بـ **الفيت كونغ** (Việt cộng) حركة مقاومة مسلحة فيتنامية نشطت بين 19761954— . بدأت قوات الفيت منه في الجنوب في التمرد على حكومة ديم. وقد عُرف هؤلاء بالفيت كونغ. وفي عام 1959م أعلنت فيتنام الشمالية تأييدها لهذه الفئة وأمرتها بشن كفاح شامل ضد حكومتها. كانت أول مجموعة متمردة ناضلت ضد الاستعمار الفرنسي وضد جمهورية جنوب فيتنام .هذه الجبهة كانت معارضة لجميع العناصر المكونة للحكومية بصرف النظر عما إذا كانوا شيوعيين أم لا.

خلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب لفرنسا الفيشية في الجلفة بالجزائر بين 1940 و1942. وفي عام 1945 انتخب نائبا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام 1946، حصل جارودي على درجة الدكتوراه الأولى سنة 1953 من جامعة السوربون عن النظرية المادية في المعرفة، ثم حصل على درجة الدكتوراه الثانية عن الحرية عام 1954 من جامعة موسكو.

طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1970م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي، وفي نفس السنة أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرا له لمدة عشر سنوات.

في 2 يوليو 1982 أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامي في جنيف، وكتب بالمناسبة كتابيه "**وعود الإسلام**" و"**الإسلام يسكن مستقبلنا**". نال جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1985–1986م عن خدمة الإسلام وذلك عن كتابيه: **Promesses de l'Islam وعود الإسلام، و L'Islam habite notre avenir الإسلام يسكن مستقبلنا**، ولدفاعه عن القضية الفلسطينية.

بعد مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان عام 1982 أصدر غارودي بيانا احتل الصفحة الثانية عشرة من عدد 17 حزيران 1982 من جريدة لوموند الفرنسية بعنوان معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان وقد وقع البيان مع غارودي كل من الأب ميشيل لولون والقس ايتان ماتيو . وكان هذا البيان بداية صدام غارودي مع المنظمات الصهيونية التي شنت حملة ضده في فرنسا والعالم.

4/ محمد أركون :

(من الاجتهاد الى نقد العقل الاسلامي).

ولد عام 1928 في بلدة تاوريرت ميمون آث يني بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء ولاية عين تموشنت حيث درس دراسته الابتدائية بها. ثم واصل دراسته الثانوية في وهران لدى الآباء البيض، يذكر أركون أنه نشأ في عائلة فقيرة، وكان والده يملك متجراً صغيراً في قرية اسمها عين الأربعاء شرق وهران، فاضطر ابنه محمد أن ينتقل مع أبيه، ويحكي أركون عن نفسه بأن هذه القرية التي انتقل إليها كانت قرية غنية بالمستوطنين الفرنسيين وأنه عاش فيها "صدمة ثقافية، ولما انتقل إلى هناك درس في مدرسة الآباء البيض التبشيرية، والأهم من ذلك كله أن أركون شرح مشاعره تجاه تلك المدرسة حيث يرى أنه (عند المقارنة بين تلك الدروس المحفزة في مدرسة الآباء البيض مع الجامعة، فإن الجامعة تبدو كصحراء فكرية).

ثم درس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر ثم بتدخل من المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (Louis Massignon) قام بإعداد التبريز في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس .ثم اهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف ابن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته.

تميز فكر أركون بمحاولة **عدم الفصل بين الحضارات شرقية وغربية** واحتكار الإسقاطات على أحدهما دون الآخر، بل إمكانية فهم الحضارات دون النظر إليها على أنها شكل غريب من الآخر، وهو ينتقد الاستشراق المبني على هذا الشكل من البحث. يتميز طرح أركون الفكري على محاولة نقد أسس العقيدة الإسلامية على غرار المستشرقين حيث تتلمذ على المدرسة الاستشراقية ويورد كثيرا من المقدمات الخاطئة التي يبني عليها نتائج غير صحيحة. من آراءه

أنه يرى أن القرآن محرف بسبب أن النقل غير المؤتمن وأن عند الدروز والإسماعيلية والزيدية وثائق سرية مهمة تفيدنا في معرفة النص الصحيح (يفيدنا في ذلك أيضاً سبر المكتبات الخاصة عند دروز سوريا، أو إسماعيلية الهند، أو زيدية اليمن، أو علوية المغرب، يوجد هناك في تلك المكتبات وثائق نائمة متمنعة، مقفل عليها بالرتاج، الشئ الوحيد الذي يعزينا في عدم إمكانية الوصول إليها الآن هو معرفتنا بأنها محروسة جيداً.

يحتلّ محمد أركون موقعاً مركزياً في السجال الفكري والعقائدي مع الأصوليات، الإسلامية منها وغير الإسلامية. يعمل منذ عقود على قراءة مختلفة ومغايرة عن السائد للنص الديني والتراث الإسلامي، بحيث أعطى عنواناً لمشروعه الفكري:"نقد العقل الإسلامي". على غرار أمثاله من دارسي النص الديني والتراث، نال أركون نصيبه الكبير من التهجّم الشخصي والفكري على طروحاته، واتّهم بالكفر والزندقة والمروق عن الدين وتشويه سمعة الدين الإسلامي..وغيرها من التهم، وكان يمكن أن يناله الأذى الشخصيّ لو كان يعيش في البلاد العربية أو الإسلامية. أتاحت له إقامته في الغرب أن يكتب بحرية ويمارس دوره النقدي والتحليلي دون أن يشعر بهاجس الاعتداء الذي سيطاله من الفتاوى التي ستصدر بحقّه وتهدر دمه، وهو أمر يعترف به أركون نفسه، وأنه ما كان له أن يطلق أحكامه وأفكاره بهذا الشكل لو كان يعيش في بلده الجزائر، أو في أيّ بلد إسلاميّ آخر. إضافة إلى أنّ أركون كتب باللغة الفرنسية، ورغم أنّ ترجماتٍ صدرت لمؤلّفاته في اللغة العربية، إلاّ أنّ انتشارها ظلّ محدوداً ومقتصراً على نخبٍ معيّنةٍ، ساعد في هذا التقلّص في انتشارها أنّ المناهج التي استخدمها أركون في قراءة الفكر الإسلامي هي مناهج جديدة على الفكر العربي وتتّسم بصعوبة في إدراك كنهها.

ركّز أركون في دراساته على استخدام المنهج التاريخي في القراءة والنقد ودعا إلى تطبيقه على التراث الإسلامي. تنوّعت الموضوعات التي انخرط أركون في دراستها واعتمد "منهجية تعددية"

لا تلغي التراث بمقدار ما تستفيد منه بعد غربلته ونقده، كما أولى أهمية لدراسة الديانات السماوية وإظهار نقاط الترابط المشترك في ما بينها. وبالنظر إلى تشعّب الموضوعات التي صال أركون فيها، فإنّ التركيز هنا سيكون على ما هو متّصل بالأصوليات وكيفية قراءته لها، وذلك من خلال أربعة عناوين رئيسية: الأوّل يتعلّق بالمنهج الذي اعتمده أركون وتبيان مفاصله الرئيسية، والثاني يتّصل بقراءة أركون للأصولية الإسلامية، نشأة وفكراً وممارسة، ويتناول العنوان الثالث قراءة قضيّة الدين والدولة في الإسلام بوصفها أحد العناوين الأساسية في المشروع الأصولي الإسلامي، أمّا العنوان الأخير فيتطرّق إلى قراءة أركون لقضية العلمنة في تحديد العقل الإسلامي، في كتابه "**معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية**" يقدم أركون تحديداً لما يعتبره العقل الديني إجمالاً والإسلامي تحديداً، والمنطلقات التي يقوم عليها، وبالتالي المعضلات التي ينتجها هذا العقل في ممارسة المسلم. يشير إلى "أنّ العقل الديني يحصر تساؤلاته وتحرّياته وإنجازاته داخل الحدود المنصوص عليها من قبل ما يدعوه بظاهرة الوحي المسجّلة في الكتب المقدسة: توراة، إنجيل، قرآن. وهي الكتب التي شكّلتها الأمم المفسّرة في الأديان الثلاثة على هيئة نصوص رسمية". ويضيف مبيّنا مدى تأثير معطى الوحي على العقول :"لقد وجّه وأخضع العقل اللاهوتي المؤسس في كافة مجالات التمييز والمحاجة والاكتشافات والنص على جميع أنماط المعرفة ومستوياتها. وهكذا راحوا يقدّمون الأحكام الأخلاقية – التشريعية التي تنظم علاقات البشر في المجتمع على أساس أنها تمثل التعبير الحقيقي لإرادة الله بالنسبة إلى مخلوقاته. لقد جعلوا الناس يتصورونها ويفهمونها ويستبطنونها ويطبقونها وكأنها تمثل فعلاً مشيئة الله. وهكذا راح الفكر اللاهوتي يبذل كل ما في وسعه لكي يحدّد"عقلانياً"الأسس الإلهية الموجهة لكل ما يفعله الإنسان" .

إذا كان الفكر اللاهوتي في الأديان الثلاثة يملك قواسم مشتركة، إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من وجود خصوصيات تتصل بمكان وزمان قيام كل دين، واجتهادات الفقهاء في وضع التشريعات لما يفترضونه ظاهرة الوحي، خصوصا عند بلورة هذا الفكر اللاهوتي في القانون الديني الذي يسمّى بالشريعة. لقد عرف الإسلام هذه القوننة ووضع علماء الفقه أسّسها وطالت في محتواها أموراً كثيرة تخص الإنسان في ممارسته العملية. ورغم الانقسامات في الإسلام بين مذاهب وفرق، إلاّ أنّ قواسم مشتركة ظلّت تجمع بينها في الوجهة العامة للقضايا والموضوعات الخاصة بالأمور اللاهوتية والإنسانية المتمركزة حول الله، والتي يمكن اختصارها في النظر إلى "الله الحيّ، الخلاّق الذي تجلّى في التاريخ الأرضيّ للبشر عدّة مرات عبر رسله وأنبيائه. وقد بلّغ أوامره ونواهيه عن طريق الوحي الذي نقل إلى الأمة المؤمنة التي تؤيد الذاكرة الحية لجميع التعاليم والأحداث المؤسسة للدين الحق. وأمّا المجتمع الأرضي فيقاد من قبل ممثلين لله على الأرض (أي الخليفة أو الإمام). وهم يسهرون على تطبيق الشريعة، أو القانون الإلهي، بدون أن يكون لهم الحقّ في تعديل أحكامها. وهذه الأحكام لا تهدف فقط إلى ترسيخ نظام العدل والتضامن في المجتمع، وإنما تهدف إلى شيء آخر أيضاً. فهي لا تتخذ كلّ معانيها وأبعادها إلاّ إذا استنبطت وطبّقت من قبل كل مؤمن، وذلك ضمن المنظور الأخروي للنجاة الأبدية في الدار الآخرة: أي العودة إلى الله. فكلّ شيء يأتي من الله، وكلّ شيء يعود إليه. وعندما أقول كلّ شيء فإنّي أقصد: العالم، التاريخ، الكائنات الحيّة. فالطبيعة مسكونة من قبل الله وموضوعة تحت تصرّف الإنسان كمكان ووسيلة لتحقيق النجاة في الدار الآخرة. وهذا يعني أنّ النجاة تتمثل بالمسار الأرضي الذي يؤدّي بالضرورة إلى يوم الحساب، فالبعث والنشور، فالحياة الأبدية إمّا في دار الثواب وإمّا في دار العقاب، إمّا في الجنّة وإمّا في النار".

بعد أن حدّد المفاصل الرئيسية للعقل الديني ومنه في القلب العقل الإسلامي، يطرح أركون على امتداد كتاباته الواسعة عناصر مشروعه في نقد هذا العقل، فيراه "مشروعاً تاريخياً وأنتروبولوجياً في آن معاً"، فهذا المشروع "لا يكتفي بمعلومات التاريخ الراوي المشير إلى أسماء وحوادث وأفكار وآثار دون أن يتساءل عن تاريخ المفهومات الأساسية المؤسسة كالدين والدولة والمجتمع. والحقوق والحرام والحلال والمقدس والطبيعة والعقل والمخيال والضمير واللاشعور واللامعقول، والمعرفة القصصية (أي الأسطورية) والمعرفة التاريخية والمعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية.." (أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟.

تكمن أهمّية مشروع أركون القائمة على عملية النقد الشامل للنص الديني والتراث، والممارسة التي نتجت عنهما، في ضوء ما هو جارٍ اليوم من فكر وفتاوى باتت تخلع القدسية على كل شيء في حياة الإنسان المسلم العادي، وخصوصاً على الأشياء المادية الأكثر دنيوية، ووسمها بصفة دينية، بحيث يصبح نقدها مسّاً بالدين نفسه وبأصوله. في هذا المجال ينظر أركون إلى أنّ عملية نزع هذه القدسية عمّا هو غير مقدّس يشكّل أكبر عملية تحرير للعقل المسلم في زمننا المعاصر، وذلك من أجل أن يتمكّن هذا الإنسان من التصالح مع نفسه أوّلاً وتالياً مع الزمن الذي يحيى ضمنه.

6/ مالك بن نبي :

(الظاهرة القرآنية، شروط النهضة)

ولد في 5 ذو القعدة 1323 هـ الموافق لـ فاتح جانفي سنة 1905 م بمدينة قسنطينة شرق الجزائر، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة . فكان والده موظفًا بالقضاء الإسلامي حيث حول بحكم وظيفته إلى ولاية تبسة حين بدا مالك بن نبي يتابع دراسته القرآنية. والابتدائية بالمدرسة الفرنسية. وتخرج سنة 1925م بعد سنوات الدراسة الأربع.

سافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد مجددًا إلى مسقط رأسه. وبعد العودة تبدأ تجارب جديدة في الاهتداء إلى عمل، كان أهمها، عمله في محكمة آفلو حيث وصلها في مارس 1927م، احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده. وقد استقال من منصبه القضائي فيما بعد سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية،

أعاد الكرة سنة 1930م بالسفر لفرنسا ولكن هذه كانت رحلة علمية. حاول أولاً الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، إلا أنه لم يكن يسمح في ذلك الوقت للجزائريين أمثاله بمزاولة مثل هذه الدراسات. فتركت هذه الممارسات تأثيرًا كبيرًا في نفسه .فاضطّر للتعديل في أهدافه وغاياته، فالتحق بمدرسة (اللاسلكي) للتخرج كمساعد مهندس كهربائي، ممّا يجعل موضوعه تقنياً خالصاً، أي بطابعه العلمي الصرف، على العكس من المجال القضائي أو السياسي.

انغمس مالك بن نبي في الدراسة وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتابه الظاهرة القرآنية في سنة 1946 ثم شروط النهضة في 1948، الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار ووجهة العالم الإسلامي 1954 ، أما كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي فيعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين.

انتقل إلى القاهرة هاربا من فرنسا بعد إعلان الثورة الجزائرية سنة 1954م تاركا وراءة زوجته التي رفضت مرافقته فرنسا التي لم يعد إليها إلا في 1971 حظي في مصر باحترام كبير، فكتب فكرة الإفريقية الآسيوية .1956 وعين مستشارا لمنظمة التعاون الإسلامي المنصب الذي سمح له بمواصلة الكتابة الفكرية وإرسال المال ليعول زوجته في فرنسا.

طور مالك بن نبي معرفته باللغة العربية حيث راجع كل كتبه المترجمة للغة العربية وشرع بالكتابة بالعربية وإلقاء المحاضرات بالعربية وزار سوريا ولبنان لإلقاء محاضرات هناك.

عاد مالك بن نبي في 1963 للجزائر بعد إستقلالها، فعين سنة 1964 كمدير عام للتعليم العالي، فقام، وواصل مع ذلك إلقاء المحاضرات والتأليف، فصدر له آفاق جزائرية (Perspectives algériennes) وكذلك الجزء الأول من مذكراته.

استقال من منصبه سنة 1967، ليتفرغ كلية للعمل الفكري الإسلامي والتوجيهي. فساهم بمقالات متتابعة في الصحافة الجزائرية خصوصًا في مجلة "Révolution Africaine" (الثورة الإفريقية) التي شارك فيها إلى سنة 1968 بمقالات في صميم تصوراته حول إشكالات الثقافة والحضارة ومشروع المجتمع، وقد جمعت هذه المقالات كلها في كتاب بعد وفاته.

ما بين 1968 -1973 أوصى مالك بعض المقربين إليه من الطلبة الذين كانوا يتابعون حلقاته ببيته، خصوصًا الذين كانوا يشتغلون بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، بتنظيم ملتقيات لتوعية الأجيال الصاعدة كما حث على فتح مسجد بالجامعة المركزية، وفي خضم الصراعات الفكرية والمذهبية، ولو كان ذلك بمقدار متر مربع واحد.

شروط النهضة " الذي أصدره في فرنسا سنة 1948م ، فرنسا التي كانت محطة جد مهمة في حياة مالك بن نبي. فمشكلة الشعوب هي مشكلة حضارية هكذا كان يُعنون سلسلة من كُتبه تحت عنوانِ ملازم "مشكلات الحضارة" وهكذا استهل كتابه "شروط النهضة" وهو كتاب جاء في حوالي

160 صفحة يتناول فيه قضايا الراهن الإسلامي بكثير من التدبر والتأمل ليخلص إلى شروط النهضة التي تمثل عند مالك ابن نبي مسألة داخلية أساسا وأولاً، ومن هنا هو يُقدم مبدأ الواجبات على مبدأ الحقوق، فالفرد يميل بطبعه إلى المطالبة بحقوقه وقد يتثاقل عن القيام بواجبه، والأمة التي تصاب بمرض السهولة فان من أهون الأشياء عليها هو المطالبة بالحقوق ونسيان الواجبات. والخلاصة أن الطريق الوحيد للحصول على الحقوق هو القيام بالواجبات.

في كتاب شروط النهضة بابين رئيسين : باب يصف الحاضر و التاريخ و آخر يصف المستقبل، تناول ابن نبي تاريخ شخصيات تاريخية كالأمير عبد القادر و جمال الدين الأفغاني، وهو باستمرار يرجع إلى ذكر ما جرى في الجزائر حين بدأت عام 1925م نهضة كبرى بقيادة العلماء الإصلاحيين، إلا أنه بالنسبة لمالك ابن نبي هذا الدور لم يكتب له الاستمرار فرغم النهضة التي عرفتها الشعوب الإسلامية لدحض الفكر الخرافي، مازال المسلمون يعيشون تفسخا حضاريا أكثر من بناء حضاري وكل الذي حدث في حقيقة الأمر هو" صدمة " أفاقت الأمة الإسلامية.

يقول بن نبي إن العالم الإسلامي يعمل على "جمع أكوام من منتجات الحضارة أكثر من عمله على بناء حضارة"، وهذه العملية لا تؤدي به إلى انجاز البناء الحضاري.

من هنا فلابد من " تركيب" ما للحضارة ، وهنا يستدل مُفكرنا بالعالم الكيماوي الذي يحلل أولا المنتجات التي يريد الوصول إليها ، بعد ذلك يبدأ في عملية التركيب ، و يقول مفكرنا: أن كل ناتج حضاري هو عبارة عن معادلة تتفاعل فيها ثلاث عناصر هي الإنسان ، التراب و الوقت، و قد أفرد لكل عنصر من هذه العناصر صفحات في كتابه القيّم، لكن حسبه الناتج الحضاري لا يتأتى تلقائياً بمجرد توافر العناصر الثلاثة " الإنسان،الوقت، التراب" بل لا بد له من مركب حضاري ما . فالماء نتاج للهيدروجين و الأوكسجين وبرغم هذا فهم لا يكوّنانه تلقائياً، فقانون

تركيب الماء يخضع لقانون معين يقتضي تدخل "مركب" ما بدونه لا تتم عملية تكوّن الماء . وبالمثل فالحضارة لابد لها من مركب يسميه ابن نبي " المركب الحضاري" الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة" الإنسان، الوقت والتراب" بعضها ببعض وهو الفكرة الدينية.

يقول ابن نبي إن أول عمل يؤديه المجتمع عند ولادته هو بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ، وعند أفول المجتمع تتمزق شبكة علاقاته الاجتماعية كما كانت حالة المجتمع الإسلامي الذي غزاه الاستعمار .

وعندما يتكلم بن نبي عن الإنسان يتكلم عن المرأة باعتبارها فردا في المجتمع له دوره ، ولا نستطيع إنقاذ ذريتنا وتعبيد الطريق لهم إلا بعمل شاق يقوم به جيل الحاضر.

كما أفرد ابن نبي صفحات من كتابه ليتكلم فيها عن مفهوم القابلية الاستعمارية و مُعامل الاستعمار و وهي أفكار يستشهد بها الكثير من الباحثين و الإعلاميين حتى في زمننا هذا في مُناقشاتهم و على صفحات دراساتهم خاصة عندما يذهبون إلى تعليل بعض مكامن الداء الذي أصاب جسم الأمة.

في خاتمة الكتاب يذهب مالك بن نبي إلى التأكيد على ضرورة "التخطيط لثقافة شاملة يحملها الغني والفقير، الجاهل والعالم " حتى يتم التوصل إلى مجتمع استوفى شروط نهضته وهو بذلك لا يكتفي بالتشخيص فحسب بل يُوصّف الحلول و بوادر النهوض من خلال رؤيته الثاقبة.

طُبعت له العديد من الكتب عن حياته وفكره، خاصة من قبل المهتمين بالنهضة والإصلاح، من أهمها: **(في صحبة مالك بن نبي)** و**(مقاربات حول فكر مالك بن نبي)** الذان كتبهما عمر كامل مسقاوي، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية، ووصاياه على نشر كتبه.

7/ محمد عابد الجابري:

(نقد العقل العربي).

ولد محمد الجابري بمدينة سيدي لحسن في شوال 1354هـ بمدينة فجيج الواقعة في شرق المغرب على خط الحدود الذي أقامه الفرنسيون بين المغرب والجزائر، وتتألف فجيج من سبعة قصور – أي تجمعات سكنية – من بينها قلعة زناكة التي ولد فيها الجابري بعد أن انفصلت والدته عن والده، فنشأ نشأته الأولى عند أخواله وكان يلقى عناية فائقة من أهله سواء من جهة أبيه أو أمه. وكان جده لأمه يحرص على تلقينه بعض السور القصيرة من القرآن وبعض الأدعية، وما لبث أن ألحقه بالكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ما يقرب من ثلث القرآن، وما إن أتم السابعة حتى انتقل لكتاب آخر، وتزوجت أمه من شيخ الكتاب فتلقى الجابري تعليمه على يد زوج والدته لفترة قصيرة، ثم ألحقه عمه بالمدرسة الفرنسية فقضى عامين بالمستوى الأول يدرس بالفرنسية.

بدت بوادر التفوق على الجابري حين برع في الحساب كما كان يجيد القراءة في كتاب التلاوة الفرنسية، وكان الانتساب للمدرسة الفرنسية ينطوي على نوع من العقوق للوطن والدين فكان الآباء يخفون أبناءهم ولا يسمحون بتسجيلهم في هذه المدرسة إلا تحت ضغط السلطات الفرنسية.[1]

أتيحت للجابري فرصة الالتقاء بالحاج محمد فرج وهو من رجال السلفية النهضوية بالمغرب الذين جمعوا بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني والتحديث الاجتماعي والثقافي، وكان

[1] عبد العزيز الوهيبي، **قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري**، مجلة البيان، العدد 71.

محمد فرج إماما بمسجد زناكة الجامع، فكان الجابري وهو لا يتجاوز العاشرة يواظب على حضور دروسه بعد صلاة العصر، وفي هذه الأثناء راودت شيخه فكرة إنشاء مدرسة وطنية حرة بفجيج، وبالفعل حصل على رخصة من وزارة المعارف لإنشاء مدرسة "النهضة المحمدية" كمدرسة وطنية لا تخضع للسلطات الفرنسية ولا تطبق برامجها، بل يشرف عليها رجال الحركة الوطنية حيث جعلوا منها مدارس عصرية معربة لتصبح بديلا للتعليم الفرنسي بالمغرب، فالتحق الجابري بالمدرسة وتخرج فيها سنة 1368هـ 1949 بعد أن حصل على الابتدائية.[1]

حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام 1967 ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب بالرباط .عمل كمعلم بالابتدائي (صف أول) ثم شغل كأستاذ للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط .كان عضواً بمجلس أمناء المؤسسة العربية للديمقراطية.

استطاع محمد عابد الجابري عبر سلسلة نقد العقل العربي القيام بتحليل العقل العربي عبر دراسة المكونات والبنى الثقافية واللغوية التي بدأت من عصر التدوين ثم انتقل إلى دراسة العقل السياسي ثم الأخلاقي وهو مبتكر مصطلح "العقل المستقيل" وهو ذلك العقل الذي يبتعد عن النقاش في القضايا الحضارية الكبرى. وفي نهاية تلك السلسلة يصل المعلم إلى نتيجة مفادها، أن العقل العربي بحاجة اليوم إلى إعادة الابتكار.

[1] محمد عابد الجابري، **حفريات في الذاكرة من بعيد**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م.

حمل الجابري عددا من المشاريع الفكرية، صاحب صدورها جدل ونقاش لم يتوقف حولها، فكانت" رباعية نقد العقل العربي " والتي تكونت من أربعة إصدارات رئيسية كانت باكورة أعمال الجابري، أعطى فيها للعقل دورا محوريا في إعادة قراءة العقل العربي.

تلك الإصدارات الثلاث هي :تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي، والعقل السياسي العربي والعقل الأخلاقي العربي، وقد أحدثت هزة في الأوساط الفكرية العربية. وقد دفعت هذه الثلاثية كاتبا سورياً مثل جورج طرابيشي إلى إصدار كتاب ناقد لها سماه" نقد نقد العقل العربي " يرد فيه على الجابري.

ينتقد فتحي التريكي بعض أفكار محمد عابد الجابري أن فكرة وجود عقل عربي وآخر غربي، التي قال بها الجابري، كما خالف علي حرب الجابري في بعض القضايا الاصطلاحية أهمها "تفضيل حرب استخدام مصطلح الفكر على مصطلح العقل، لأن العقل واحد وإن اختلفت آلياته ومناهجه وتجلياته, كما يؤثره على مصطلح التراث.

تعتبره جمعيات أمازيغية متشددة أنه أحد المنظّرين الأساسيين لإبادة اللغة والثقافة الأمازيغية والترويج المبالغ فيه للإيديولوجيا العُروبية حتى أضحى من المدافعين المتشددين عن الأنظمة العربية العنصرية الدموية"، واعتبرت تلك الجهات تكريم اليونسكو له "خيانة للقيم الإنسانية. و**له العديد من الكتب المنشورة** :

نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (1980).

العصبية والدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي (1971).

تكوين العقل العربي (**نقد العقل العربي** 1)(1982).

بنية العقل العربي (**نقد العقل العربي 2**)(1986).

العقل السياسي العربي (نقد العقل العربي 3)، (1990).

العقل الأخلاقي العربي (نقد العقل العربي 4)، (2001).

توفى المفكر الجابري يوم الاثنين 03 مايو 2010 م في الدار البيضاء بعد معاناة طويلة مع المرض .

8/ برهان غليون
(اغتيال العقل العربي)

(برهان غليون) ولد في 13 أيار/مايو 1945، هو مفكر فرنسي سوري وأستاذ علم الاجتماع السياسي ومدير مركز دراسات الشرق المعاصر في جامعة السوربون بالعاصمة الفرنسية باريس ورئيس المجلس الوطني السوري السابق. خريج جامعة دمشق بالفلسفة وعلم الاجتماع، دكتور دولة في العلوم الاجتماعيةوالإنسانية من جامعة السوربون، ولد في مدينة حمص لأسرة عربية سنية، كان يعمل في مجال التدريس قبل أن يهاجر في عام 1969 إلى فرنسا وعاش هناك منذ ذاك الوقت. توجهاته الفكرية قومية عربية تدعو إلى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وبناء دولة المواطنة العصرية. يعتبر برهان غليون من أبرز المعارضين لنظام الرئيس بشار الأسد.

في يوم الإثنين الموافق 29 من آب/أغسطس لعام 2011، تم تعيين الدكتور برهان غليون رئيساً للمجلس الوطني السوري الذي تشكل وتأسس في العاصمة التركية أنقرة، بينما ذكرآخرون بأنه لم يتم انتخاب أي هيئة وإن مثل هذه الاقتراحات ما زالت في طور النقاش.

في يوم الأحد 2 تشرين الأول/أكتوبر 2011، تم الإعلان عن تشكيل المجلس الوطني السوري، وقد ذكر غليون أنه سيتم انتخابه رئيساً بالتزكية في اجتماع المجلس في القاهرة يوم السبت 8 تشرين الأول/أكتوبر 2011.

- **بعض أهم مؤلفاته :**

1/ إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية: (علاقة العرب بثقافتهم علاقة معقدة ومتناقضة تتراوح بين الرفض المطلق والقبول المطلق. البعض يراها سبب التخلف والبعض الآخر ينظر إليها كخشبة الخلاص. يحاول هذا الكتاب أن يبين محنة الثقافة العربية ليست إلا مظهرا لمحنة الذات العربية وتشتتها بين التأكيد الشكلي للذات والرفض السلبي للآخر.. ضد الحداثة المضيّعة، والسلفية المفقرة، والتوفيقية السحرية.. يطمح هذا الكتاب إلى أن يفتح للذاتية بابا تطل منه على التاريخ وتبدعه في الوقت نفسه الذي تؤسس فيه نفسها كذات مبدعة'' .

هذا الكتاب أعتبره من أدسم الوجبات الفكرية التي قرأتها في هذه السنة تقريبا.. كتاب مليء بالتنظير للواقع وفهم بعض الأيدولوجيات و وجهات النظر الاجتماعية المختلفة. قرأت الكتاب في مدة طويلة بالنسبة لي.. ١٠ أيام تقريبا .. ليس كل يوم أقرأ منه طبعا لكن بعد قراءة ٥٠ صفحة مثلا. كنت أشعر أني بحاجة إلى فهم الأمور أكثر وتدوين العديد من الملاحظات وفهم موقف نفسي أولا من النهضة ومشروع الحضارة..

يقع الكتاب في أربع أقسام.. وهو يتناول الواقع العربي بما فيه من تخلّف وتشرب لقشرة الحداثة بدون هوية.. ويتناول الموقف السلفي والتبعي كل على حدة ثم يتناولهما معا... يوضح الموقف السلفي من النهضة وفهمه لها وكيف يعتبر المنهج السلفي أن الحضارة هي بالرجوع للتراث. وكما يتناول ويشير إلى موقف التغريبين والمنادين بالحداثة وأنهم على النقيض من السلفيين إذ ينادون بنبذ التراث والانخراط في التقدم الغربي مما أدى إلى فقدان الهوية والتراث معا.. أورد تعريف جميل للثقافة والحداثة والحضارة والمدنية وعلاقة كل منهما بالآخر.. طرح موضوع الهوية بشيء من التفصيل المفيد جدا..

قال في نهاية الكتاب "لاينبغي أن نتعلق ونعلق رأينا العام بأوهام كبرى من نوع أن هذه الأيديولوجية أو تلك هي التي ستنقذ الأمة وأن المطلوب هو التوصل إلى مثل هذه الإيديولوجية. فهذا هو طريق الماضي المسدود وينبغي أن نتخلص من الوهم الراسخ الآخر والقائل أن أصل المشكلة هو افتقادنا لوحدة أيديولوجية أو ثقافية كاملة أو منسجمة أو متجانسة.

إن الثقافة المبدعة هي التي تزخر بالخلاف والتناقض والتعدد . وعندما نقول أنه لايوجد حل واحد لجميع المشكلات فنحن نعني أن المشكلات المطروحة اليوم على العالم العربي لايمكن حلها جميعا من أفق ايدولوجية واحدة. هذا غير منطقي وغير ممكن وغير واقعي"..).

2/ المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات

3/ ثقافة العولمة وعولمة الثقافة (سلسلة حوارات لقرن جديد)

4/ العرب وعالم ما بعد 11 أيلول

5/ النظام السياسي في الإسلام (سلسلة حوارات لقرن جديد)

6/ بيان من أجل الديمقراطية

7/ مجتمع النخبة.

8/ المأساة العربية: الدولة ضد الأمة

9/ نقد السياسة: الدولة والدين.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ – ر

الفصل الأول العولمة وتطورها: مدخل.....12– 20

المبحث الأول : تعريف العولمة.....21

المطلب الأول : العولمة لغة.....21– 22

المطلب الثاني : العولمة اصطلاحاً.....23– 31

المطلب الثالث : تاريخ تطور العولمة ومجالاتها.....31

1/ مراحل تطور العولمة.....31– 34

2/ مجالات العولمة وأبعادها.....35

أولا – المجال الاقتصادي للعولمة.....35– 39

ثانيا– المجال السياسي للعولمة.....39– 43

ثالثا– المجال الثقافي للعولمة.....43– 53

ب/ أبعاد العولمة.....53

أولاً – البعد الاقتصادي.....53– 54

ثانياً – البعد السياسي للعولمة.....54– 55

ثالثاً – البعد الثقافي للعولمة.....56– 57

رابعا– البعد الإعلامي للعولمة.....57– 59

المبحث الثاني: التحولات الدافعة باتجاه العولمة.....59

المطلب الأول : التحولات الاقتصادية والسياسية.....59– 69

المطلب الثاني : التحولات العلمية والتكنولوجية.....69- 71

المطلب الثالث : التحولات الفكرية والثقافية.....71- 72

1/ الحداثة وما بعد الحداثة.....73- 78

2/ ظهور النظام العالمي الجديد.....78

أ/ نظرية نهاية التاريخ.....78- 80

ب/ نظرية صدام الحضارات.....80- 82

الفصل الثاني : الثقافة العربية وتحديات العولمة.....83

مدخل.....84 - 87

المبحث الأول : مفهوم الثقافة.....88

المطلب الأول : الثقافة لغة.....88- 90

المطلب الثاني : الثقافة اصطلاحا.....90- 97

المطلب الثالث : الثقافة وعلاقتها بالحضارة واللغة والهوية.....98

1/ الثقافة والحضارة.....98- 99

2/ الثقافة واللغة.....99- 100

3/ الثقافة والهوية.....100

المبحث الثاني : تحديات العولمة.....100- 101

المطلب الأول : التحديات الاقتصادية والسياسية.....101- 104

المطلب الثاني : التحديات العلمية والتكنولوجية.....104- 107

المطلب الثالث : التحديات الفكرية والثقافية.....107- 110

الفصل الثالث : الثقافة العربية بين الهوية والعولمة.....111

مدخل:.....112

المبحث الأول : الهوية الثقافية العربية ومكوناتها.....113

المطلب الأول : الهوية لغة.....113- 118

المطلب الثاني : الهوية اصطلاحا.....118- 130

المطلب الثالث : مكونات الهوية الثقافية العربية.....131

1/ اللغة.....131- 134

2/ الدين.....134- 136

3/ التاريخ.....136- 138

المبحث الثالث: آثار العولمة على الهوية الثقافية العربية.....138

المطلب الأول: الآثارالسلبية والإيجابية للعولمة.....138- 139

1/ الآثار السلبية للعولمة على الهوية الثقافية العربية.....139- 150

2/ الآثار الإيجابية للعولمة على الهوية الثقافية العربية.....150- 162

المطلب الثاني : ثقافة العولمة والتنوع الثقافي.....163- 170

المطلب الثالث : الهوية الثقافة العربية بين الانغلاق والانفتاح العولمي.....170- 177

الفصل الرابع : التكيف مع العولمة في إطار الخصوصية الثقافية العربية.....178

مدخل:.....179- 185

المبحث الأول : مفهوم الخصوصية الثقافية وعناصرها.....186

المطلب الأول : مفهوم الخصوصية الثقافية.....186- 188

المطلب الثاني : عناصر الخصوصية الثقافية العربية.....188-191

المطلب الثالث : مميزات الخصوصية الثقافة العربية.....191- 194

المبحث الثاني : التكيف الإيجابي للثقافة العربية مع العولمة.....194- 198

المطلب الأول : الإستفادة من الثورة المعلوماتية والإنجازات التكنولوجية.....199- 201

المطلب الثاني : ضرورة اتصال وتفاعل الثقافة العربية بالثقافات الأخرى.....202- 203

1- الحفاظ على الهوية الثقافية العربية.....204- 208

2 – تكيف الثقافة العربية من خلال الانفتاح الثقافي.....208- 210

- ضرورة التبادل الثقافي.....210- 211

المطلب الثالث : استثمار المعرفة والسيطرة على آلياتها.....211- 212

1/ التطور العلمي والتكنولوجي.....213- 214

2/ الإبداع الحضاري.....214- 219

الخاتمة.....220- 224

المصادر والمراجع.....225- 262

ملحق الأعلام.....263- 283

الفهرس الموضوعات.....284- 288